
سلسلة خزانة التراث
كتاب
أدب
الطبيب
تأليف
أسحق بن علي الرهاوي
تحقيق
الدكتور كمال السامرائي
و الدكتور داود سلمان علي

كتاب أدب الطبيب

تأليف

إسحق بن علي الرهاوي

تحقيق

الدكتور كمال السامرائي و الدكتور داود سلمان علي



الطبعة الاولى ـ ١٩٩٢ .



وقف
سلطان بايزيد خلد ملكه
Mikrofilm Arşivi
No. 946

وهي تشوق الى الامتحان بالاصحي والمرضي وان ذم الاطباء

الباب العشرون

فيما ينبغي للطبيب ان يحذر ويتقه في وقت صحته ووقت مرضه ومن زمان شبابه الى زمان شيخوخته

الباب الاول

في الامانه والاعتقاد الذي ينبغي ان يكون للطبيب عليه والاداب التي يصلح بها نفسه واخلاقه

اما بعد الحمد لله الذي لا يبلغ الالسن غايه حمده ولا ينال العقول نهايه مجده فاني لما فكرت في مسئلتك ايها الحبيب اسعدك الله بدرك الحق واثارك طرقه وجدت الجواب عنها يقتضي اغراضا كثيره وللاسن معانا جمله عظيم نفعها لجميع من يتسم بصناعة الطب واحب تعلمها لما هي عليه من الاداب العقليه والوصايا الطبيه التي قد اجتهدت في جمعها من مقالات القدما واداب الافاضل وايضا فان نفعها عام شامل لسائر الناس ممن له عقل وتحصيل لما فيه من فضيله ادبه ان كان ذا ادب ولما يبعثه ويحثه على التادب ان كان محبا للادب او لما يحمله ويعرفه دناءة نفسه بين اهل العلم والادب ان كان عادما لهما منتبه التأدب وخاصه ان كان ممن قد نصب نفسه قاضيا على النفوس وحاكما على الاجسام وتولى طبها وتدابيرها فان الحاصل الخصال اللائقه بالحاكم هي او اكثرها لائقه

بِسْمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة:

تعبير (الأدب) في اللغة، معناه السلوك الحسن والخلق الرضي في التعامل مع الناس، ولأن علوم اللغة من نثر ونظم تهذّب النفس، وتقوّم الشخصية، فقد أُطلق عليها علوم الأدب، ثم صارت تطلق هذه الكلمة على ضروب المعرفة والعلوم النظرية، والتطبيقية، فعرف منها أدب الرحلات، والأدب الجغرافي، وأدب الجليس، وما على هذا المنوال. كما اطلق هذا التعبير على ممارسة الصنائع فكان منها أدب السامع والمتكلم، وأدب القضاة) وأدب مخالطة الحكام، وأدب الندامى، وأدب ممارسة الطب. وقد صنف العلماء العرب في جميع هذه الميادين فعرف منها كتاب «أدب القاضي» لكل من محمد بن الحسن الشيباني المتوفى سنة ١٨٩هـ والقاضي الحسن بن زياد اللؤلؤي المتوفى سنة ٢٠٤هـ، و«كتاب العِشرة» لمسلم بن قتيبة الكوفي، وكتاب «أدب الملوك» أي الأدب بحضرة الملوك، وكتاب «أدب النديم» لكشاجم أبي الفتح بن الحسين، وكتاب «أخلاق الطبيب» لأبي بكر الرازي المتوفى سنة ٣٢٠هـ، و«كتاب التشويق الطبي» لأبي العلاء صاعد بن الحسن (اواخر القرن الخامس للهجرة) ومنها أيضاً كتاب «أدب الطبيب» لإسحاق بن علي الرُهاوي، وهو هذا الكتاب الذي بأيدينا لتحقيقه.

يقصد إسحاق بن علي الرُهاوي بتعبير «أدب الطبيب» في كتابه هذا مايجب ان يكون عليه صاحب هذه المهنة من إيمان عميق بالله تعالى، ومعرفة واسعة بعلوم مهنة الطب، ومايحفظ صحة الجسم والعقل والنفس، وسلوك رضي في تعامله مع المرضى، وذويهم، ومن حولهم من الاقرباء والزائرين والخدم. واول من تناول معالجة هذا الموضوع هو إمام الأطباء اليونانيين أبقراط القوصي المتوفى سنة ٣٧٧ ق. م. فله فيه ثلاثة آثار قيمة هي «ناموس الطب»، و«ترتيب الطب» وكتاب «العهد» المعروف بالقَسَم المنسوب الى اسمه، وجميعها تهدف الى ماعلى الطبيب أن يتحلىٰ به من الخلق الدمث، ولين الطبع، والتواضع مع زملائه ومرضاه، ومايجب أن يكون عليه من قيافة لائقة، ونظافة اليد، والثوب،

واللسان، ورأفة بالمريض، وصدق وإخلاص في علاجه. كما وضع في القَسَم وجوب إحترام الطبيب لمعلمه، وأن يعده بمنزلة أبيه، ويعد أبناء معلمه بمنزلة أخوته، وأن يحذر من وصف الأدوية القاتلة او المجهضة للحبالىٰ، وأن يتفرّغ لتخصصه في فنون الطب، وأن لايفشي أسرار المرضىٰ، ولايطمع في أموالهم أو حلالهم. وقد ترجمت جميع هذه المآثر الأخلاقية من لغتها اليونانية الى العربية ببغداد في القرنين الثاني والثالث للهجرة، وتبنىٰ الأطباء العرب مضامينها الانسانية والأدبية، وأخذوا عنها في مؤلفاتهم وعملوا بها في ممارساتهم، وأضافوا عليها ماينسجم معها، ويؤيدها من أخلاق العرب والمسلمين، كما طوروا قَسَم ابقراط بحسب ذلك وأدخلوا في مؤلفاتهم روح تلك الأخلاقيات، وأفردوا لها كتباً بكاملها. وأبرز هذه المؤلفات عنواناً ومحتوى، وأوسعها، وأكثرها تركيزاً في صلب موضوعها هو كتاب «أدب الطبيب» لإسحاق بن علي الرُهاوي الذي بين أيدينا.

مؤلف الكتاب:ـ

لم نقف في كتب التراجم علىٰ مايكفينا عن هوية وسيرة مؤلف كتاب «أدب الطبيب» إسحاق بن علي الرهاوي، فلم يذكره ابن النديم المتوفى بعده بنحو قرن، ولم يذكره ابن القفطي المتوفى سنة ٦٤٦هـ. أما أبن أبي أصيبعة المتوفى سنة ٦٨٦هـ فله مأثرة في كونه المؤرخ الوحيد الذي لفت نظر الباحثين الى الطبيب إسحاق بن علي الرهاوي، غير انه لم يشر فيما كتبه عنه في مصنفه الكبير «عيون الانباء في طبقات الأطباء» الىٰ نحلته العقائدية والدينية، أو تأريخ مولده أو نشأته أو وفاته ولو احتمالاً بحدود السنين، كما لم يذكر مستقره أو تطوافه وتجواله بين البلدان، غير أنه أخذ أكثر من مرة عن كتابه «أدب الطبيب» فورد اسم هذا المؤلف، واسم كتابه في كتاب «عيون الانباء» لابن أبي أصيبعة في سبعة مواضع[1] نقلاً عن عيسىٰ ابن ماسة كان اثنان منها[2]: ان الرهاوي قد أخذ عن ابن ماسه مباشرة، لانقلاً او رواية، وفيها مايفيدنا أن الرهاوي عاصر يوحنا بن ماسويه المتوفى سنة ٢٤٣هـ الذي كان من أطباء الخليفة المتوكل علىٰ الله المتوفى [3] سنة ٢٤٧هـ، وهذا التأريخ

---

١) المواضع السبعة التي وردت في كتاب عيون الانباء في الصفحات ١٩٢، ٢٠٧، ٢١٥، ٢٢٥، ٢٢٧، ٢٣٤، ٢٤٢.

٢) عيون الانباء ص ٢٠٧، ٢١٥.

٣) المصدر السابق ص ٢٢٥.

يؤكد أن الرهاوي من أطباء القرن الثالث للهجرة، إن لم يكن من أطباء الثلث الأخير منه بالتحديد. وفي روايات ابن أبي أصيبعة مايدل علىٰ ان الطبيب الرهاوي قد عاصر اطباء الخلفاء العباسيين في تلك الحقبة الا انه لم يذكر شيئاً عن دوره العلمي بين أولئك الأطباء، لنعرف فيما اذا كان عهدئذ متعلماً في بغداد أو معلماً فيها، وذلك لان أبن أبي أصيبعة تكلم عنه بأقتضاب شديد مكتفياً بقوله: «كان طبيباً متميزاً عالماً بكلام جالينوس، وله أعمال جيدة في صناعة الطب، ثم ذكر له ثلاثة كتب، أحدها: كناش جمعه من عشر مقالات لجالينوس المعروفة بالميامر في تركيب الأدوية بحسب أمراض الأعضاء الآلمة من الرأس الىٰ القدم. وكتاب ثانٍ من جوامع الأسكندرانيين لكتب جالينوس؛ وهي كتاب الفرق، وكتاب الصناعة الصغيرة، وكتاب النبض الصغير، وكتابه الىٰ اغلوقن. كما ذكر له كتاباً ثالثاً هو كتاب «أدب الطبيب» وهو الكتاب الوحيد الذي نجا من الضياع فوصلنا كاملاً لولا بعض ماسقط من أوراق من النسخة التي بين أيدينا. كما سنبين ذلك فيما يأتي.

ويبدو من عنواني الكتابين الأولين المنسوبين للرهاوي، ومضامين كتابه أدب الطبيب، أن الرهاوي كان يؤمن بفسلفة اليونانيين الأقدمين، وأنه تبنىٰ أفكار جالينوس في الطب ومارسه بموجبها، وأنه كان يعنىٰ بعلم الأدوية وصيدلتها أيضاً، كما أن كتبه جميعها تدل علىٰ أن هذا الطبيب المؤلف قد تفرغ للطب وحده، وماله علاقة بأطرافه من الصيادلة والممرضين، وخدم المرضىٰ، وهذه نزعة لم تكن مألوفة عند غالبية الأطباء العرب الكبار، في تلك العهود، فقد عرف عن هؤلاء المامهم بأكثر من علم واحد، أجادوا بأكثرها.

ومن نسبة المؤلف الىٰ مدينة «الرُها» فمن المحتمل أنه من مواليد هذه المدينة، أو ماجاورها، كما يبدو من كثرة مايردد من ذكر الله عزّ وجلّ وأيمانه به، وثقته بعونه، واجلاله لعظمته، أنه نشأ علىٰ التقوىٰ، وطاعة الخالق فلا تفوته المناسبة دون ان يذكره بالمنة والأسترحام، وينسب اليه النِعَم في تدبير أمور الكون، وخلق الانسان، وإبرائه من الأمراض، كما يؤمن بالثواب والعقاب.

لم يكن الرهاوي يهودياً بالتأكيد، كما توهم بعضهم من اسمه الأول، فقد وقع في هذا الخطأ من نسبه الى يهود خيبر كما يلاحظ ذلك في التعليق الذي خطه بعض من قرأ كتابه ـ أدب الطبيب ـ علىٰ الصفحة الأولىٰ من النسخة المخطوطة التي بين أيدينا.

كانت مدينة الرُها في القرن الثالث للهجرة مركزاً حضارياً لامعاً بما تجمع فيها من

آثار اليونانيين قبل المسيحية وبعدها، فاجتذبت اليها الناس من كل صوب وحدب وسرعان ماأبدل هؤلاء اسم المدينة من الاسم اليوناني «أديسا» باسم سرياني «اورهاي» واستمرت هذه المدينة تحتفظ بهذا الأسم حتىٰ يوم خضوعها للمسلمين في سنة ٦٢٧ للميلاد ـ بداية القرن الأول للهجرة ـ ولما استولىٰ عليها العثمانيون في مطلع القرن التاسع للهجرة سموها «أورفه» وموقعها في الوقت الراهن قرب الحدود العراقية السورية التركية.

وتميزت بغداد المعاصرة لمدينة الرها في القرن الثالث للهجرة بكثرة عدد الأطباء وفي بوع بعضهم الطويلة في الطب وفي ممارسته، فلا غرابة أن اجتذبت اليها طلاب المعرفة الطبية، واستنتاجاً كان من هؤلاء إسحاق بن علي الرهاوي فتعلم الطب فيها وأتم تعلّمه وربما يكون الرهاوي قد ذكر ذلك في أحد كتبه المفقودة، أما كتابه «أدب الطبيب» فليس فيه ذكر أو اشارة لذلك، وانما قرأنا فيه انه تجوّل من ديار الشام والجزيرة فذكر الرقة، وحلب، والموصل، والشام كما ذكر بغداد باسم دار السلام (عيون الانباء ص١٦٧، وذكرها مرة اخرىٰ في ص٦٨.

منهج الكتاب :ـ

إعتاد أكثر المؤلفين العرب علىٰ ان يصدروا كتبهم بمقدمة يذكرون فيها العوامل والأسباب التي دفعتهم الىٰ وضع مصنفاتهم، ولمن رفعوها، او قدموها لمن بين مخدوميهم من الأمراء، والرؤساء، والخلفاء. أما إسحاق بن علي الرهاوي فيفيدنا في مقدمة كتابه «أدب الطبيب» أنه وضع الكتاب لنفسه احتساباً ولتعميم مافيه من الفوائد في الطب، وممارسته، فيقول في مقدمة الكتاب[1] «تكلفت جمع ماقدرت عليه من الأداب التي ينبغي للطبيب أن يؤدب بها نفسه، والاخلاق المحمودة التي ينبغي أن يقوم بها طبعه» محتسباً للثواب في ذلك واثقاً بمعونة الله وتأييده. وقال أيضاً[2]: كان أول قصدنا من تأديب الطبيب، إنما قصدنا لصلاح نفسه، وتقويم أخلاقه أولاً، وقد قدمنا ذلك علىٰ مصالح

---

٤) المصدر السابق

٥) المصدر السابق

جسمه لتقدم النفس بالشرف علىٰ البدن» . ومن فلسفة إسحاق بن علي الرهاوي أن رعاية الطبيب لجسمه وحفظ صحته هي من الظواهر التي تدفع مرضاه الىٰ العمل بوصاياه فقال[1] : «أنه من الصواب بعدما قدمته من هذه الجمل أن أذكر جملاً من الوصايا التي تحث الطبيب علىٰ ما يصلح بقية أعضاء البدن الكبار ، ويستدل بها علىٰ إصلاح باقي الأعضاء . ثم اتبع ذلك بوصف سيرة الطبيب وكيف ينبغي أن يكون وكيف يرتب تدابيره لجسمه يوماً يوماً سائر أيام حياته» . كما ذكر الرهاوي أن الأطباء في زمانه قد جهلوا أصول المهنة وطرق ممارستها، وكثر بينهم متحلوها، فقصروا في بلوغ الهدف منها، فرأىٰ أن يضع هذا الكتاب تنبيهاً وتوجيهاً لهم وردهم الىٰ مايجب ان يعملوه لإصلاح حالهم، وتصحيح معلوماتهم بالعلوم الطبية وممارستها.

واستهدف الرهاوي من وضع هذا الكتاب، إضافة الىٰ تعليم آداب المهنة، إبراز شرفها، وعظيم مايستفاد منها في حالتي الصحة والمرض، وماينبغي علىٰ الطبيب من الثقة بعون الله تعالىٰ، خالق الانسان والأكوان، وانه هو الباري، والمعين، والشافي. وهذا تثقيف روحي للطبيب يبعد من يتحلىٰ به عن الدنايا والخداع، وابتزاز أموال البسطاء من الناس والمرضىٰ، ويتحاشىٰ مايفسد صناعته سواء كان ذلك من جانبه، أو من جانب مريضه، ومايوصل بينهما من الممرضين والصيادلة والخدم. كما ان في هذا الكتاب توجيهات ونصائح للأطباء، والصيادلة، والمرضىٰ، واهلهم، ومن يقوم علىٰ خدمتهم، وزائريهم إضافة الىٰ معرفة مركبات جسم الانسان، ومافيه من أجهزة وأعضاء كأدوات الحس الخمس، والأعضاء الرئيسة كالدماغ والقلب، والكبد، والأعضاء التي تخدمها كالمعدة والكليتين، والطحال، والمثانة، والرئة. ولمعرفة هذه الأعضاء لابد من الألمام بتشريحها، وبوظائفها الغريزية. وقد خصص الرهاوي لهذا الموضوع الباب الثاني وهو أطول أبواب الكتاب جميعاً وعدّه القاعدة التي يعتمد عليها مافي الكتاب من معلومات في الوقاية من الأمراض (تدبير الأصحاء) وتشخيص الأمراض وعلاجها (تدبير المرضىٰ) . كما أدخل الرهاوي في هذا الباب جدولاً لأعمال الطبيب اليومية والتي كان هو نفسه يمارسها بحرص ودقة واهتمام. وتتضمن وصاياه نظافة الثوب، والجسد، وابتداء اليوم بالصلاة

---

٦) المصدر السابق ص ١٠٤

الى الله تعالىٰ ثم البدء بعيادة المرضىٰ، وضبط سجل لكل واحد منهم يرجع اليه عند تكرار الزيارة، او الأصابة بمرض جديد. كا تطرق في هذا الباب، بعناية خاصة، الىٰ ماكان يعرفه الأطباء العرب بالاسباب الستة وهي: المأكل والمشرب، والحركة والسكون بما فيها النوم واليقظة، والإحتقان والاستفراغ، وتأثيرات المحيط الخارجي والانفعالات النفسية، ومحلات السكن، والمدن، وهي عوامل تناول بحثها بتفصيل الأطباء العرب كابن الطبري، وأبي بكر الرازي، وابن رضوان وغير هؤلاء كثيرون ممن عدّوا صحة الفرد ومرضه خاضعة لهذه العوامل بالزيادة أو النقصان. كما تطرق الرهاوي الى عوامل أخرى لها علاقة بحفظ الصحة، أو تسبب المرض كالعادات والأهوية، والأمواه، والمهن، والصنائع. ويبدو مما ورد في كتاب «أدب الطبيب»، وفي كتاب «عيون الانباء» لأبن أبي أصيبعة أن الأطباء قد كثر عددهم في بغداد[٧] وغيرها من المدن، واندس فيما بينهم من ليس له علم بصناعة الطب، بل اعتمد على مهارته في الخداع باسم الطب، فخصص الرهاوي لمعالجة هذه الحالة الخطيرة بابين أحدهما في «إمتحان الطبيب»[٨] والآخر «في التحذير من خدع المحتالين، ومنتحلي صناعة الطب». واذا حسبنا الرهاوي قد أدخل موضوع امتحان الطبيب (محنة الطبيب) في كتاب «أدب الطبيب» لينبه الحكام الىٰ حجب من لايجيد ممارسة هذه الصناعة، فانه بالتأكيد لم يكن الأول الىٰ هذه المبادرة في الطب الاجتماعي، فقد سبقه كل من يوحنا بن ماسويه [٩] وحنين بن إسحاق فكان لهما كتابان كاملان بهذا الموضوع بينما للرهاوي قسم في كتابه «أدب الطبيب». ويبدو أن الرهاوي قد اعتمد في وضع كتابه «أدب الطبيب» علىٰ تجربته الخاصة في ممارسة مهنة الطب واختلاطه بطبقات الناس، من فقراء وأغنياء وأمراء وخلفاء، كما أعتمد في وضع كتابه علىٰ مؤلفات الأطباء والفلاسفة اليونانيين امثال: فيثاغورس، وسقراط، وافلاطون، وارسطو طاليس، وابقراط، وهؤلاء هم كبار علماء اليونان فيما بين القرنين السادس والثالث قبل الميلاد. كذلك أخذ في كتابه «أدب الطبيب»، بتقدير وإعجاب، عن جالينوس الذي خلفهم بأكثر من خمسة قرون. وفي الكتاب معلومات عن أطباء الأسكندرية بين القرنين الرابع والسادس للميلاد ايضاً مما

---

٧) عيون الانباء ص ٣٠٢

٨) ادب الطبيب الباب السادس عشر

٩) ادب الطبيب الباب الثامن عشر وعيون الانباء ص ٢٥٥

لانجدها إلا في كتاب «تأريخ الأطباء» لاسحاق بن حنين الذي أخذها بدوره عن كتاب بالعنوان نفسه لحكيم مدرسة الأسكندرية في عهدها المتأخر يحيىٰ النحوي[*] غير ان إسحاق الرهاوي لايشير الى هذين المصدرين بأي قدر، ولاننفي لهذا السبب أن يكون الرهاوي قد أخذ أيضاً عن غير هؤلاء من الاطباء الذين عاصروه أمثال: يوحنا بن ماسويه، وحنين بن إسحاق، ولكل من هؤلاء الأطباء مشاركات في أدب الطبيب وفي امتحانه، فأغفل ذكر اسمائهم مثلما أغفل ذكر اسمي إسحاق بن حنين ويحيىٰ النحوي.

وواضح أن مضامين كتاب «أدب الطبيب» مكملة لأفكار ابقراط ومن كتب بعده في السلوك المهني للأطباء، فقد حدد هؤلاء ماكتبوه في أخلاقيات الطبيب في نفسه، وفي علاقته بالمرضىٰ، ومن له صلة بهم، أما إسحاق الرهاوي في كتابه «أدب الطبيب» فقد توسع في هذا الموضوع فشمل كل ماله علاقة بالطب والتطبيب بما في ذلك ذوي المريض، وخدمه وزائريه، ومن يركّب له الدواء، ومن يستحضره، ويسقيه إياه، ومن ينقل أخبار المريض الى طبيبه، وقد يسمح لنا، لهذه الشمولية في أهداف هذا الكتاب القيّم، أن نطلق عليه اسم (السلوك في الطب) أو (السلوك الطبي) أو ماهو علىٰ هذا السياق والمعنى، وهذه خاطرة لايقصد بها التوجيه، فنحن من دعاة حفظ نصوص التراث كما هي لا الىٰ تطويرها حتىٰ لو أدىٰ ذلك نفس الروح والمعنىٰ.

مخطوطة الكتاب:-

يقول الباحث الفاضل فؤاد سزكين أنه عثر علىٰ مخطوطة كتاب «أدب الطبيب» في مكتبة (السليمية) بمدينة أدرنه التركية ورقمها ١٦٥٨ وتأريخ نسخها سنة ٧٤٨هـ (واسم ناسخها عبدالله بن المكين) وأضاف يقول: ثم تيّسر إنجاز ترجمتها الىٰ اللغة الانكليزية من قبل الباحث مارتن ليفي سنة ١٩٦٧ ونشرت هذه الترجمة في مجلة الجمعية الأمريكية للفلسفة في المجلد ٥٧ القسم الثالث[١٠] وقد رجعنا الىٰ هذه الترجمة فوجدنا ان مارتن ليفي

+) نشر روزنثال كتاب تاريخ الاطباء لاسحاق بن حنين مع ترجمته الى الانكليزية في مجلة (اورينت) مجلد ٧ ص٥٥ـ ٨٠، ١٩٥٤.

١٠) اسم المجلة بالانكليزية. Transaltions of the American Philosophial Socicty, Vol. 57, Part 3, 1967. Philadellphia.

يذكر في المقدمة[11] أنه حصل على المخطوطة من المكتبة (السليمانية) في استنبول وهي تحمل الرقم نفسه ١٦٥٨، ويؤكد على انها نسخة فريدة، وهنا يثار التساؤل أين وجدت هذه المخطوطة؟ في مدينة أدرنة كما يذكر سزكين، أم في مدينة استنبول كما يذكر مارتن ليفي مع العلم انها تحمل الرقم نفسه وكلاهما يؤكدان انها نسخة فريدة.

قام الدكتور سزكين بعمل مشكور إذ نشر المخطوطة (السليمية) مصورة كما هي سنة ١٩٨٥ وقد قام بعملية النشر مركز تأريخ العلوم العربية الأسلامية في جامعة غوته في مدينة فرانكفورت بالمانيا الاتحادية، وهي النسخة التي اعتمدناها في هذا التحقيق. المخطوطة المنشورة مصورة على ورق خاص مصنوع بطريقة جعلته يبدو أشبه مايكون بالورق الذي كتب عليه الكتاب قبل مئات السنين. وهي مكتوبة بخط جيد - (خط النسخ) غير المنقوط في أغلب كلماتها - وقد استعاض الناسخ عن ترقيم صفحاتها بتعقيبات على أسفل بعض صفحاتها لاعلى جميعها. أما النسخة المصوّرة فان أوراقها رقمت بتسلسل وبأرقام مطبوعة على منتصف الصفحات من عمل ماكنة الطباعة.

والمخطوطة التي بين أيدينا تقع في مائة واثنتا عشرة ورقة، وفي كل صفحة سبعة عشر سطراً وبمعدل اثنتي عشرة كلمة في السطر الواحد. كتب في الصفحة الأولى اسم الكتاب «أدب الطبيب» بحرف كبير مقارنة بحروف متن الكتاب. وتحت عنوان الكتاب من جانبه الأيسر عبارة بخط دقيق هذا نصها «تصنيف إسحق بن علي اليهودي الخيبري الرهاوي» وهذه العبارة شطبت بخط دقيق وكتب تحتها عبارة «إسحاق بن علي الرهاوي» أي أن أحد قراء المخطوطة نسب الرهاوي اعتماداً على اسمه الأول الى يهود خيبر، ثم جاء قارئ ثانٍ بعد الأول فنفى أن يكون الرهاوي يهودياً فشطب ماكتبه القارئ الاول، وكتب عبارة «إسحاق بن علي الرهاوي» فقط. وبمحاذاة اسم الرهاوي من الجانب الأيسر كتب بخط دقيق عبارة «نظر فيه مترحماً على واقفه محمد بن محمد بن محمد القوصوني لطف الله به وبالناس سنة ٩٥٩» وهذا الشخص لابد أنه كان من أحد قراء هذا الكتاب. وتحت كل ماتقدم كلمة «وقف» بفاء طويلة كتب أسفلها بخط الثلث وبحرف كبير «سلطان بايزيد خلّد مُلكه» وكتب في الحافة العليا عبارة «دار الشفاء وقف» وفي الزاوية اليسرى من أسفل كتب بخط دقيق جداً أحد أطباء دار الشفاء «نظر واستفاد من هذه الآداب الى لطف الله

---

١١) الترجمة الانكليزية ص١ وص٨

وعطفه حسن بن قاسم وذاك في خدمة ضعفاء الفقراء الطبيب بدار الشفاء المذكورة في سنة ٩٧٩» .

وفي الصفحة الثانية من الكتاب يبدأ بالبسملة وعبارة (عليه توكلي وبه نستعين) وينتهي متن المخطوطة في الصفحة رقم ٢٢٣ بعبارة (تمّ الكتاب بعونه الله وتوفيقه وله الحمد دائماً سرمداً كتبه لنفسه ولمن شاء تعالىٰ بعده العبد الراجي رحمة ربه وغفرانه عبدالله بن المكين* بهذه العبارة ينتهي الكتاب. أما الوجه الثاني من هذه الورقة الأخيرة فيبدو واضحاً انها ليست جزءاً من الكتاب بل أضيفت اليه، وبحجم أصغر كما يستبان ذلك من حوافي تلك الورقة المصورة، وقد كتب في هذه مايأتي: (عبدالله بن عبدالسلم بن ربيع الاسرائيلي اللاوي عفا الله عنه وعن والديه وغمر الرحمة عليه وذلك في مدة عشرون [كذا] يوماً في ساعات مفرقة منها آخرهن ليلة الجمعة ثاني عشر شعبان سنة ثماني وأربعين وسبعمائة). وربما كان هذا الاسم، وأغلب الاحتمال أنه أسم الناسخ، قد أوحىٰ الى من كتب علىٰ الصفحة الأولىٰ لقب اليهودي الخيبري بعد اسم إسحاق بن علي الرهاوي وقد فندنا هذه التسمية فيما تقدم.

تقع المخطوطة في مقالتين المقالة الأولىٰ: وقد فات الناسخ ان يكتبها في مكانها، تضم الأبواب: الأول وحتىٰ السابع. ثم تأتي المقالة الثانية وتضم الأبواب: الثامن وحتىٰ العشرين، أي أن الكتاب يقع في عشرين باباً وعند مقارنة النص الأنكليزي لترجمة الكتاب مع النص العربي في مصور النسخة التي نشرها الدكتور سزكين وجدنا ان النصوص العربية والانكليزية متطابقة، أي ان الترجمة هي لنسخة المكتبة السليمية في أدرنه، وقد لاحظنا في صورة مخطوطة أدرنه وجود ختم المكتبة السليمية علىٰ الصفحة الأولىٰ، وتحت الختم المذكور ختم آخر يشير الىٰ ان المخطوطة قد صورت بالمايكروفلم، وان رقم الفلم في الأرشيف ٩٤٦، ولانستبعد وجود نسخة من الميكروفلم في المكتبة السليمية في استنبول.

ومن هذه الملاحظة نستنتج مايأتي:

ان المخطوطة فريدة وحيدة، وهي تعود الىٰ المكتبة السليمية في أدرنة برقم ١٦٥٨، وحيث ان مارتن ليفي يتعامل مع المكتبة السليمانية في استنبول، كما ذكر في مقدمة الترجمة

---

*) عبدالله بن المكين يرجح ان يكون ناسخ الكتاب.

الانكليزية، فيحتمل أنه قد حصل علىٰ المايكروفلم من المكتبة الأخيرة، فسجل في الترجمة الأنكليزية ان المخطوطة تعود الىٰ المكتبة السليمانية في استنبول، ان هذا مجرد اجتهاد، ويحتاج الموضوع الىٰ الاستيضاح من ناشر صورة المخطوطة ومن مترجمها الىٰ اللغة الانكليزية للاطلاع علىٰ حقيقة الأمر.

إضافة الىٰ ماسبق لاحظنا عند مراجعة النسخة الانكليزية أن مارتن ليفي لم يشر الىٰ وجود ورقة أو أكثر مفقودة من المخطوطة ومحلها في المكان الذي يفصل الباب التاسع عشر من الباب العشرين، وانه قام بتقسيم الفصل التاسع عشر علىٰ قسمين، جعل القسم الاول وهو الفصل التاسع عشر، ينتهي في نهاية الصفحة ٢١٦، وجعل القسم الثاني الفصل الأخير بعد أن وضع عنوان «الباب العشرون» في بداية الصفحة ٢١٧ من النسخة السليمية.

وتختلف الابواب في الطول، كما انها لاتتسلسل بموضوعاتها بترابط بين مادتها العلمية، غير انها لاتخرج عن دائرة الطب والتطبيب وآداب من له علاقة بهذين الحقلين. وقد اكتشفنا ان الباب الأخير من المخطوطة هو الباب التاسع عشر. واثناء تدقيق المادة وسياق الكلام والمعنىٰ تبين لنا ان هذا الباب هو التاسع عشر والباب العشرون، وقد سقطت من الباب التاسع عشر واول الباب العشرين بعض الاوراق، ويظهر سقوط هذه الاوراق واضحاً علىٰ الرغم من صحة تسلسل الارقام المطبوعة في اعالي الصفحات من عدم تطابق التعقيبة فيما بين الصفحة ٢١٦ والصفحة ٢١٧ اضافة الىٰ انقطاع السياق بين الصفحتين المذكورتين.

ويبدو ان نسخة مارتن ليفي كانت كاملة ولم يسقط منها شئ من اوراقها، وتأكدنا من ذلك من متابعة الترجمة الانكليزية المنشورة في مجلة الجمعية الامريكية للفلسفة التي مرّ ذكرها فيما تقدم، فكان الباب التاسع عشر واول الباب العشرين كاملين، وعنوان الباب العشرين فاصلاً بينهما.

وفي المخطوطة اغلاط كثيرة إملائية ونحوية وفي رسم بعض الحروف فتبدو بشكل غير مألوف كما في (من) وفي (لا)، وفي حرف الهاء في أول الكلمات، كذلك في وضع النقط علىٰ حرف الباء والتاء والثاء والشين والضاد، كما يكثر في المخطوطة دمج مقطعي تعبير (مع ما) فيبدو هكذا (معما) واستعمال الياء بدل الهمزة مالا يحصى عددها، ومثل ذلك في استعمال واو الجمع.

منهجنا في تحقيق الكتاب :ـ

كان سهلاً قراءة المخطوطة لولا تفنن الناسخ في رسم بعض الحروف والكلمات، وقد تجاوزنا صعوبة الانتباه الىٰ كل ذلك بعد ان عرفنا طريقة الناسخ في الكتابة. علىٰ ان بعض الكلمات عسرت علينا قراءتها فوضعناها بين قوسين للاشارة الىٰ اننا لم نوفق الىٰ قراءتها. . كما نقشنا بعض العبارات كما هي مرسومة دون ان نعرف لها معنىٰ او تركنا لها مجالاً ملأناه بالنقاط عددها بحسب طول العبارة المبهمة.

وترجمنا لاسماء الاعلام في هوامش التحقيق، كما عرفنا اسماء الادوية الواردة بالكتاب، وكذلك المصطلحات الفنية. والله الموفق ومنه الرضىٰ.

المحققان

نص المخطوط [1]

بسم الله الرحمٰن الرحيم وعليه توكلي وبه نستعين.

قال جامع هذا الكتاب ومؤلفه: أن اناساً من الأطباء أيها الحبيب أسعدك الله ببلوغ مطلوباتك، وأعانك علىٰ درك الحق حين جهلوا أصول صناعة[2] الطب، وفاتهم درك فروعها وقصروا عن تأمل الصواب في طرقها خرجوا الىٰ الحيل والتلبيس حتىٰ افسدوا محاسنها وأساؤا سمعة أهلها وكانوا بمنزلة بنائين راموا إصلاح تشعيت دار قد بنيت أتقن بناء وأحكمت أحسن أحكام وأعدّ فيها ضروب المصالح والمنافع فجعلوا يسعون فيها محجوبة أبصارهم عن مواضع الفساد لجهلهم بمعرفة مافيه بنيت الدار وسوء تحصيلهم نظمها، وأحكام هيئتها، فانهم لما عميت أذهانهم عن معرفة الأسباب والعلل لكونها، صاوروا يجولون كالحيارىٰ، لايفهمون مواضع الفساد ولامواقع علله، وربما رام الواحد منهم الإصلاح لشئ يجهل سببه فيسرع الى فساده، وهدم أساسه كالذي أقدمت وجاهرت به الطائفة من الأطباء الذين رأيتك تذمهم وتوبخهم واشباههم من اهل القحة)والإقدام على مالا يعلمونه فحقَّ علىٰ من انعم الله عليه بمعرفة ووفقه لتأميل هذه الصناعة او حلّها والوقوف علىٰ مافيها من لطف التدبير، وصواب التقدير ألّا يُقصّر في إظهار مابلغه علمه من ذلك بل يعهد في نشره وإذاعته ليقوّي به نفوس اهل الحقائق ويجتنب به سوء العمل في تدابير الأصحاء والمرضىٰ محتسباً للثواب في ذلك واثقاً بمعونة الله تعالىٰ وتأييده إياه. وقد تكلفت جمع ماقدرت عليه من الآداب التي ينبغي للطبيب أن يؤدب بها نفسه والأخلاق المحمودة التي ينبغي ان يقوّم بها طبعه. وذكرت طرفاً من التدابير التي ينبغي أن يدبر بها جسمه والأفعال التي يجب أن يفعلها بذاته أولاً، والأفعال التي يفعلها بالأصحاء، والمرضىٰ وجملاً من الأفعال والوصايا والتدابير التي ينبغي له أن يتقدم بها الىٰ المريض وخدمه، ومن يتولىٰ مصالحه؛ وجعلت جميع ذلك مقالة أولىٰ من هذا الكتاب، ثم جمعت في المقالة الثانية مايجب علىٰ المريض ان يكون عليه من القبول لتصلح أخلاقه لنفسه، ولطبيبه ولخدمه، فيتم بذلك صلاح جسمه، وذكرت فيها أيضاً واجبات ولوازم تدعو الحاجة اليها في صلاح الأصحاء والمرضىٰ من قصص، وأخبار يتأدب بها سائر الناس كافة

---

1) ليس لهذه المقدمة عنوان في المخطوط، وما اثبتناه كان من وضعنا

2) اول من عدّ مهنة الطب (صناعة) هو ابقراط القوصي المتوفي سنة ٣٧٧ ق.م (ابن ابي اصيبعة (ص ٤٣ ـ ٤٤).

والأطباء خاصة. وأن أميز كل صنف من هذه المعاني في باب ليكون الكتاب أبواباً فيسهل بذلك علىٰ طالب المعنىٰ مطلبه، ويقرّب مأخذه، والأبواب عشرون باباً ويجب أن نعددها أولاً ومايتضمنه باب باب ثم نأخذ في شرحها بعون الله وتأييده.

مستطرفه تبعث الطبيب على اختيار تحصيل من يشاوره قبل مشورته عليه لا لا ينسب فساد ان جرى الى الطبيب

الباب الخامس عشر

في ان صناعة الطب ا... ان يعملها كل من التمسها لكن اللائقة بهم في خلقهم واخلاقهم

الباب السادس عشر

في محنة الاطباء

الباب السابع عشر

في الوجه الذي به يعذر الملوك في ازالة الفساد الداخل في الاطبا ومن جهتهم والمرشد الى صلاح سائر الناس من جهة صناعة الطب كما كان ذلك قديما

الباب الثامن عشر

في التحذير من خدع المحتالين من الذين يتسمون باسم الطب والفرق بين خدعهم والحيل الطبية

الباب التاسع عشر

في العادات المذمومة التي قد اعتادها كثير من الناس

المقالة الأولىٰ :-

الباب الأول.

في الأمانة والأعتقاد الذي ينبغي أن يكون الطبيب عليه والآداب التي يصلح بها نفسه وأخلاقه.

الباب الثاني.

في التدابير التي يصلح بها الطبيب جسمه وأعضائه، وهو باب يشتمل علىٰ واجبات كثيرة فلذلك يجب ان يميز أقوالاً مفصلة.

الباب الثالث.

فيما ينبغي للطبيب أن يحذره ويتوقاه.

الباب الرابع.

فيما يجب علىٰ الطبيب أن يوصي به خدم المريض.

الباب الخامس.

في أداب عُوّاد المريض.

الباب السادس.

فيما ينبغي للطبيب أن ينظر فيه من أمر الأدوية المفردة والمركبة وكيف ينبغي أن يحذر مما قد فسد منها بغير قصد او بقصد من الصيدناني[1] وغيره ممن يتولىٰ حفظها وتدبيرها.

---

١) الصيدلة والصيدنة بمعنى واحد، والنسبة اليهما صيدلاني وصيدناني

الباب السابع.

فيما ينبغي للطبيب أن يسأل[1] عنه المريض وغيره

المقالة الثانية :ـ

الباب الثامن.

فيما ينبغي للأصحاء والمرضىٰ جميعاً أن يعتقدونه ويضمرونه للطبيب في وقت الصحة ووقت المرض.

الباب التاسع.

فيما يجب علىٰ المريض إبرامه من قبوله لأمر طبيبه، ونهيه، وما تؤول اليه حاله عند خلافه له.

الباب العاشر.

فيما ينبغي أن يعمله المريض مع أهله وخدمه.

الباب الحادي عشر.

فيما ينبغي أن يعمله المريض مع عوّاده.

الباب الثاني عشر.

في شرف صناعة الطب.

الباب الثالث عشر.

في أن الطبيب يجب له التشريف بحسب مرتبته من صناعة الطب من الناس كافة، ولكن تشريفه من الملوك والأفاضل يجب أن يكون أكثر.

---

١) وردت في الاصل (يسئل) والصحيح ماثبتناه

الباب الرابع عشر.

في نوادر جرت لبعض الأطباء. بعضها من جنس تقدمة المعرفة وهي تحث الطبيب علىٰ تعرِفة طرق الانذار وبعضها مستظرفة تبعث الطبيب علىٰ اختيار تحصيل مَن يشاوره قبل مشورته عليه لئلا ينسب فساد أن جرىٰ الىٰ الطبيب.

الباب الخامس عشر.

في أن صناعة الطب لايصلح ان يعملها كل من التمسها لكن اللائقة بهم في خلقهم وأخلاقهم.

الباب السادس عشر.

في محنة الاطباء.

الباب السابع عشر.

في الوجه الذي به يقدر الملوك علىٰ إزالة الفساد الداخل علىٰ الأطباء، ومن جهتهم، والمرشد الىٰ صلاح سائر الناس من جهة صناعة الطب وكيف كان ذلك قديماً.

الباب الثامن عشر.

في التحذير من خدع المحتالين من الذين[1] يتسمون باسم الطب والفرق بين خدعهم، والحيل الطبيّة.

الباب التاسع عشر.

في العادات المذمومة التي قد اعتادها كثير من الناس، وهي تسوق الى الإضرار بالأصحاء، والمرضىٰ، والىٰ ذم الأطباء.

الباب العشرون.

فيما ينبغي للطبيب أن يذخره ويعدّه من وقت صحته لوقت مرضه، ومن زمان شبابه الىٰ زمان شيخوخته.

---

١) وردت في الاصل (اللذين) والصحيح ماأثبتناه.

المقالة الاولى

ـ الباب الأول ـ

في الأمانة والاعتقاد الذي ينبغي أن يكون الطبيب عليه والآداب التي يصلح بها نفسه وأخلاقه

أما بعد الحمد لمن لاتبلغ الألسن غاية حمده، ولاتنال العقول نهاية مجده، فأنني لما فكرت في مسألتك[1] أيها الحبيب أسعدك الله بدَرَك الحق وأنالك طرقه، وجدت الجواب عنها يقتضي أغراضاً كبيرة، وتلابس معاني[2] جليلة عظيم نفعها لجميع من يرتسم بصناعة الطب وأحبّ تعلمها لما يرسم في نفسه من الآداب العقلية والوصايا الطبية التي قد اجتهدت في جمعها من مقالات القدماء وآداب الأفاضل. وأيضاً فان نفعها عام شامل لسائر الناس ممن له عقل وتحصيل لما يربه من فضيلة أدبه إن كان ذا أدب، ولما يبعثه ويحثه علىٰ التأدب، إن كان محباً للأدب، أو لما يخجله ويعرفه دناءة نفسه بين اهل العلم والأدب ان كان عادلاً عن محبة الأدب وخاصة ان كان ممن قد نصب نفسه قاضياً علىٰ النفوس، وحاكماً على الأجسام ويتولى طبّها وتدابيرها ، فان الحاصل على الخصال اللائقة بالحاكم هي او. اكثرها لائقة بالطبيب أيضاً، وقد قال ارسطو طاليس[3] تفقد من الحاكم أربع خصال أن يكون حسيباً، وأن يكون عالماً، وأن يكون ورعاً، وان يكون غير عجول. وقال ان الحاكم يزيّن الحكم وهو يوحشه، واذا نقلت هذه الأقاويل الىٰ الطبيب وجدتها به لائقة،

---

١) وردت في الاصل (مسئلتك) والصحيح ماأثبتناه.

٢) وردت في الاصل (معانياً) والصحيح ماأثبتناه.

٣) ارسطو طاليس. ويسميه العرب ارسطو اختصاراً، وهو مقدوني الاصل، درس علىٰ افلاطون وصار اشهر فلاسفة اليونان عند العرب. وكانت وفاته سنة ٣٢٢ ق.م بعمر ٦٢ سنة وله مؤلفات كثيرة اغلبها في الفلسفة وبعضها في الطب.

وعليه واجبة. اذ الطبيب حاكم في النفوس، والاجسام، ولايشك أحد في ان النفوس والابدان أشرف من الأموال، فلذلك ينبغي للطبيب ان يأخذ نفسه بالآداب والعلوم النافعة له في صناعة الطب، وبغير شك ان من لم يُحظ بما يذكره واطرحه سيخجله ان كان له أدنىٰ حسٍ وأن يكون له مع الحس يسيراً من العقل، فانه سيستحي من الله جل ذكره الذي أنعم علىٰ الناس بصناعة الطب ومنح بها أفاضل يستحقون تعلمها لا يخافونه ويرهبونه قبل الإقدام على عملها فضلاً عن العمل بها، وسيرىٰ هذا المجترئ علىٰ أهلها، أن مزاحمته لهم ودخوله بينهم بغير نصيب منها قبيح جداً، فإن بعثه خجله علىٰ تأديب نفسه وإصلاح أخلاقه، ثم قصد أهلها بلطف وأدب وحسن مسائلة[4] فتعلم منهم وخدم بين ايديهم في اعمالها أمكنه حينئذ اجتماع العلم والعمل أن يحفظ صحة الأصحاء، وان يعالج المرضىٰ ولعل بعض الحيلة ان يظن ان خدمته لطبيب مامدة من الزمان في ذكائه، ومعرفته ببعض الأدوية المفردة والمركبة او الفصد، وماماثله من أعمال هذه الصناعة، وأخذه لذلك ويعرفه له من كناش[5] او أقرباذين[6] قد كفاه وأغناه عن قراءة كتب صناعة الطب ويعرف أصولها وقوانينها فليس ذلك الإسوء حظ له ولمن يدبره لأن ماعلمه مما ذكرناه ان لم يعلم أين يضعه من الجسم وفيمن يجب استعماله ومتىٰ وأين من الأماكن، وبأي الحالات والمقادير كان الى ان يمرض الأصحاء ويقتل المرضىٰ أقرب من أن يحفظ الأصحاء ويشفي المرضىٰ.
فعلىٰ جميع الوجوه والأسباب يجب ان أسارع الى أجابتك فيما سألته والله بكرمه المعين علىٰ جميع الخيرات، وبعدما قدمته أقول: أن أول مايلزم الطبيب اعتقاده صحة الأمانة، وأول الأمانة اعتقاده أن لكل مكوَّن مخلوق خالقاً مكوِّناً واحداً قادراً حكيماً فاعلاً لجميع المفعولات بقصدٍ، محيٍ مميتٍ ممرض مشفي[7]. أنعم علىٰ الخلائق منذ ابتداء خلقهم

---

٤) في الاصل مسئلة والصحيح ماأثبتناه.

٥) الكناش، او الكناشة وجمعها كنانيش وهو في الاصل دفتراً يسجل فيه الوارد والصادر، ثم استعمل هذا المصطلح في الطب عنواناً للمؤلفات الموسوعية، والكلمة سريانية.

٦) القرباذين او قراباذين وجمعها القرباذينات، وهو تعبير يوناني يعني الادوية المركبة او دستور الادوية او تركيب الادوية المفردة. وقد استعملها السريان باسم جرافادين عن اليونانية اكربياتيون وتقابلها باللاتينية (ماتيرياماديكا).

٧) وردت في الاصل (مشفا) والصحيح ما اثبتناه.

بتعريفهمماينفعهمليستعملوه، إذ خلقهم مضطرين وكشف لهم عما يضرهم ليحذروه إذ كانوا بذلك جاهلين. فهذه أول أمانة واعتقاد ينبغي للطبيب أن يتمسك بها ويعتقدها اعتقاداً صحيحاً. والأمانة الثانية: ان يعقد لله جلّ ذكره المحبة الصحيحة وينصرف اليه بجميع عقله ونفسه واختياره، فان منزلة المحب اختياراً أشرف من منزلة الطايع له خوفاً واضطراراً. والأمانة الثالثة: ان يعتقد أن لله رسلاً الىٰ خلقه هم انبياؤه، أرسلهم الىٰ خلقه بمايصلحهم، إذ العقل غير كافٍ في كل ما[8] يصلحهم دون من رسل[9] ماشاء وكيف شاء في الوقت الأصلح، كما اختار من الخلق الرسل[10] الصفوة ممن شاء. فهذه أصول الأمانات التي تبحث علىٰ الطبيب أن يستشرها بينه وبين خالقه، ويعتقدها اعتقاداً صحيحاً فقد دلت القدماء علىٰ صحتها وأتت الكتب المنزّلة بها، وشهدت علىٰ حقيقتها، ولايسع ذو شرع الخروج عنها، فليس ينبغي لك ان تحفل بمن عدل عن هذه الأمانات ظناً منه ببطلانها فارزاً علىٰ الشرايع، وأظهر التدهّر والزندقة، فليس ذلك منه الا جهلاً يسوقه الى الهلاك، وسوء العاقبة، فان دعتك نفسك الىٰ ان تختبره، وينكشف لك جهله، فسله عما اعتقده، لِم اعتقده، ولِم عدل عن اعتقاد الكافة واهل شرعه؟ فإنك من مبتدأ جوابه تستدل علىٰ حيرته وسوء عقله، ولعله أن يكون في ذلك مقلداً لمن قد كان يصحبه ممن كان يذهب ذلك المذهب، ويعتقد ذلك الرأي ميلاً الىٰ الرخصة، وخلع العذار وشوقاً الىٰ بلوغ اللذات، ولم يزل هواه يغلبه ولذّاته تغرّه حتىٰ انطمست عين عقله وعميت عن النظر الصحيح فيما يصلحه ويرشده الىٰ المذهب الحق، والرأي الصحيح ودايماً ذلك دأبه والجهل يستحكم عليه أن يؤديه الىٰ الهلاك في دنياه وآخرته ومع ذلك فانه سيكون سببا لهلاك من صحبه من الأغرار فتكون منزلته منزلة أصل الشوك الذي كلما كثرت فروعه عظم ضروره، وعسر قلعه فلا تستأصله الا نار قوية تهلك الفروع والأصل معاً، ان يسقط في الارض من البذر مايكون منه خلفاً كذلك يكون الضرر أعظم كثيراً من اعتقد هذه الآراء، والآفات علىٰ الناس أشد والبلاء أكثر من الأحداث والجُهال التابعين لهم لميل الأحداث الىٰ اللذات، وسروهم بالرخصة، وقلة الكلفة فهم بذلك ينتحون المحرمات ويستحلون المحظورات،

---

٨) وردت في الاصل (كلما) والصحيح ما اثبتناه.

٩) وردت في الاصل (الرسالة) والصحيح ما اثبتناه.

١٠) وردت في الاصل الرسالة والصحيح ما اثبتناه.

فقد أحاط منهم بالتابع والمتبوع نارٌ لاتطفأ ، وعذابٌ لايفنى[١٠ب] بسوء ذكر في الدنيا ، وأليم عذاب في الآخرة في الشقاء، المغرور من هؤلاء الأحداث الكبير العُجب بالحقير من دنياه الكافر بنعم مولاه لو تيقظ من نومته وصحا[١١] من سكرته ففكر في خلق ذاته وبقائه وثباته مع تضاد إسطقساته[١٢] وتعادى اخلاطه[١٣] مدة حياته واتقان أوصاله وأحكام هيئته لكفاه ذلك دليلاً علىٰ وجوب علته، وكان منه أوضح برهاناً علىٰ وحدانيته خالق الكل، وقدرته وحكمته. واذا كان هذا المخدوع قد عمي عن هذا الطريق وجَهَله، فقد كان له عدة اوله من طرق آخر غيره منها تأمله لنوع نوع من الموجودات كعجائب مافي الأرض من معادنها واحجارها ونباتها واشجارها، وماعلىٰ وجهها من اصناف ماشيها وسايحها وسابحات الماء وطائرات الهواء ومابه، ثم كل نوع من هذه من (. . . .) وخواصه المقومة، فانه قد كان يكتفي في استدلاله علىٰ ماقدمناه من صحة تلك الامانات وحقيقة ماذكرناه من الاعتقادات فبعض هذه الطرق اذا سلكها في استدلال سلوكاً مستقيماً، فان فاتته هذه الادلة واخطأ هذه الطرق فقد كان له من الادلة النافعة (. . .) قراءته في كتب الشرايع الحاثة علىٰ الخيرات الآمرة بالصالحات، الباعثة علىٰ النافعات، مقومة الاخلاق ومعدلة الافعال، معدن الآداب والفضايل التي قد خاب من جهلها، وغطت خسارته من عدل عنها، وأخذ نفسه بأمتثال اوامرها، واتباع سنتها، ولذلك وصّىٰ ارسطو طاليس[١٤] للاسكندر[١٥] بهذه الوصية فقال: خذ نفسك بأثبات السنة، فان فيها كمال النقاء. وايضاً فلنقل لمن فاتته هذه الطرق

١٠ب) وردت في الاصل (يفنا) والصحيح ما اثبتناه.

١١) وردت في الاصل (صحىٰ) والصحيح ما اثبتناه.

١٢) اسطقسات ومفرده إسطقس وهي العناصر الاول (الاركان الاول) او جوهرها الذي تتكون منه الكائنات من حيوان ونبات وجماد بما في ذلك الانسان، والعناصر الاول هي الهواء والنار والماء والتراب.

١٣) الاخلاط ـ من سوائل الجسم ومصدرها العناصر الاول من الاغذية، وهي اربعة انواع: خلط الدم وخلط الصفراء وخلط السوداء وخلط البلغم

١٤) ارسطو طاليس، ويذكره العرب باسم ارسطو اختصاراً، فيلسوف وعالم بالاحجار والحيوان والنبات وله مؤلفات اكثرها في الفلسفة وقليل جداً في الطب، شيخه افلاطون ومن تلاميذه الاسكندر المقدوني، وكانت وفاته سنة ٣٧٢ ق.م

١٥) الاسكندر ـ من مقدونيا وينسب اليها، وهو ملك وابن الملك فيليب المقدوني وتلميذ ارسطو طاليس. وقد حكم مصر ثم ديار بابل ثم ديار الفرس وتوفي بمدينة بابل سنة ٣٢٤ ق.م وعمره ٣٢ سنة.

وعُدِم هذه السعادات ان مما يرجىٰ له الشفاء من عُماه، والتخلّص من حيرته قراءته في كتب العقلاء من المتقدمين الذين قد أجهدوا انفسهم بالطرق العقلية والقوانين القياسية في إصابة الحق ودركه فانه قد كان يجد فيها من فصيح الأقاويل وواضح الأدلة علىٰ وجوب الأقرار بالباري تعالىٰ وعلىٰ وحدانيته وقدرته وحكمته ووجوده، والإقرار برسله وشرايعه والثواب والعقاب مالو جمع لكثر وطال وثقل محمله ، ولكن لابأس باثبات اليسير من ذلك لما أرجوبه من النفع لمن التمس الحق، والتوبيخ والإخجال لمن عدل عنه الىٰ الآراء الردية والمذاهب المفسدة. وينبغي أن أقدم من القول في هذا المعنىٰ أقاويل الفلاسفة أبدأ منهم بأقاويل أرسطو طاليس ثم اتبع ماقالته الفلاسفة ببعض ماقالته الأطباء وأظهر أقاويل أرسطو طاليس، وأوضحها في ذلك ماصرح به في كتابه الذي عنوانه (كتاب مابعد الطبيعة)[16] وخاصة في مقالة [اللامنتهي] قال ان الذي لامكان له اصلاً ولاتحويه نهايات الأجسام كما يحوي جميع الأشياء التي في المكان هو اللّه حقاً. وقال ارسطو طاليس أيضاً في مواضع أخرىٰ من هذه المقالة: فأنه من الصواب والحق أن يعتقد أن ذلك الشيءُ المعقول مفرد عن الجواهر جميعاً حتىٰ لايوجد بينه وبينها مشاركة البتة لافي طبع ولافي عرض من الأعراض، وهو اللّه تعالىٰ. ثم قال: وغرضنا إنما هو الكلام في هذا الشيءُ الأعظم، أعني الأول الذي لايتحرك وهو اللّه الحق. وقال أيضاً: المحسوسات واقعات تحت حس البصر منها[17] الأجسام السماوية والأجسام الأرضية من الحيوان، والنبات وأمرها بينّ، وأما الفاضل الأول فهو الذي هو غير متحرك الأزلي والأبدي. وقال أيضاً: وذلك أنه ليس بينه وبين ماهو دونه من الجواهر مشاركة في شيُ من الأشياء أصلاً لافي تغيّر من كل التغير ولا في مكان ولافي نمو ولاينقص ولايجمعهما أيضاً مبدأ واحد عنه حدثاً لكن البدء الأول الذي هو اللّه لامبدأ له أصلاً، وكلما هو دونه فمبدأه منه. ومن أقاوليه التي صرح فيها بضرب من ضروب النبوة قوله في الطبيعة هذا القول، قال: وليس بعجب أن تكون الطبيعة وهي لاتفهم منساقة بما يفعله الىٰ الغرض المقصود اليه إذ كانت لاتروي ولاتفكر في فعل ماتفعله. .

---

١٦) كتاب مابعد الطبيعة ـ من مؤلفات ارسطو طاليس وهو بثلاث عشرة مقالة، وقد فسره الاسكندر الافروديسي الدمشقي في القرن الثاني للميلاد (ابن ابي اصيبعة ص ١٠٦).

(١٧) في الاصل منه.

قال: وهذا ممايدلك على انها أُلهمت إلهاماً تلك النسب من سبب هو أكرم منها، وأشرف وأعلى مرتبة ولذلك صارت تفعل ماتفعل منساقة نحو الغرض وهي لاتفهم الغرض كما قد ترى القوم الذين يلهمون أن يتكلموا[18] بكلام ينبئون به كما يسألون عنه قبل أن يكون فهم لايفهمون العلة فيما يقولون، وقال ايضاً: فالصانع لهذا العالم ولترتيبه وهو الحق الأول، وله العلم المحض في الغاية القصوى، وعن علمه يكون ترتيب الأشياء ونظامها والى الاقتداء به يشتاق. وقال أيضاً، بعد كلام طويل: فقد تبين من هذا أن الله يعلم ذاته، ويعلم بذلك جميع الأشياء التي هو مبديها واحوالها وتصرفاتها ويعلم ذلك كله معاً. وقال أيضاً في كتاب سمع الكيان[19] اقاويل كثيرة من هذا الفن غير أني اكتفي منها بقول واحد قاله من المقالة الثامنة منه، قال: ليست الخليقة ياهذا غير مهيّأة مفعولة، وأنها لحسنة التهيئة والفعل وإذا كانت فيها تهيئة فقد اضطرت أن تكون بإرادة وقدرة عليها نعتٌ وحَدٌ وأن الذي منتهى له ليس له نعتٌ ولاحدٌ واما أفلاطن[20] فانه تكلم في النفس في الكتاب المنسوب الى فادن (في النفس) وأطنب في وصف الثواب والعقاب والحساب في الآخرة، وطبقات الثواب والعقاب بعد الموت مما يطول إعادته ولكن نذكر منه طرفاً، قال سقراط[21]: أظنك يافانس[22] لم تفهم عني بعد قال فانس لا والله واهب الحياة فما فهمت عنك على ماينبغي قال سقراط: فافهم عني فإني مستأنف بك قولاً مجدداً، ثم قال سنقراط بعد ان قال، فان سلّمت مامن هذه الأشياء اوجدتك ان النفس شيٌ لايبطل بعد مفارقة البدن، قال فانس فبادر بنتيجتك فأني مسلّم لك، قال سقراط بعد ان قال، فالنفس غير مايتة ولاباطلة بعد مفارقة البدن، قال سقراط: ثبت يافانس أن انفسنا بعد الموت موجودة لافي مدة هذا الزمان

---

(١٨) في الاصل يتكلمون والصحيح ما اثبتناه.

(١٩) كتاب سمع الكيان ـ من مؤلفات ارسطو طاليس بثمان مقالات، وقد فسّره الاسكندر الفروديسي الدمشقي (ابن ابي اصيبعة ص ١٠٤).

(٢٠) افلاطن ـ افلاطون وفلاطن ـ من مشاهير فلاسفة اليونان، معلم ارسطو وفلسفته في نظرية الانكار وله مؤلفات كثيرة فيها. وكانت وفاته باثينا سنة ٣٤٧ قبل الميلاد بعمر يناهز الثمانين عاماً.

(٢١) سقراط ـ من اوائل فلاسفة اليونان باثينا، وفيها علم تلميذه افلاطون وآخرون بطريقة السؤال والجواب ليكشفوا عن المعرفة بانفسهم. وقد حكم عليه بالاعدام بتهمة إفساد عقول الشباب سنة ٣٩٩ ق.م.

(٢٢) فانس ـ فيلسوف يوناني وكان بينه وبين سقراط تواصل في تناقل المعرفة.

الذي ينسب فيه الىٰ الحياة بل في الأبد أبداً، وقال في موضع آخر: وعند ذلك لايؤذن في السرور فانه لو كان الموت هو بوار الأمر كلّه لكانت هذه هي فرصة الأشرار اذا ماتوا وان يستريحوا مِن البدن ومن (مرغم) مع النفس التي هي في ابدانهم. وقال ان كل واحد من الناس اذا مات فان ملكه الموكل به خاصة وهو حيٌّ يروم ان يسوقه الى موضع من المواضع المذكورة فيه بحيث يجوز المجتمعون فيه علىٰ ماهم وعلىٰ ماعليهم فيقودهم الىٰ الآخرة قائد من الملائكة مأموراً بأن يمضي بمن هناك الىٰ هناك فاذا جُوزوا هناك بما يستحقون المجازاة به ولبثوا بالمكان المدة الزمان التي يجب ان يلبثوها فيه ساقهم سائق آخر من الملائكة فردهم الىٰ ماهناك في أدوار من الزمان كثيرة بعيدة المدة وأخلق بمسيّر الأنفس الا يكون كما ذكر أرشيجانوس[٢٣] عن طيلاس[٢٤] فان ذلك قال: أيها الملك انما تسيّر الانفس في طريق واحد منفرد، قال سقراط لكن الصحيح فيها تشعب في طرقٍ كثيرة مختلفة، ونحن نقول ذلك علىٰ حسب مايستدل به من الذبايح والاشياء المفترضة في الشريعة أن نفصلها بالنفس الذاهبة الكيّسة تنقاد لسائقها ولايجهل ماهي فيه، وأما التي هي مُغراة بالشهوات الجسدانية فانها كما قلنا تبقى مدة من الزمان طويلة تجول متحيرّة تجاذب مُجاذَبة مُجاذبةً شديدة وتلقىٰ أنواعاً من الجهد كثيرة، فبالعسر والكف تمضي منقادة للملك المأمور بسياقها فاذا انتهت الىٰ الموضع الذي فيه الأنفس الأخر غيرها، اما اذا كانت دنسة فقد فعلت أفعالاً دنسة أما من القتل جوراً أو ظلماً، وأما من غيرها الى ماشابهه ومما هو من أنفس هي نظايرها فان كل ملك قد يهرب منها ويزوغ عنها ولايشاء ان يقارنها في طريق ولايقودها وتبقى نقية وهي علىٰ غاية (الخير)[٢٥] الىٰ ان تنقضي (أطوار)[٢٦] من الزمان وعند انقضائها تأتي بها الضرورة الىٰ المسكن الذي هو أولىٰ بها. ثم ذكر فلاطن في هذا الكتاب صفة أراضي نضرة منبتة أنواعاً من الأشجار الطيبة الروائح الحسنة المنظر الرفيعة القدر، وبقاع كثيرة الأنهار الكدرة التي

---

٢٣) اوشيجانوس ـ فيلسوف وطبيب وابن طبيب، مارس الطب ايام الامبراطور تراجان (٥٣ ـ ١١٧م) وله مؤلفات في الطب وعلوم الطبيعة يثني عليها سوارنس وجالينوس، وذكره ابن القفطي باسم ارستيجانس (ابن القفطي ص٧٣.

٢٤) طيلاس ـ من الفلاسفة اليونانيين في القرن الاول للميلاد.

٢٥) وردت في الاصل الخيرة والصحيح ما اثبتناه.

٢٦) وردت في الاصل (اطواراً) والصحيح ما اثبتناه.

تحوي الطين ذا الروائح الكريهة والالوان الوعرة تهوي الى قعر الأرض، ونيران تسمى الجحيم. وذكر أن الأشرار فيها يعذبون والأخيار في تلك يخلدون، وهذا من كتب فلاطن المشهورة. وانما اقتصصت مااقتصصته منها ليسمعه هذا السئ العقل الردئ الحظ المستخف بشرعة الناس، أهل العقول والأديان، بكفره فيرجع عن جهله وعداوته وأنا أزيده من أقاويل بقراط[27] وجالينوس[28] مايزده بياناً، قال بقراط في كتابه في كون الجنين[29] مُقراً بالله تعالى وبتكوينه للخلائق قصداً: فاذا امتلأ من الريح صيّر الله للريح طريقاً في وسط المني، **وقال ايضاً في كتاب حبل على حبل[30] وكتاب المولودين في سبعة أشهر فكثير منهم** يحيون لأن الزمان الذي يخلق الله فيه الجنين في الرحم، وقال ايضا من كتابه الذي سماه كتاب الوصايا[31] قال: وأي امرئ أعطاه الله علماً يشفي به المريض وحباه بذلك، وقال في كتابه في الأيمان والعهود[32] أني أقسم بالله ربّ الحياة والموت وواهب الصحة وأقسم بأسقلبيوس[33] وبخالق الشفاء وكل علاج، واسقلبيوس فهو جده القديم في الطب، وقال أيضاً وأقسم بأولياء الله من الرجال والنساء جميعاً، وأما جالينوس فانه في تفسيره لهذا الكتاب في تفسير الفصل الأول منه قال: فأما نحن فالأصوب عندنا والأولى ان نقول ان الله جلّ وعزّ خلق صناعة الطب وألهمها للناس، وذلك أنه لايمكن في مثل هذا العلم الجليل أن يدركه عقل الانسان، لكن الله هو الخالق الذي هو بالحقيقة قد أكنه خلقه وذلك انك لاتجد الطب أحسن من الفلسفة التي ترون ان استخراجها كان من عند الله تعالى بإلهام منه، وقال

---

٢٧) بقراط ـ ابقراط وتقراط وهو ابن إبراقليدس بن بقراط، من اهل جزيرة قوص (قو) القريبة من شواطئ آسيا الصغرى، وهو اشهر الاطباء اليونانيين قبل الميلاد، وأب لثلاثة اطباء وحفيد لثلاثة اطباء كل واحد منهم باسم بقراط. وكانت وفاته سنة ٣٧٧ ق.م بعمر ثلاثة وثمانين سنة. وهو صاحب القسم المشهور.

٢٨) جالينوس ـ اشهر طبيب يوناني بعد ابقراط، وهو مفسر كتبه. واصله من برغامون بآسيا الصغرى وينسب اليها. وقد درس الطب وعلمه في الاسكندرية، وله زهاء مائة وثلاثين كتاباً ترجمت اكثرها الى اللغة العربية. وكانت وفاته سنة ٢٠١ بعد الميلاد لعمر يناهز السادسة والستين.

٢٩) كتاب كون الجنين ـ من مؤلفات ابقراط، ويذكره ابن ابي اصيبعة بعنوان كتاب الاجنة وهو ثلاث مقالات، في كون المني وكون الجنين وتكون اعضائه

٣٠) كتاب حبل على حبل ـ من مؤلفات ابقراط وقد نشره المستشرق ليون في كمبرج مع ترجمته بالانكليزية بكمبرج سنة ١٩٦٨.

٣١) كتاب الوصايا ـ وهو لإبقراط ايضاً، ويقال انه منحول عليه (ابن ابي اصيبعه ص٥٥)

٣٢) كتاب الايمان ـ لابقراط، وقد وضعه للمعلمين والمتعلمين وقيل انه منحول (ابن ابي اصيبعة ص٥٥)

٣٣) نبي اطباء اليونان، وتاريخه اشبه بالخرافة (ابن ابي اصيبعة ص٢٩ ـ ٣٣).

جالينوس في تفسيره للفصل الثاني من هذا الكتاب، قال: بعد أن أحلف بقراط من يتعلم صناعة الطب بالله تبارك (وبمن) كان أول من أستخرج صناعة الطب عاد فأحلفه بأولياء الله من كان منهم يونانياً، ومن كان منهم من غير اليونانيين ليكون كل واحد ممن يحلف اذا حلف بأولياء الله من عشيرته حفظ مايحلف بسببه حفظاً بالغاً. وأما ماقاله جالينوس في كتبه في هذا المعنىٰ فكثير نذكر منها يسيراً، قال في المقالة الخامسة من كتابه في منافع الاعضاء:[٣٤] وذلك أن بعد همتك وعنايتك لايلحق بحكمة الخالق لذلك وببعد شأنه وعنايته. ثم قال في قول آخر بعد ذلك: فأني ارى ان في ذلك كفاية في البيان عن اثار حكمة الله تعالى في الخليقة. وقال في المقالة السادسة من هذا الكتاب: وخالقنا اذ هو حكيم لايغيب عن حكمته شيء فهو لم يخلق في شيء من الحيوان شيئاً باطلاً ولاجزافاً.

وقال في المقالة السابعة منه في خلق القلب وتجويفه الايسر منه: فيجب ان لنا الشكر له إذ كان إنما لطف في ذلك واحتاط فيه حتىٰ جعله علىٰ ماهو عليه [لكي لا] [٣٥] تجمد الحرارة الغريزية. وقال أيضاً: وهذا السرّ الذي أريد أن أخبرك به ليس دون تلك الأسرار ولا ينقص عنها في الدلالة علىٰ حكمة اللّه وقدرته وعنايته، وقال: وقد أشرفت من لطف الخالق وقدرته في هذا وغيره علىٰ أشياء انا مقرٌّ أن طاقتي تقصر عن بلوغ مايستحقه من الثناء والمديح على حسن تقديره لخلقه، الحيوان وغير الحيوان. وقال في (التاسعة): لم يخلق الله شيئاً مما وصفنا باطلاً، ولاعن غير تعمد. وقال في (العاشرة): وجميع ماوصفنا يدل علىٰ سابق علم خالقنا وحكمته العجيبة. وقال: فلما صحّت عزيمتي علىٰ الاضراب عن شرح كذا وكذا[٣٦] تخفيفاً عن المتعلمين رأيت فيما يرىٰ النائم بإلهام من الله طارقاً طرقني يعذلني ويلومني ويقول لقد ظلمت هذه الآلة التي هيّأها الله ونافقت الخالق تبارك شرح هذا الفعل العظيم الذي يدّل علىٰ غاية رحمة الخالق بالخلق فالحق آخر هذه المقالة، ثم قال: أمرني واحد من الملائكة بعد ذلك بشرحها وأنا منتهي الىٰ ما أمرني به. فقال أيضاً فان الله يعلم أني مأأتزيّد فيما أقول ثم قسم: أني مأأتكلم الا بحق من قبل أن يأمرني الله سبحانه

---

٣٤) كتاب منافع الاعضاء - من مؤلفات جالينوس، ويبحث في وظائف الاعضاء الغريزية. وقد ترجمه حنين بن اسحق الىٰ العربية (ابن ابي اصيبعة ص١١٧)

٣٥) وردت في الاصل (لكيلا)، والصحيح ما ابتناه.

٣٦) وردت في الاصل (كذىٰ) وكذىٰ والصحيح ما ابتناه.

بوضع هذا الكتاب قد كنت عزمت علىٰ أن أطرح أكثره، وذلك لئلا يبغضني ويشنأني كثير من الناس، وقال في الحادية عشر[٣٧]: ولاعلم لي كيف يجوز أن أنسب من زعم أن هذا التدبير العجيب والحكمة الفائقة وقع كل ذلك بالبحث، والاتفاق ياهذا ان كان هذا يقع بالبحث والاتفاق فأي شئ يكون بالتعمد والعناية والقصد واللطف والحكمة. وقال جالينوس هذه المقالة مُقرّاً بصحة ماقاله موسىٰ عليه السلام وعلىٰ سائر النبيين، والذي هو أفضل وأصوب هو ان نقول في ابتداء خلق الخالق لجميع ماخلق علىٰ المذهب الذي يقول به موسىٰ، ثم قال: قف عند العلم والقول أحب أن تكون هذه الأمور علىٰ ماوصفنا لهذه الأسباب التي ذكرتها ولايتجاوز ذلك عن الفحص عن كيف كانت فان الفحص عن ذلك جرأة وتهجم وإقدام فإياك أن تأخذ فيه ولاترده فأنه قبيح بك أن تتقدم علىٰ الفحص كيف كانت أمور قد كنت أقررت بأنها كانت، ولاسبيل لك الىٰ العلم بذلك. وقال في (السابعة عشر)[٣٨] وهي آخر مقالات الكتاب: وقد بلغ من حكمة القادر البرغوث وقدرته إنا نجده يخلقه وينميّه ويغذوه اضلاعنا ولانكلف، فاذا كنا نجد في هذا الحيوان الذي قد بلغ من خساسته ان يتوهم المتوهم انه انما كان عن غير تعمد حكمة هذا مبلغها فكم بالحري ينبغي ان يتوهم فضل حكمة الباري وقدرته في أصناف الحيوان الجليلة القدر، فهذا أحد المنافع العظام التي نستفيدها من علم الطب أعني من طريق انا محتاجون الىٰ الدلالة علىٰ قوة الله ان كان قوم يرون ان هذه القوة ليست موجودة أصلاً، فضلاً عن أن يكون يعنىٰ بمصالح الحيوان، وقال جالينوس أيضاً في كتابه فيما يعتقدونه رأياً وقد ذكره الله تعالىٰ فانه شفاه من علة مؤيسّة فقال: ولذلك أعتقد إعظامه وتبجيله واتبع في ذلك الشريعة والسّنة وأقبل مأمر به سقراطيس[٣٩] من قول مأمر الله به. فيدى ماذكرناه في هذه الأقاويل الجليلة عن (هؤلاء) القدماء الأفاضل الذين يقرون فيها بالله تعالىٰ وبرسله وبالوحي وبالثواب والعقاب لم يشفَ بعد عمىٰ هذا الشقي المغرور، ونحن نقول ان ماأحضرناه كافٍ لمن آثر الحق ومال الىٰ الصدق ولو عرفت أن الزيادة تنفع من لم ينتفع بما تقدم ذكره لزدت من

٣٧) يقصد المؤلف بذلك المقالة الحادية عشر من كتاب منافع الاعضاء.

٣٨) يقصد المؤلف بذلك المقالة السابعة عشر وهي المقالة الاخيرة من كتاب منافع الاعضاء.

٣٩) سقراطيس ـ وهو سقراط.

أقاويل [هؤلاء] وغيرهم ممن هم في طبقتهم مثل فيراغورس[٤٠] وافيغروس[٤١] وديمقرطس[٤٢] وزينون[٤٣] وأمثالهم. ومن اقاويل أفاضل من الحدث مثل: الكندي[٤٤] وحسبك به جلالاً وفضلاً فانه قد أطنب في هذه المعاني وخاصة في كتابه في الفلسفة الخارجة في الردّ على الثنوية[٤٥] ومثل حنين واسحق[٤٦] وبنيه وغيرهم من أهل العلوم العقلية، فأن حنيناً، وعلى أنه على ضد مذهب التوحيد قد وضع مقالة في التوحيد ووضع أيضاً مقالة في صحة الرسل، ولكني أكتفي بما ذكرته لما فيه من توبيخ وتنبيه لمن يرجى له الفلاح والصلاح، وأما من لم ينتبه لما نبهناه فليعد من الموات، أو من البهايم التي لايؤثر فيها التوبيخ والعتب، فقد قيل لبرزجمهر[٤٧] مابالكم لاتعاتبون الجهلة؟ فقال: لأنا لانريد من العميان أن يبصروا.

ولنرجع اليك أيها المحب للأدب فنقول أنه إذا صحت أمانتك[٤٨] مما تقدم القول به من الإقرار بالله جلّ وعزّ ومن المحبة له والاعتراف بحقه والاقرار برسله والتمسك برسائله فعليك بالعبادة له بما يرضيه، ولن تقدر على ذلك دون ان تصلح أخلاقك وتعدل أفعالك، ولايمكنك ذلك حتى تعلم أصول قوى النفس وهي ثلاثة قوى كما بيّن ذلك القدماء.

---

٤٠) فيراغورس - ويقصد به فيثاغورس الفيلسوف والرياضي اليوناني في القرن السادس ق.م صاحب الاعتقاد بتتابع الارواح واعتماد الكون على الارقام. وتنسب اليه جداول الضرب

٤١) افيغروس - ويقصد به افيديروس من فلاسفة اليونان الاوائل.

٤٢) ديموقريطس من فلاسفة اليونان في القرن الخامس ق.م وفلسفته ان الانسان يحقق السعادة بضبط النفس.

٤٣) زينون - فيلسوف يوناني من مواليد مدينة صيدا القرن الاول ق.م واليها ينسب.

٤٤) الكندي - ابو يوسف يعقوب بن اسحق، ويعد كبير فلاسفة العرب في المشرق الاسلامي وله مؤلفات كثيرة في الفلسفة والفلك والفيزياء والطب. وكانت وفاته سنة ٢٥٧ هـ/ ٨٧٠م.

٤٥) الثنوية هي المذاهب الفارسية التي تؤمن بالقوى المتضادة، مثل النور والظلام والخير والشر، ومن اشهر هذه المذاهب المانوية والمزدكية.

٤٦) حنين بن اسحق - شيخ المترجمين العرب ايام العباسيين في القرنين الثاني والثالث للهجرة. واصله من قبيلة العباد العربية بديار الحيرة. درس العربية على تلاميذ الفراهيدي، واليونانية في مصر، ثم عاد الى بغداد ودرس الطب على يوحنا بن ماسويه ، وتوفى ايام في الخليفة المعتمد سنة ٢٦٤ هـ/٨٧٣ (ابن القفطي ص١٧١ - ١٧٧)

٤٧) برزجمهر - من حكماء الفرس ايام كسرى انو شروان المتوفى سنة ٥٧٩ للميلاد.

٤٨) قد تكون هذه العبارة اصح لو وضعت هكذا (اذا صح ايمانك).

الطبيعيين والأطباء، فان جالينوس قد شرح ذلك وكشفه في كتابه في آراء بقراط وفلاطن[٤٩] وفي كتابه في الأخلاق[٥٠] وفي مقالته التي بيّن فيها ان قوى النفس تابعة لمزاج البدن، وقال: إن القوة الاولى من قوى النفس هي القوة النفسانية وهي التي تتم أفعالها بالدماغ، والقوة الثانية هي القوة الحيوانية وأفعالها تتم بالقلب، والقوة الثالثة هي القوة الشهوانية وأفعالها تتم بالكبد. ثم تعلم باعتدال هذه القوى في الانسان تكون اخلاقه فاضلة ممدوحة ونفسه طاهرة زكية، وبخروج هذه القوى عن الاعتدال تصير أخلاقه مذمومة ونفسه رذلة، فاعتدال القوة النفسانية يكسب الانسان اللّب، والعقل وجودة التحصيل والتميز وصحة الفكر، واعتدال القوة الحيوانية يكسبه الهدوء والرزانة وقلة الحرد والغيظ، واعتدال القوة الشهوانية يكسبه العفة وضبطه لنفسه عن اتباع الشهوات واللّذات. وبعد علمك بما ذكرناه يجب ان تروض نفسك وتعوّدها هذه الخصال الثلاث، اعني العقل والرزانة والعفة لتصير فاضلاً أديباً وتنقي نفسك وتصلح لاقتناء العلوم، واجتهد في الحذر من الوقوع في أمراض هذه القوىٰ فأن خروج القوة النفسانية عن اعتدالها هو مرض لها يوجب سوء التحصيل والجهل. وخروج القوة الحيوانية علىٰ اعتدالها هو مرض لها يوجب سرعة الغضب والجزع. وخروج القوة الشهوانية عن اعتدالها هو مرض لها يوجب ألّا يضبط الانسان نفسه او الا تقوى له شهوة، واجتنب هذه الحالات الست فانها أمراض للنفس يوجب لها الفجور والخبث والدناءة. وتعمد العدل فان فضيلته به تنزل النفس كل شئ منزلته واستوصِ بوصية ارسطوطاليس للاسكندر، فانه قال: لاتمل الى الغضب فانه من أخلاق السباع والصبيان، لاتفرط في الجزع علىٰ مافاتك فان ذلك من خواص النساء الضعفاء، ولاتمل الىٰ النكاح فانه من خواص الخنازير وهي أقوى عليه منك وهو يهلك العمر. أصلح نفسك لنفسك فيكون الناس تبعاً لك وتمسك بالحرية فانها فضيلة للنفس بها تكون السماحة في البذل لاقتناء الحسنات وكن شريف الهمة فأن من شرفت همته نال الخير والكرامة، ومن دنت همّته ناله الشر والهوان.

---

٤٩) كتاب آراء بقراط وافلاطون ـ من مؤلفات جالينوس بعشر مقالات وهو في التوفيق بين الطب والفلسفة، وقد ترجم حنين هذا الكتاب الى اللغة العربية (ابن ابي اصيبعة ص٢٧٢).

٥٠) كتاب في الاخلاق ـ وهو لجالينوس باربع مقالات (المصدر المتقدم والصحفة).

انصرف الى تسديد رأيك وميزّ الخير من الشر برزانة ليوجد منطقك سديداً ، وفعلك حميداً ، وتوقَّ القلق عند الغضب والإفراط في العقوبة عند الأدب واحذر اللجاج مع شراسة الخُلق فانهما يدلان على الحمق . كن قويِ النفس عند الأمور المفزعة لا يتداخلك الرعب ولامن الموت . وكن مقدماً شجاعاً عند الاضطرار الى المخاطرة مؤثراً للموت المحمود على البقاء المذموم ، إستعمل الصبر ، وتجشّم التعب ولاترغب في الراحة واللعب . كن عفيفاً ، دمثاً ، شكلاً ذا وقار لئلا تكون سخيفاً زرياً ذا احتقار . أحرق الشهوات بنار الصبر قبل أن توردكِ اللذات الى عميق القبر ، مع تمسكك بالعدل فتمسّك بسنن ملتك وبلدك ولاتخرج عن اجماعهم واحذر مخالفة الشريعة لئلا تكون عقوبتك قريبة سريعة ، قال أرسطو طاليس : أول العدل ماقضيناه من حق اللّه تعالى ، وبعد ذلك مانلزم أنفسنا من طاعة الملوك ، وبعده الذي يجب علينا لأهل مدينتنا وبلادنا ، وبعده مانفعله مع سلف منا ، وفي ذلك رحمة هي جزء من العدل أو من لواحقه . وقد يلحق العدل السلامة والصحة والأمانة وبعض السرور . كن ذا لطافة ورأفة ومرؤة فان ذلك من أخلاق الحرية قال أوميروس [٥١] الشاعر : لاينال المراتب السنية بخيل ولايرتقي على الدرجة العليا الا كريم ودّ الأقرباء ، وحب الأخيار ، تحنن على الغرباء ، فان ذلك من فعال الأحرار الأدباء ، ليس السعادة حب الكرامة (والتفتق) والتمتع باللذات والسرور بالسلطنة والغلبة عند المبارزة ، فان اعتياد هذه ومداومتها ترخي النفس ، ولكن احتمال الشقاء وقوة النفس عند النصب ، والاغتباط بالقناعة جميع ذلك من السعادة وكبر الهم [٥٢] والشجاعة ، قال سقراطيس قارض اللّه دهرك واجتهد في ذلك مع موافقة الجماعة فان العصمة بذلك مع العمل بالسنة . ثم كن بعد ذلك مع والديك كما تحب أن يكون معك بنوك ، وكفى بهذه غاية وصفة لعظيم حقهما عليك إن كنت ترى لنفسك على و لدك حقاً . ابطاؤك بالمؤاخاة أحسن بك من أن تواخي اليوم وتهجر غداً فلا خير في سرعة المؤاخاة وتعجيل الصريمة فان كلاهما من عمل أهل السخافة والطيش واعلم أن مودة الأخيار دائمة زائدة ، ومودة الأشرار سريعاً بائدة . واصلح من ميراث المال من الآباء

---

٥١) اوميروس او هوميروس ـ شاعر يوناني في القرن التاسع ق.م، وتنسب اليه ملحمتا «الالياذة» و«الاوديسة» ويقال انه كان مكفوفاً.

٥٢) وردت في الاصل (كبرالهم) والصحيح ما اثبتناه.

وراثة الأخوان والأحباء . عند الشدايد تمتحن صحة الصداقة كما يمتحن صحيح الذهب بالنار ، أسبق بالجميل الى أصدقائك قبل التماسهم ذلك منك ، وخاصة إن عثر الدهر بهم . أودع الخيرات لأهل الصلاح والأبرار ولاتثق عليهما بأهـل الطلاح والأشـرار . امقت المخادع والملّاق كمقتـك الكذاب السّـراق . كن سهلاً خلطاً بـالأخوان مكـرماً ومفضلاً على الجيران . قرب ممن قرب اليك وأعف عمن جفا عليك واعلم أن استقامة الأدب مع الحكمة خير من المال والسلطنة . قال أرسطو طاليس : الحكمة رأس التدبير ، وهي سلاح النفس مرآة العقل .

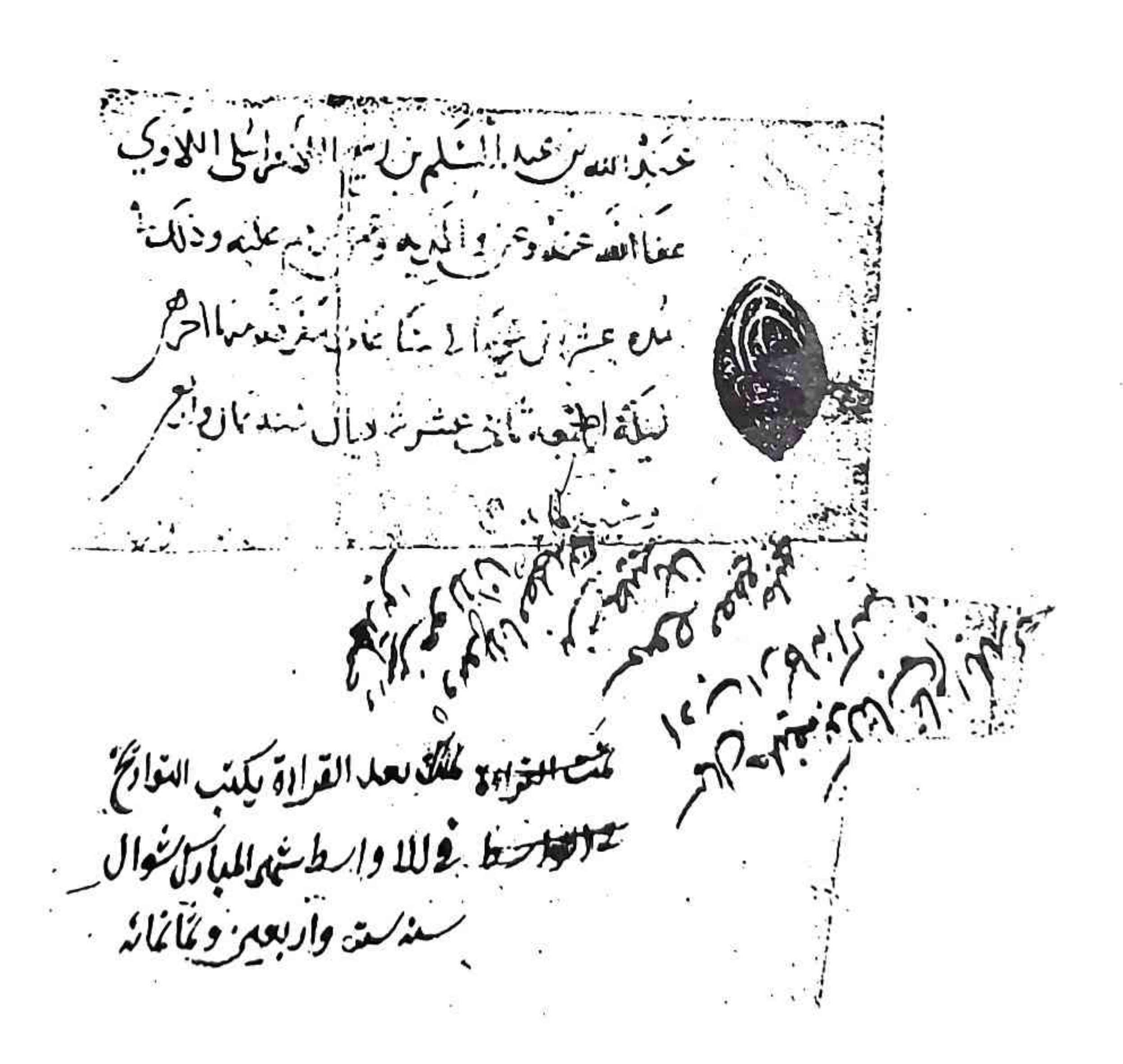
اجتهد إلاتكون واعظاً بجميل الأقوال لكن تكون عظتك بجميل القول والفعال .
لاتأخذن الحدث بصعب التأديب لكن درجه الأدب بترتيب . لقح عقلك بالآداب كما تلقح الشجرة بالشجر الكراب . رض النفس بالحكمة لتدرك الحقيقة كرياضة الراضة للجسم لتصبر على المشقة ، واعلم بأن الحكمة تفضي باهلها الىٰ مراتب عظيم فضلها كما أن من ولي سلطاناً وجب عليه أن يبعد الأشرار عنه ، لأن جميع عيوبهم منسوبة اليه ، كذلك أنت أيها الطبيب يجب أن تبعد عنك الأشرار من الأصحاب والتلاميذ فان جميع مايأيتك (٥٣) من صحبك وخدمك منسوب اليك من قول وفعل ، واعلم ان الفقر مع الحلال أصلح من الغنى مع الحرام، والذكر الحسن مع بقائه خير من نفيس المال مع فنائه، وايضاً فان المال قد يوجد عند السفهاء والجهال، والحكمة لاتوجد الا عند أهل الفضل والكمال. اجتهد في أن يكون سرورك وحزنك جميعاً بتوسط، وكن علىٰ مازاد منهما بتسلط وتأمل حال النفس الموسّطة للاخلاق من هذا القول الذي أحكمته لك من كلام جالينوس في اول المقالة الثانية من كتابه في المزاج(٥٤)، فانه قال بعد ان وصف حال المزاج المعتدل هذا القول، قال: فهذه حال الانسان الذي هو أعدل الناس مزاجاً في بدنه، وهو أيضاً في نفسه متوسط بالحقيقة فيما بين الشجاعة والجبن وبين البطئ المتأخر وبين العجول المتهوّر، وفيما بين الرحيم وبين الحسود، ومن كان كذلك فهو طيب النفس محب متحبب متوخي لمحبة الناس، دمث. واذا كنت مجتهداً على أن تخفي مالك في بيتك فأحذر ان تخفي

---

٥٣) وردت في الاصل (ياتيه) والصحيح ما اثبتناه.

٥٤) كتاب المزاج ـ من مؤلفات جالينوس ويبحث في مزاج الابدان والادوية والاطعمة. وقد ترجم حنين هذا الكتاب الى اللغة العربية (ابن ابي اصيبعة ص٢٧٣).

حالاتك في نفسك. واجتهد أيضاً أيها الطالب للحكمة والأدب في إصابتهما من كتب أهلها، والتقط ألفاظهما ومعانيهما كما تلتقط النحلة مايلائم عملها من جميع الشجر، وتعمل منه ما يصلح للبناء بيتاً، وماتغتذي به وهو العسل تدّخره محفوظاً. فتأدب بما قدمنا ذكره من هذه الوصايا والجمل ففيها كفاية للنفوس المسعودة ثم انصرف الى الاهتمام بما يصلح جسمك، ويحفظ صحتك فاني ذاكر جمل ذلك في الباب الثاني من هذا الكتاب وهو الذي أبتدي به الآن فتدبره حسناً.



تمت القراءة ... بعد القراءة بكتب التواريخ
... في ... واسط شهر المبارك شوال
سنة ست وأربعين وثمانمائة

الباب الثاني

في التدابير المصلحة للأبدان، وبها يصلح الطبيب جسمه وأعضاءه.

أقول والله المعين أن الخالق تعالىٰ لما شاء إظهار حكمته وقدرته جعل كل مخلوق محكماً، وجعل الأدلة في المخلوقات علىٰ إحكام خلقتها، وقدرة خالقها تبارك كثيرة جداً. من ذلك ماجعل لبعضها من الاتصال الطبيعي ببعض ومافضل بعضها عن بعض ومارتبها بذلك مراتب[٥٥] مختلفة لتأخذ من نوره، وتقبل من حكمته بحسب مالها من شرف المنزلة، فأعطىٰ تعالىٰ الناميات من القوىٰ الأربع الذي بها تغتذي وتنمو ليتم لها البقاء بنوعها مالم يعطه للجمادات. ووهب تعالىٰ للانسان من نوره نفساً علّامة عاقلة مميزة مالم يعط ذلك لغيره من الحيوانات، فالانسان لذلك هو اتم أنواع الحيوان وأكمله، لأنه من جسم حي ومن نفس ناطقة، ولأن النفس الناطقة هي المتمّمة لنوع الانسان وأفعالها بجسمه تظهر، فلذلك بني جسمه بناءً يلائم قواها كالذي بنيت عليه أجسام سائر الحيوان من الملائمة[٥٦] لقوىٰ نفوسها، فما كان منها شجاعاً محباً للغلبة والقتال بنىٰ لنفسه جسماً يصلح لهذه الأفعال كالسبع والنمر والذئب وأشباه هذه، وماكان منها جباناً خلقت له آلة تصلح للهرب كالأرنب والثعلب وأشباه هذه من الحيوانات، فلذلك بني جسم الانسان أيضاً بناءً يلائم

---

٥٥) وردت في الاصل (مراتباً) والصحيح ما اثبتناه.

٥٦) وردت في الاصل (الملاومة) والصحيح ما اثبتناه.

نفسه، فنفس الانسان لما كانت أصفىٰ النفوس وأعدلها، بني لها جسم[٥٧] أكمل الاجسام أعضاءً، وأتمها هيئة، وأعدلها مزاجاً لتكون أفعاله تامة متقنة ككمال نفسه وتمامها وشرفها. وايضاً لما كان البدن آلة للنفس، وكانت أعضاء البدن مخلوقة لنفس الحيوان بحسب قواها وكان لكل حيوان من الحيوانات عمل يخص ذلك النوع من الحيوانات لايقدر علىٰ غيره، وأعضاءه كلها مرافد بعضها بعضاً في مصالحه، وفي اكمال ذلك العمل كالذي نجده من عمل الزنبور والنحل والنمل لثبوتها كل واحد بحكم ثبوته، وتشكلها بغير تشكيل الآخر لكن بحسب مايلائم مصلحته، وكنسج العنكبوت لأجنته ودود القز، وماسوىٰ ذلك من الحيوان، وكان الانسان لشرف نفسه، ولكمالها ولقوة عقله علىٰ العلم بجميع المهن والصنايع، وان الحكيم جل ذكره أراد إظهار مافي قوة نفس الانسان الىٰ الوجود بالفعل خلق أعضاء جسمه أكمل وأتم ليقدر علىٰ جميع مايعمله الحيوان طبعاً بعقله، فخلق تبارك له اليدين ليقدر بهما علىٰ عمل مادقّ من المهن وماجلّ وليتخذ بها أنواع السلاح كالسيف والرمح والنشاب والترس، ويروض الخيل ليركبها، إذ كانت هذه الأشياء متفرقة في الحيوانات كالذي يوجد من الأنياب للخنزير لينجل بها فيقطع ماأمكنه قطعه، كقطع السيف، وكرمي القنفذ بشوكه كرمي السهم، وكالقرون والمخالب[٥٧ب] والجبن لسائر الحيوان. وليست توجد أمثال هذه مجموعة ترى كاملة الا للانسان وحده لأنه بعقله يلتمس الأعمال ويقوّمها، والحيوان فانما له عمل واحد يعمله بطبعه، ألاترى ان الحيوان لما كان بأسره مضطراً في البقاء (الىٰ) المأكول والمشروب والمكان والستر من الحر والبرد والتناسل، صار بطبعه يتخذ له الأعشاش والبيوت، وبطبعه يعرف انواع أغذيته الموافقة له في بقائه، لايبعد لها، ومشروبه لايتعدّاه، ويزاوج الذكور من كل نوع اناثه للنسل لايتجاوز ذلك، وبعضه في اوقات من الزمان لايزيده، ومالم يقدر عليه من مصالحه بطبعه خلقه الله تعالىٰ له لطفاً به لئلا يهلك كالأصواف والأوبار والريش والشعر والجلد التي هي كسىٰ له ساترة من الحر والبرد. وأما الانسان العاقل فلّما وهب الله له تبارك وتعالىٰ ماهو أشرف من الطبع وتوّج بالحكمة والعلم الأمور الزمانية السالفة اللائقة، وصار يعلم مايصلح[٥٨] له ان يتصرف

---

٥٧) وردت في الاصل (جسماً) والصحيح ما اثبتناه.

٥٧ب) وردت في الاصل (المخاليب) والصحيح ما اثبتناه.

٥٨) وردت في الاصل (ما يصلحه) والصحيح ما اثبتناه.

بعقله فيما يختاره من اتخاذ الأبنية والكسىٰ وأنواع الأغذية والأشربة وله أن يقاوم بعقله المضار والمؤذيات الطبيعية والاختيارية جميعاً وذلك ان اللّذة مقرونة بالأمور الطبيعية، خلقها الخالق تعالىٰ بحكمته في الأمور المحسوسة والحواس ليشتاق الحيوان الىٰ مايلتذ به فيستعمله ولولا ذلك لم ينسل الحيوان ولم يبقَ[٥٩]، ولما كان الطبع يلتذ ويشتاق الىٰ اللذات ولم يكن لأنواع الحيونات عقل يقدّر له الأمور اللذيذة مايكفيه لطف له الخالق تبارك بتقدير ذلك له طبعاً فلا يأخذ من كل لذيذ إلا مايصلحه ويكفيه ولذلك عدمت أكثر الحيونات أكثر الأمراض التي تعرض للانسان. فأما الانسان [فلأن] له عقل يقدر أن يُميز به، لطبعه، الضار من النافع ويقدر له من الأغذية والأشربة وسائر ماهو مضطر اليه الكافي، فلذلك ترك وطبعه، فإن تبع مايأمره به عقله من استعمال الاشياء واتخاذها للذّاتها ولم يتق مايتبع اللذة من المضار والآفات دخلت عليه الأمراض، والأعراض ولم يؤمن عليه الهلاك لأنه يكون في ذلك دون البهايم لما لم يجعل لها عقل تقدر به كما قلنا قبل، صار لها التقدير طبعاً فهي بذلك أصلح حالاً[٦٠] وآمن، وخير ممن لايتأدب بعقله. فأما من تدبر بعقله الأمور وتبع مايأمر به عقله وشرعه، وسلك في طرقها ومذاهبها، فهو الفاضل الأديب وهو الانسان بالحقيقة. ولما اختلفت طبائع الناس لاختلاف أمزجتهم احتاج العقل ان يضع لكل ماخالف الأمر المعتدل مايرده الىٰ الاعتدال ومايضعه العقل من ذلك هو ضربين احدهما: تعديل ماعدّل أخلاق النفس، والآخر: ماعدّل مزاج البدن فأماتعليم ماعدّل أخلاق النفس وأكسبها الفضائل وهداها سُبل الحق لتزهد بذلك فيما يأمرها به الطبع من اتباع اللذات المؤدية[٦١] الىٰ سُبل الشر والرذائل فهو التعليم العقلي، والتأديب الذي به ينتقل الانسان من الأخلاق البهيميّة الىٰ الأخلاق الشريفة النفسانية، وهذا المكتسب من التأديب إذا رسخ وثبت في النفس الانسانية بالعادات التي يوجد الانسان بها منذ صباه[٦٢]، والتأديب الذي يؤدبه أهل الآداب يسميه القدماء عقلاً مكتسباً، ومنزلته من العقل الكليّ منزلة شعاع الشمس، وكما ان بضياء الشمس يستنير الهواء ويوقعه[٦٣] علىٰ المحسوسات فتدركها

---

٥٩) وردت في الاصل (لم يبقىٰ) والصحيح ما اثبتناه.

٦٠) وردت في الاصل (حال) والصحيح ما اثبتناه.

٦١) وردت في الاصل (المادية) والصحيح ما اثبتناه.

٦٢) وردت في الاصل (صبايه) والصحيح ما اثبتناه.

٦٣) وردت في الاصل (يوقعه) والصحيح ما اثبتناه.

الحواس كذلك بما للنفس من ضياء العقل الكلي تقبل التأديب وتتصور مايصوّر لها فيظهر نورها ونهارها، وكلما زاد نورها [استنارت][64] من العقل نوراً تستضيْ بـه وتفتش عن الفضائل والعلوم فيكون بذلك الانسان عالماً أدبياً يُتبع ويقتدىٰ به . ومن علم بأن اللّه تعالىٰ قد خصّه بجزء من ذلك وأقدره علىٰ ان ينفع به غيره فقد وهب له نعمة لاتفسد ولاتبيد، وقد وجب عليه ألّا يفتر طرفة عين من شكر المنعم عليه وأن يتيح تلك النعمة لمن طلبها وينعم عليه بإخراجه و [استعادته][65] من لجج ظلمات الجهل المميت الىٰ علو نور العلم المحيي فان من أدب نفسه فقد أكسبها حياة دائمة ، والى الله نبتهـل في احياء نفـوسنا باحسانه وله نشكر ابداً دائماً . واذا كان هذا الضرب الأول من تعليم العقل وتأديبه للطبع فقد ذكرنا منه فيما تقدم جملاً مشوقة للاحداث الى التعليم والتاديب وسائغة لهم الىٰ منافعهم في دنياهم مدة بقائهم، وفي آخرتهم بعد موتهم، فقد آن لنا أن نذكـر الضرب الثـاني من التعليم العقلي، وهو: المعدل لمزاج البدن والحافظ عليه صحته، ليكون بذلك هذا التعليم تاماً والغرض الذي قصدنا نحوه في كتابنا هذا كاملاً، وأنا أذكر الممكن ذكره من هذه الجمل بطريقٍ قريبة ومقاصد سهلة وبألفاظ مألوفة وعبارة معروفة ليقرب علىٰ محب الأدب والتعليم غرضه ، ويسهل عليه مطلبه وباللّه أثق وأستعين ، فأقول: ان التعليم الثاني الذي نصبه العقل ووضعه لتقويم الطبع وإصلاح الانسان هو ماعدّل جسمه وأكسبه صحة أو ماحفظ علىٰ الجسم صحته ، وهذا التعليم والعمل به هو المسمّىٰ صناعة الطب ، وهي التي وهبها الباري للعقل ، فنصب العقل للعقلاء أصولها وعلّمهم استخراج فروعها بطريقتين هداهم بهما سبلها وهما: طريق القياس[66] ، وطريق التجربة[67] .

فبهذين الطريقين جميعاً مجموعين [استخرج] علماء صناعة الطب علمها ووصلوا الىٰ أعمالها . وإذا كان قد اتضح لك ايها المحب لتعلم صناعة الطب أصول طرق التعاليم التي نصبها العقل للعقلاء وانكشف لك منها جملاً فأرجع بنا الىٰ بسط التعليم الثاني : وهو

---

(٦٤) وردت في الاصل (استمارت) والصحيح ما اثبتناه.

(٦٥)، وردت في الاصل (استعاد) والصحيح ما اثبتناه.

(٦٦) طريقة ممارسة الطب بالقياس هي احدى ثلاثة طرق لهذه الغاية، والطرق الثلاثة هي القياس والتجربة والحيلة،ولجالينوس كتاب باسم (فرق الطب) خصصه لهذه الطرق الثلاثة. ويقصد بالقياس الوصول الىٰ تشخيص المرض اعتماداً علىٰ تاريخ المريض واعراضه وعلاماته فيكون علاجه (قياساً) علىٰ ذلك.

(٦٧) طريقة التجربة ـ اي ممارسة العلاج بالتجربة علىٰ الخطا والصواب حتىٰ يستقيم عمل الطبيب الممارس.

المصلح للجسم فاني أحدثك في طريق سهل المرام واضح المسلك قد أسعفنا من تقدم من العلماء بتوطيده وأبان لنا سبله ، وأول المبادىء لهذا الطريق لمن أراد تعديل جسمه ان يتفقد أفعاله إذا رام أعماله ، فان وجدها جارية مجاريها ، ولن يتعذر عليه فعل ما ولاعمل من أعمال جسمه ، فليعلم ان جسمه صحيح لامرض به ، وكذلك ينبغي أن ينظر في عضو عضو من جسمه فان العين خلقت لتبصر المبصرات من الألوان والأشكال وغيرها ، فإن وجدتها تدرك مبصراتها بلا عائق ولاتقصير قيل لها صحيحة وإن قصرت أو لم تبصر قيل لها مريضة أو عادمة الإبصار ، وكذلك القول في سائر أعضاء البدن ، وفي جملة البدن ، ثم بعد العلم بالصحة وبالبدن الصحيح يجب أن تعلم بماذا تحفظ الصحة على الصحيح لئلا تزول عنه فيقع في المرض :

ثم يتبع هذا التعليم الثاني ، تعليم ثالث ، وهو : إن يعلم المريد إزالة المرض عن الجسم إذا حلّ به المرض ، ماهو المرض ، واي الأمراض هو ، وكيف يزال ، وبإي الأشياء والتدابير يزال ، ويحتاج بالضرورة الى علم جميع ذلك من رام علاج الأمراض ، ولأن ليس غرضنا فيها تذكر هاهنا شيئ من هذا الفن فلذلك لانذكر شيئ منه من هذا العلم التعليم الثالث ، شيئاً إلاماجرى بطريق العرض في فروع (+)

الكلام ، ولكني أقول ان ماأذكره في هذا الباب الثاني من هذا الكتاب في حفظ الصحة وتعديل الجسم بالأغذية والأشربة والتدابير وتعريفي جملاً من تقدير هـذه على طريق القانون العام فانه ينبه ذا اللّب والفطنة الى معرفة أصول تدابير المرضى وجمل ينتفع بها في علاجهم، وهـو أيضاً يحث المتعلمـين على طلب معـرفة الأمـراض ومايعـالجون ويدبرون به المرضى. فلنرجع الى غرضنا فنقول لمن علم أن بدنه صحيحاً ان أول ماينبغي لك ان تعلمه في حفظ صحة بدنك ان تعلم بماذا يحفظ الصحيح لتقدر على حفظ صحتك ، ومن ذلك بالضرورة تعلم بأي شيئ تجتلب الصحة إذا فقدت . فأعلم الآن أن الصحة تحفظ بما شابهها لأن الشبه يحفظ شبيهه ولذلك يكون اجتذابها بما يضادها لأن الضد ينبغي ضده ولا (يغلطك) ماتراه من أمزجة حارة مثلاً باشياء باردة وأمزجة باردة تصلح بأشياء

+ وردت في الاصل (مساوى) والصحيح ما اثبتناه.

حارة فان ذلك علاج مرضى لاحفظ صحة . ولأن الصحة هي الطبيعة للبدن لأنه لم يقصد بخلقه إلا ليكون صحيحاً وقد ذكرنا معرفة ماالصحة قبل باختصار فيجب ان نجمل القول فيها ونصفها بما حدّها بها قدماء الآطباء فقالوا أن الصحة هي حالة طبيعية للجسم تتم له أفعاله بها. ولما كانت أفعال الجسم كثيرة، لأن عددها مساو لعدد أعضاء الجسم الالية وجب أن يكون كل فعل من أفعال الات الجسم أنما يتم بصحة تلك الآلة كالذوق الذي لايتم إلامع صحة الفم وآلاته وكذلك البصر وسائر الأفعال. وأعضاء البدن الآلية أعني التي هي آلات لأفعاله تتم صحتها بثلاثة أشياء أحدها اعتدال مزاج العضو، والثاني اعتدال هيئته، والثالث اعتدال اتصاله. ويجب أن يُعلم ايضاً ان اسم المزاج يضم ثلاثة معان[٦٩]، احدها: اعتدال يتساوىٰ فيه الأسطقسات في البدن فيكون فيه من الحار مثل مافيه من البارد، ويكون فيه من الرطب مثل مافيه من اليابس وهذا مزاج لايمكن وجوده حساً بل وهماً لأن الجسم لايمكن ان يبقىٰ طرفة عين بحالة واحدة لكن تغيره واستحالته دائمة. والصنف الثاني من الاعتدال هو ماقرب من هذا الأول وداناه وهو ايضاً قليل الوجود. فأما الصنف الثالث: وهو الكثير الوجود فهو الذي بالحقيقة مال الىٰ أحد الأربعة الأمزجة المركبة، أعني: الحرارة مع اليبس، او الىٰ الحرارة مع الرطوبة، أو الىٰ البرودة مع الرطوبة أو الىٰ البرودة مع اليبس، الا أنه مع ذلك صحيح الأفعال لايدوم منها شيئاً فلذلك سمي معتدلاً، ولذلك يجب أن يكون حفظ الصحة لكل واحد من هذه الأمزجة لايتم الا بعد معرفتها بمقادير مالها من كل كيفيتين من هذه المزاوجات[٧٠] وبعلامات صنف منها يعلم (مابها تحفظ)، وبجميع كميات ذلك وكيفياته وأماكنه وأزمنته وغير ذلك مما قد شرحه قدماء الأطباء في كتبهم، فأعلم ذلك، وينبغي أن يكون حاضراً لذكرك ايضاً ان عملك ان كان في شخص من الأشخاص وكانت الأشخاص مختلفة الأمزجة وصحة كل واحد منها يخص مزاجه ولكل مزاج علامات تخصه وتدابير توافقه فيجب لذلك ان يتدرب ويرتاض في معرفة الحدس الصناعي الذي به يصل الىٰ التقدير، ولن يصل الىٰ ذلك إلا باحكام علم القوانين النوعية فان أفنيت علم الأصول والقوانين وتدربت بالحدس فخذ منا الآن في الكلام في الطرق الجزئية التي ينبغي أن يسلكها حافظ الصحة علىٰ بدنه. وأول من يجب أن

---

٦٩) وردت في الاصل (معانى) والصحيح ما اثبتناه.

٧٠) وردت في الاصل (مزاواجات) والصحيح ما اثبتناه.

يعلم هذه الطرق ويتقنها ويعمل بها هو الطبيب، لأنه من أقبح الأشياء ان يرىٰ العاقل من الناس أن مصلحته في شيئ وهو يعمل ضده ليسيره[71] الىٰ لذة ما، او لهوىٰ آخر غير ذلك، وبعد إحكام الطبيب لما ذكرناه من جمل الأصول وفروعها فيلزمه أن يعلم أن الأبدان لا تثبت علىٰ حالة واحدة لسرعة تغاير الأزمان لها، وتبدل أمزجتها فالأبدان لذلك تنحل دائماً وتنقص فلذلك هي محتاجة الىٰ مايخلف عليها عوضاً لما تحلل منها والمخلف عليها ذلك هو الغذاء، ولأن لاسبيل لنا الىٰ ان نورد الىٰ أجسامنا مثل مايحلل منها سواءً في مشابهته أو مقداره لأن ذلك من أعمال الطبيعة فلذلك وجب علينا الا نورد الىٰ اجسامنا ونحن نريد ان نغذوها مابَعُدَ عن مشابهتها بُعداً كبيراً لكن نجتهد في أن يكون مانورده من المأكول والمشروب أشدها مشابهة لأجسامنا وأقربها من نوعها وأسرعها استحالة اليها، وبغير شك أنه من لم يحكم بعرف مزاج جسمه وحكم معرفة أنواع المأكولات والمشروبات ويعلم مقدار مزاج من جميع ذلك أنه لايقدر علىٰ معرفة مايحفظ صحته من الأغذية والأشربة، ولايحسن تقدير ماصلح منها لنفسه ولا لغيره وأيضاً اذا كانت المأكولات والمشروبات القريبة الشبه لأبداننا الموافقة لأمزجتنا ولو أنه علىٰ غاية مايمكن من المشابهة لاتغذو[72] ابداننا ولاتلتصق بأعضائنا إلا من بعد طبخ أعضائنا لها ونضجها وبعد تميز الطبيعة لها لتدفع الىٰ كل عضو مايشاكله ويشبهه فلابد من تفاضلات لاتصلح لتغذية الأعضاء فيجب بروزها فلذلك أعدّ الباري تعالىٰ في جسم الانسان مواضعاً[73] تجتمع فيها، وطرقاً تبرز منها لئلا تفسد بكثرتها، وطول مقامها ولذلك صار واجباً علىٰ حافظ الصحة أن يفتقد هذه الجوانب[74] والطرق وهل أفعالها جارية علىٰ الأمر الطبيعي وهل هي في خدمتها لطبيعة ذلك البدن علىٰ ماينبغي أم يحتاجه الىٰ معاونة من خارج فان من أفعال الطبيب تفقد ذلك وأعانة الطبيعة بجميع الوجوه علىٰ إخراج ماكثر وإصلاح طرقها بحسب طاقته فقد بان[75] اذاً مما قلناه أن الطبيب يلزمه العلم بما يورده الىٰ البدن بنوعه وبسائر حالاته واصلاحاته

---

٧١) وردت في الاصل (ليسره) والصحيح ما اثبتناه.

٧٢) وردت في (الاصل تغدوا) والصحيح ما اثبتناه.

٧٣) وردت في الاصل (مواضعاً) والصحيح ما اثبتناه.

٧٤) وردت في الاصل (الجواين) والصحيح ما اثبتناه.

٧٥) وردت في الاصل (إذاً) والصحيح ما اثبتناه.

وبالحالات التي للطريق التي يرد فيها وباصلاحاتها كالذي ذكرناه فيها يبرز من البدن. وقد بين القدماء من الأطباء ان الغذاء إذا ورد الىٰ المعدة فأنه ينطبخ فيها طبخاً أولاً فاذا جذبت الكبد اليها صفوته بالعروق المسماة الماساريقي[٧٦] وتفسيرها المصافي فان الثفل الذي يبقى يترك في الأمعاء ويجتمع في المعا[٧٧] الأعور[٧٨] ثم يبرز بآخره. وان الصافي النافذ الىٰ الكبد ينطبخ ايضاً فيها طبخاً ثانياً وبعد إنفاذها الىٰ الاعضاء مايصلح لكل واحد منها تبقى[٧٩] منه فضلات تنفذ الىٰ الكلىٰ ثم الىٰ المثانة ثم تبرز بالبول، ومايرد الىٰ عضو ينطبخ أيضاً طبخاً ثالثاً في ذلك العضو قبل أن تتشبه به ثم يلتصق بالعضو ماشابهه ومالم يشابهه برز عنه بالعروق والتحليل الخفي عن الحس. واذا كان ذلك كما قلنا فالواجب علىٰ الطبيب أن يفتقد مايخرج ويبرز بنوعه وكميته وكيفيته ووقته وان يعين الطبع علىٰ بروز مايبرز بالرياضة[٨٠] والدلك والدهن ولكل واحد مما ذكرناه أنواع مختلفة تفعل أفعالاً مختلفة يصلح كل صنف منها لبدن من الأبدان وفي زمان ومكان وبحسب حال ليس هو للأبدان الآخر، فاجتهد ايها الطبيب في معرفة ذلك وأقتن علم أصول ذلك من الكتاب الذي ألفه معلمنا جالينوس في تدبير الأصحاء وهو[٨١] ست مقالات. وايضاً ممايبنغي ان تذكره قبل ذكر التدابير المصلحة للأعضاء وواجب علىٰ الطبيب علمه هو أن الأعضاء علىٰ ضربين منها ظاهر للحس كالعينين واليدين والرجلين ومنها باطنة كالمعدة والرئة والكبد.

وايضاً من الاعضاء اعضاء رئيسة هي اربعة: الدماغ والقلب والكبد والانثيين[٨٢]، ويجب ان لاتهمل تفقد صنف صنف منها ولكن تكون العناية بتفقد الباطنة منها أوكد لاستتارها علىٰ الحس. فلنأخذ الآن في ذكرها ونذكر تدابيرها ومصالحها التي لايسع الطبيب الجهل به لافي نفسه ولافي غيره. ولنبدأ منها بالأشرف، ثم نتبع ذلك بالقول في عضو عضو علىٰ ترتيب بعون الله وتوفيقه.

---

٧٦) وردت في الاصل (المساريقي) والصحيح ما اثبتناه. وهي اوعية دموية بين المعدة والكبد

٧٧) وردت في الاصل (معا) والصحيح ما اثبتناه.

٧٨) (الاعور) هو الزائدة الدودية وتكون عند اتصال الامعاء الدقيقة بالامعاء الغليظة.

٧٩) وردت في الاصل (ينبغي) والصحيح ما اثبتناه.

٨٠) وردت في الاصل (بالرياطة) والصحيح ما اثبتناه.

٨١) كتاب تدبير الاصحاء من مؤلفات ابقراط وقد فسره جالينوس، وترجمه حنين ابن اسحاق الى اللغة العربية (عيون الانباء ص٢٧٣)

٨٢) (الانثيان) هما الخصيتان.

القول في الدماغ ومصالحه

ابدأ بالعناية باصلاح الأمور الحافظة للدماغ، اولاً لأنه مقدم في الشرف والافعال الحيوانية والانسانية. أما فعله النافع العام لسائر الحيوان فهو الحس وحركة الانتقال ولولا مايثبت من الدماغ من الأعصاب التي ترد فيها القوىٰ الحساسة والمحركة الىٰ الحواس والأعضاء المتحركة لما أحس الحيوان ولاانتقل من موضع الىٰ موضع. وأما فعل الدماغ النافع للانسان خاصة مع تلك الأفعال فهو أن به يتم له التمييز[٨٣] والحفظ والذكر والتخيل وليس هذه الأفعال تامة كاملة إلا للانسان الذي هو النوع التام الكامل الذي خصّه الله تبارك وتعالىٰ بأعدل الأمزجة باضافته الىٰ سائر انواع الحيوان فلذلك قيل أن مزاج دماغه أعدل من سائر أدمغة الحيوانات، ولذلك ايضاً قيل أنه صار محلاً لقوىٰ النفس الناطقة الألهية الشريفة التي خصّ بها نوع الانسان فصار نوعاً شريفاً يعلم بها العلوم ويستخرج بها دقيق المهن ومحاسن الصنايع. وإذا كان هذا العضو هذه أصول منافعه وجمل أفعاله فواجب علىٰ كل عاقل ان يعنىٰ بحفظه لأنه للجسم ولسائر اعضائه بمنزلة ما الملك عليه من التدبير والاهتمام بمصالح سائر من في ملكه ومدينته فكما الملك أن أغفل تمييزه وقل اهتمامه بأمر خواصه وعوامه فسد حالهم وحاله، كذلك الدماغ إن تغير مزاجه أو ساءت حاله[٨٤] وفسد تميزه بمرض من الأمراض اضطرب سائر الجسم وفسدت حالاته. ولايقدر علىٰ حفظ الدماغ إلا من عُرف مزاجه وطبعه وكذلك يجري الأمر من أمر حفظ سائر الأعضاء فعليك أيها الطبيب ان تعنىٰ بمعلم مزاج الانسان وتميزه من أمزجة سائر الممتزجات ثم تعنىٰ ايضاً بتصرف الأمزجة الخاصة بشخص شخص وكم أصنافها وخواصها وعلاماتها ثم تعرف مايختص به عضو عضو من أعضاء البدن من تلك الأصناف ليمكنك ان تصيب في حفظها علىٰ حال صحتها وتكتسب لها الصحة عند مرضها وأعلم اولاً من أمر سائر أدمغة الحيوان أنها خلقت مائلة الىٰ البرد والرطوبة وذلك باضافة مزاج دماغ الحيوان الىٰ باقي اعضائه، أي حيوان كان. فلذلك قيل ان مزاج دماغ الانسان بارد رطب.

---

٨٣) وردت في الاصل (التميز) والصحيح ما اثبتناه.

٨٤) وردت في الاصل (سات) والصحيح ما اثبتناه.

وقالوا: أن الله تعالىٰ خلق الدماغ من الحيوان بارداً رطباً لئلا يفسد بدوام حركاته وبدوام مايتصاعد اليه من البخار الحار. وإذا كان لمزاج دماغ كل إنسان من الناس من البرودة والرطوبة مقداراً يخالف سائر مقادير أمزجة الأدمغة فبغير شك أنه يلزم الطبيب أن يعرف مزاج دماغ شخص شخص وكم مقدار مالذلك الدماغ من البرودة والرطوبة ليحفظها عليه لأن بحفظ ذلك المزاج تتم أفعال ذلك الدماغ. وقد بين القدماء أن من أفعال الدماغ مايفعلها بذاته أعني بغير واسطة وهي ثلاثة افعال، احدها: التخيل وهو يتم بجزئه [٨٥] المقدم. والثاني: التمييز وهو يتم بجزئه الاوسط. والثالث: الحفظ وهو يتم بجزئه المؤخر. ومن افعال الدماغ مايفعلها بتوسط العصب الثابت منه وهذه الأفعال صنفان، احدها: أفعال الحواس وهي خمسة: حس البصر وحس الشم، وحس السمع وحس الذوق، وحس اللمس. والثاني: حركات الاعضاء الانتقالية، وبينوا ايضاً ان هذه الأفعال انما تتم للدماغ بشيئين بصحة مزاجه وبصحة هيئته فأختبر أيها الطبيب من كمال هذه الأفعال والمنافع جودة مزاج الدماغ وردائته[٨٦] وصحة هيئته وفسادها لتقدر علىٰ صلاح نفسك أولاً ثم صلاح غيرك. وأعلم أن الدماغ قد تتغير أفعاله بحسب أشكاله واشكاله أبداً تتبع شكل جملة الرأس فتفقد ذلك ليصح لك تعرف أفعاله. وتعرف أيضاً حالات الأمزجة التي للدماغ من الشعر النابت علىٰ الرأس وفي الوجه ومن حالات الحواس ومن حركات الأعضاء وضح لك أيها الطبيب المزاج القريب من الاعتدال ايضاً وميزاناً تزن [٨٧] به وتقيس عليه ماخرج عن الاعتدال من الأمزجة، ومابَعُدَ عنها وكذلك فافعل في تعرف مزاج عضو عضو ومثال ذلك الرأس فان الشكل له القريب من الاعتدال هو أن يكون مستديراً كأنه قد غمر من جنبيه فظهر له نتؤ من مقدمه ونتؤ من مؤخره، وأن يكون معتدلاً في الكبر والصغر. وأن يكون الشعر النابت عليه وفي الوجه معتدلاً [٨٨] في الخشونة واللين والتلزز والتفرق والكثرة والقلة يبدو [٨٩] في الصغر أصهب ثم يسود ويبطي شيبه. وان

---

٨٥) وردت في الاصل (بجزءه) والصحيح ما اثبتناه.

٨٦) وردت في الاصل (رداءته) والصحيح ما اثبتناه.

٨٧) وردت في الاصل (توزن) والصحيح ما اثبتناه.

٨٨) وردت في الاصل (معتدل) والصحيح ما اثبتناه.

٨٩) وردت في الاصل (يبدوا) والصحيح ما اثبتناه.

تكون أعضاء الوجه متناسبة في مقاديرها ووضعها فالعينان منه معتدلتان لابالكبيرتين ولابالصفيرتين ولابالسريعتي الحركة ولا بالبطيئتي الحركة. والانف معتدل في طوله وقنونه وغلظه. والوجنتين[٩٠] معتدلتين[٩١] الى الحمرة ماهما فكذلك فافهم من باقي الحواس وبالجملة في سائر أجزاء الوجه. ثم انظر بعد ذلك في افعال عضو عضو من هذه الأعضاء كالنظر بالعينين اذا وجدته صحيحاً قوياً وكقوة الأشمام والأستماع والذوق وتعرّف الطعوم على صحتها وكدرك حقيقة الملموسات مثل الحار والبارد والرطب واليابس ومايتبع هذه من الكيفيات كالصلابة واللين والخشونة والملاسة وماشابه هذه فان بصحة هذه الأفعال ينبغي لك أن تقضي على صحة الاعضاء الفاعلة لها وبصحتها أيضاً وبصحة الأعضاء الفاعلة لها مع صحة التخيّل وجودة التميز[٩٢] وقوة الحفظ فاقض على جودة صحة المزاج للدماغ مع سائر ماتقدم من العلامات. وحينئذ فاعنى [٩٣] بحفظ الدماغ وحفظه يتم بتعديل مايرد اليه، والأشياء الواردة على الدماغ منها طبيعية، ومنها ليست طبيعية ولأن التي ليست بطبيعية لاوجه لذكرها هاهنا إذ هي من أسباب الأمراض فلذلك ينبغي أن أذكرك بالطبيعة فقط وأعرفك من فروعها جملاً لتتخذها لك أصولاً تفرع منها وتقيس عليها مالم أذكره فيمكنك بذلك أن تحفظ على الدماغ وعلى سائر أعضاء البدن مابطن منها وماظهر صحتها فافهم ذلك واتخذه قانوناً. والأمور الطبيعية هي هذه حالات الهواء والحركة والسكون والمأكول والمشروب والاستفراغ والأحتقان والنوم واليقظة والأعراض النفسانية، والبلدان[٩٤] والأعمال والعادات وقوة الجسم والسن والسمنة وطبيعة البدن.

وأعلم أنك إذا عرفت مزاج أي عضو أردت حفظ صحته من أعضاء البدن أعني المزاج المعتدل وهو المسمى صحيّاً ثم عدلت كل واحد من هذه الأمور الطبيعية بحسبه كانت أسباباً لصحته وكذلك إذا صارت بها أمراضه كانت أسباباً لشفائه من أمراضه، فتيقظ لذلك واجعل ماتذكره من منافعها مثالاً لك تستعمله في باقي أعضاء البدن إذا قصدت حفظ صحتها أو علاج أمراضها.

---

٩٠) الصحيح: الوجنتان

٩١) الصحيح: معتدلتان

٩٢) الصحيح: التمييز

٩٣) الصحيح: فاعن

٩٤) وهذه ماعبّر عنها الاطباء العرب باسم الاسباب الستة

القول في وصف محمود الأهوية للأصحاء والمرضىٰ والمحمود من الأهوية للدماغ خاصة علىٰ طريق المثال

الهواء جسم خفيف وجوهر لطيف فلذلك يرد الىٰ الجسم من مسامه ومن سائر منافذه باختيار الانسان وبغير اختياره، ولذلك صار مايتغير[٩٥] منه تغييراً غير موافق للأبدان أسرع ضرراً لأجل صعوبة الأحتراز منه ومثال ذلك مايظهر من صلاح الدماغ وسائر الحواس عند صفائه ونقائه واعتداله، ومايعرض من تكدرها عند تكدره وفساده وكذلك يعرض لسائر الجسم. واحمد الأهوية الموافقة في مزاجها ماصفا[٩٦]ونقىٰ ولم يكتسب روائحاً تفسده بل ماعدلته واصلحته والروائح الطيبة الموافقة إذ كان الهواء لارائحة له في ذاته. وايضاً فان الهواء وان كانت حركته الطبيعية له واحدة وهي الترقي الىٰ العلو لخفة جسمه فان له حركات عرضية يتغير بها مزاجه ويطير بها الأبدان كالذي يعرض له عندك تحريك الرياح له فان الريح الشمالية تغير مزاج الهواء الىٰ البرودة واليبس. والجنوب الىٰ الحرارة والرطوبة. واما الشرقية والغربية فيعدلا مزاجه ويكون تغير هذه الرياح له أقوىٰ إذا كانت المساكن مقابلتها ووضع البلدان في جهاتها وخاصة التي هي مقابلة طرفي المحرر والتي هي مقابلة جهتي الاعتدالين فاما مايهب من الرياح وماهو من البلدان والمساكن فيما بين ذلك فامزجتها[٩٧] تختلف بالاكثر والأقل فافهم ذلك ان كنت ممن يحب العناية البالغة بحفظ الصحة ومعالجة الأمراض. واعلم أن المعتدل من هذه الرياح والمتحرك منها حركة معتدلة يصفّي الهواء وينقيه من البخارات التي تعلو من الأجسام الأرضية الرطبة منها واليابسة، ولذلك صار مااعتدلت حركته من الهواء وتوسط بين الحر والبرد والرطوبة واليبس ونقىٰ جوهره هو أصلح الأهوية للجسم الصحيح. ومثال ذلك مايُرىٰ الدماغ عليه من جودة أعماله وقوة أفعاله، وصفاء حواسه عند اعتدال الهواء. ولهذه العلة صار هواء الفصلين المعتدلين هو أحمد الأهوية التي تصل الىٰ الدماغ والىٰ سائر الأعضاء للبدن أعني هواء الربيع، وبعده هواء الخريف. وإذا كان الأمر كذلك فقد يجب

---

٩٥) وردت في الاصل (مايغيّر) والصحيح ما اثبتناه.

٩٦) وردت في الاصل (صفىٰ) والصحيح ما اثبتناه.

٩٧) وردت في الاصل (امزجها) والصحيح ما اثبتناه.

ان يجتهد في تعديل هواء الفصلين الآخرين أعني الصيف والشتاء، وكذلك ينبغي أن تعدل كل هواء تجده خارجاً عن الاعتدال لتحفظ الاعتدال بالمعتدل لأن الشبه يحفظ شبهه كما قدمنا بذلك القول والضد أيضاً يشفي ضده كما قال الجليل بقراط.

القول في الموافق من الحركة والسكون لأبدان الناس وعلىٰ طريق المثال للدماغ ولسائر الأعضاء

ان الحركة الانتقالية التي يحركها الانسان بأختياره هي علىٰ ضربين، أحدهما معتدلة وهي التي تسخّن إسخاناً معتدلاً فتنمي الحرارة الغريزية التي يكون بها الهضم في المعدة وفي عضو من أعضاء البدن وبها تنقي الأعضاء عنها فضلات مايبقىٰ من الاغذية بعد الهضم وبها تجذب الأعضاء اليها ماشاكلها من الأغذية وبها تمسك الأعضاء ماصار اليها مماهو شبيه بها فيكون ذلك زائداً فيها، وأما الضرب الثاني من الحركة فهو الخارج عن الاعتدال اما الىٰ الزيادة واما الىٰ النقصان. فان نقصت الحركة عن الاعتدال لم تقوَ علىٰ الافعال المقدم ذكرها علىٰ التمام وان زادت وأفرطت بردت لكثرة ما تستفرغه من الأعضاء فيجب عليك ايها الطبيب ان تعلم ذلك، وتتخذه أصلاً لسائر أصناف الرياضة بالحركة التي الحاجة اليها ضرورية وفي حفظ صحة الأعضاء، وفي معالجة أمراضها، ولذلك يلزمك أن تعرف أوقاتها وترتيب أزمانها وماينبغي أن يتقدمها، وماينبغي أن يتبعها إذ كانت طبيعية للأبدان ضرورية في جودة الصحة والبقاء ولأن جالينوس قد حدد ذلك فينبغي لك ان تحكمه من أقاويله، وانا حاك[٩٧ب] لك فصلاً من قوله لتتخذه أصلاً في ذلك. قال: أن أفضل أوقات الرياضة هو الوقت الذي يكون فيه الغذاء الأمسي قد استكمل انهضامه واستمراؤه في الموضعين جميعاً أعني في البطن وفي العروق ويكون قد حضر وقت تناول غذاء آخر فان استعملت الرياضة قبل هذا الوقت أو بعده فانك حينئذ أما أن تملأ البدن أخلاطاً نيّة، وأما ان تشحذ المرار الأصفر علىٰ التولد والتزايد. وقد تقدر علىٰ الوقوف علىٰ الوقت الذي أشرنا اليه يكون (. . . .) وأنا أحكي لك قوله الذي قاله في الاستدلال من القول في قول مفرد لتقو فيما بعد في حفظ الصحة وتقدير الرياضة والأغذية.

٩٧ب) وردت في الاصل (حاكىٰ) والصحيح ما اثبتناه.

القول في الأستدلال علىٰ وقت الرياضة من النوم

قال جالينوس: ان ترتيب هذا القول في الحركة والسكون. وأما السكون فان فعله أبداً واحداً والزائد منه يتبعه البرودة، ويتبع البـرودة الرطـوبة لعلة ان الحـرارة تفني الرطوبة. فالطبيب إذا عرف أصناف الحركات التي تخصها من جهة مقدارها ومن جهة كيفياتها، ومن جهة مخالـطة السكون لهـا بلغ غرضـه في حفظ الأصحاء، وفي معالجة المرضىٰ. فان الحركة التي كيفياتها شديدة قوية عنيفة تسخن الأعضاء، وتجففها وتصلبها والحركة الضعيفة أفعالها أضعف، وأقل. واختلاف الحركة من جهة مقدارها يكون على ضربين، أيضاً: أما لأن زمانها ممتد فتسمى كبيرة وفعل هذه فعل القوية، وأما ان تكون قصيرة المدة فتفعل فعل الضعيفة، واختلاف الحركة من جهة مخالطة السكـون لها يكـون علىٰ ضربين، ايضاً: احدها: بأن تكون سريعة متواترة وهذا الصنف يفعل ماتفعله الحركة القوية. والضرب الثاني: أن تكون بطيئة متفاوتة وهذا الصنف يفعل ماتفعله الحـركة الضعيفة. وبعد معرفة الطبيب لفعل الحركة علىٰ الأطلاق، وفعل السكون ومايفعل كل نوع من أنواع الحركات في بدن الانسان جملة، فعليه ان يعرف ذلك في عضو عضو من أعضاء البدن، ولايتم له ذلك دون أن يعرف حركات الأعضاء التي تتم بها أفعال الأعضاء ليحفظها من الحركات بما شابهها وجانسها فتقوىٰ وتدوم لها صحتها. وانا أمثل لك كيف ينبغي أن نفعل ذلك من أمر الدماغ وفي حاسة من الحواس الخمس لتتخذه أصلاً تتمثل به في باقي أعضاء البدن إن كنت ذا قريحة وفطنة.

فأقول: إن القدماء قد بينوا أن النفس الناطقة التي خُصّ بها الانسان تفعل أفعالها بالدماغ وبينوا أن أفعال هذه النفس منها مايتم بأجزاء الدماغ نفسه وهي ثلاثة، التخيل: وهو يتم بجزئه المقدم، والتمييز: وهو يتم بجزئه الأوسط، والتحفظ: وهو يتم بجزئه المؤخر. وهذه الأفعال الثلاثة لاتتم الا بحركات تخص هذه الأجزاء من الدماغ ليظهر بها مافي القوىٰ من الأفعال ومن أفعال النفس أيضاً مالايتم بقوة بذات الدماغ لكن بقوىٰ تسري الىٰ سائر أعضاء البدن في الأعصاب الثابتة منه وهذه الأفعال هي الحس، والحركة الانتقالية وبغير شك أن هذه الأفعال أيضاً لم تتم[٩٨] الا بحركة القوة النفسانية التي سرت في الأعصاب الىٰ الاعضاء فقد بان أن معرفة هذه الحركات ومقاديرها وكيفياتها علىٰ الطبيب

٩٨) وردت في الاصل (لم) والصحيح ما اثبتناه.

أوجب ضرورة ليمكنه حفظها فاقصد[٩٨ب] إذاً ايها الطبيب في تعديل حركات الدماغ الىٰ أوسطها ليعدل بذلك مزاجه وتجود به أفعاله فان لتقدير الحركات والرياضات المختلفة في إصلاح أمزجة الأعضاء حظاً وافراً في تدبير الأصحاء، وفي معالجة المرضىٰ. واذا كنت أيها المحب لصلاح دماغه تعلم أن أفعاله الصحيحة إنما تتم لصلاح مزاجه، ومزاجه مع مزاج جميع الأعضاء انما يتم ويصح باستعمال الموافق من المأكول والمشروب والهواء والحركة والسكون وسائر الأشياء المقدم ذكرها التي نحن في شرحها، ثم انك أصلحت مزاج دماغك مثلاً وعدلته وصحّت لك أفعاله فأحذر ان تفرط في حركاته جميعاً فيفسد بذلك مزاجه ومثال ذلك ان تأخذ نفسك كثيراً في تخيّل مابَعُدَ ودقّ من المهن والعلوم العسرة الوجود، والبعيدة المرام وبالجملة تخيّل جميع ماعسر إمكانه كالذين[٩٩] يكدون خواطرهم وافكارهم في طلب علم الكيمياء، والعزايم وأعظم من ذلك بُعداً تخيل قوم وتصورهم لأرواح تخاطبهم من الجن وغيرهم وقد يستعمل ذلك قوم علىٰ طريق الحيلة للتكسب ويظهرون أنه حق فيظن قوم أن لذلك حقيقة فيرومون تخيله فيكن ذلك سبباً لفساد الجزء المقدم من الدماغ لكثرة مايفرط عليه من الحركة التخيلية فيؤول الأمر الىٰ فساد التخيل وكذلك القول من التمييز والحفظ فان ناساً ايضاً قد أكثروا من أخذهم لنفوسهم تصنيف العلوم والكتب وحب المذاهب وعشق الآراء، وقوم بنظم الشعر وقوم بحفظه وحفظ كثير من الأقاويل الدنائية لطلب المراتب والرئاسات فأفسد عليهم إفراطهم في ذلك وسهرهم وتعبهم (لأدمغتهم) فلذلك يجب أن يحذر من أفراط هذه الحركات والأفعال وتجنب مباحثة من ساءعقله وقبح مذهبه وفسدت أفعاله منهم. فأما التعلم من العلماء ومفاوضة الأفاضل الأدباء وتخيل الحقائق وتمييزها من الأقاويل الكاذبة والآراء الفاسدة وحفظ ذلك وأقتنائه بأعتدال وتوسط فانه يقويّ الدماغ ويحدّ الخاطر والتخيل ويجود الفكر والتمييز ويزيد في قوة الحفظ. فالنفس الناطقة بذلك تسر وتنير، وكالذي قلناه في أفعال الدماغ وحركاته الذاتية فمثله افهم ايضاً في افعاله التي يفعلها بغير ذاته وهي علىٰ ضربين، أحدهما: أفعاله الحركية وهي التي تمسك بأيدينا[١٠٠] وتمشي بأرجلنا وبالجملة سائر الحركات الأرادية التي

٩٨ب) وردت في الاصل (إذاً) والصحيح ما اثبتناه.

٩٩) وردت في الاصل (كالذي) والصحيح ما اثبتناه.

١٠٠) وردت في الاصل (ادنيا) والصحيح ما اثبتناه.

في أجسامنا، فان هذه أيضاً ماستعمل منها على غير اعتدال وموافقة اضر بالدماغ (. . . .) المفرط والصياح المفرط، وأخذ الأنسان نفسه بأن يتحرك على استدارة بافراط ومن هذا الجنس الصراع[١٠١] والقفز وماشابه ذلك. فاما الرياضات الموافقة لكل واحد من الناس التي (تخرج) بها الى الاعياء والتعب فانه يقوي الدماغ على قبوله للغذاء وعلى نضجه وعلى انقائه عنه فضلاته التي لاحاجة به اليها وكذلك يقوي أيضاً الحواس بأسرها ويجوّد حركات الأعضاء وأفعالها. ويجب أن تعلم أن الرياضة جنس يضم أنواعاً كثيرة من الحركات لأن الدلك نوع لها والركوب على أختلاف أصنافه نوع لها وكذلك المشي والحصار والصراع ومما يدخل في جملتها أيضاً الدهن[١٠٢] (والتمريخ) والاستحمام والدلك وأشباه ذلك من الحركات القوية وذلك أن ليس كل حركة رياضة لكن الرياضة هي الحركة القوية عند المرتاض، من قبل أن حركة ماقد تكون قوية عند انسان ضعيفة عند آخر فلذلك ليس كل حركة رياضة، والحد من الرياضة[١٠٣] هو مع ابتدائها في تغير نَفَس المتحرك الى العظم والسرعة والتواتر فانها حينئذ تسمى تعباً ورياضة ولذلك قال (جالينوس): إن أسم الرياضة في لغة اليونانيين مشتق من العري لأن الذين يعملون الأعمال المتحركة يعملونها عراة. وقال: إن منافع الرياضة[١٠٤]، جنسان أحدهما: استفراغ الفضول، والآخر جودة بنية الأعضاء الأصلية، والرياضة تحدث ثلاثة أمور، أحدها: صلابة الآلات لمحاكيها بعضها البعض ونمو الحرارة الغريزية وتزايد يحث في حركة الروح، فامّا منافعها الجزئية فهي قوة الجذب وجودة الأستحالة. وجودة الأغتذاء، وانحلال الفضلات الصلبة ورقة الرطوبات واتساع المجاري والمسام واستفراغ الفضول وجودة الدفع، ولأجل انها تنشر الغذاء في البدن فلذلك ينبغي ان يحذر قبل هضم المعدة والكبد والأعضاء ماورد اليهم من الغذاء لكن وقتها ينبغي ان يكون قبل الغذاء كما قال بقراط في الفصول[١٠٥] إن التعب ينبغي أن يقدم على تناول الغذاء وانت إذا أردت معرفة أصناف ذلك ومنافعه تعلمه من

---

١٠١) وردت في الاصل (الصداع) والصحيح ما اثبتناه.

١٠٢) الدهن هو اللعب بالعصى او الضرب بها.

١٠٣) (وحدّ) الرياضة اكثر إتساقاً بهذا المعنى.

١٠٤) اول من كتب في الرياضة من العرب هو ابو بكر الرازي (المرشد او الفصول ص٣٦ ـ ٣٧، المنصوري ص٥٣ ثم تناول موضوعها كثيرون من الاطباء العرب.

١٠٥) يقصد كتاب الفصول لابقراط، وقد فسره جالينوس وترجمه الى العربية حنين بن اسحاق.

كتاب معلمنا جالينوس الذي عنونه بتدبير الأصحاء وهو ست مقالات والواجب عليك قراءته[١٠٦]. واما الضرب الثاني من افعال الدماغ التي لايفعلها بذاته لكن يفعلها بتوسط الآلات الأُخر فهي أفعاله الحسيّة التي يفعلها بتوسط الحواس وقد ينبغي هاهنا أن نذكر واحداً واحداً من الحواس وأفعاله ليعلم بذلك حركاته فيصح لك حفظها بما يوافقها من الحركات والمتحركات والمحسوسات.

القول في حاسة البصر ومايوافقها

أما صحة البصر فانها تتم بصحة العين، وذلك أن العين عضو مركب من طبقات ورطوبات وعضل تمسكها وتحركها وأعصاب مختلفة الصور لأن واحدة منها مجوّفة الداخل وهي التي يرد فيها النور والقوة النفسانية التي يكون بها الحس للمبصرات[١٠٧] ولأن لكل جزء من أجزاء العين فعلاً يخصّه ومنافع لأجلها خلق علىٰ ماهو عليه، وينبغي للطبيب أن يعنىٰ بمعرفته ليقدر علىٰ حفظه، فلذلك يجب ان يكون المتولي لحفظ صحة العين وعلاج أمراضها منفرداً بذلك شديد الحرص علىٰ تعلمه إذ هو عضو جليل الخطر عظيم النفع في مصالح الجسم. فاما أنت أيها الطبيب.. الطبيعي فيجب عليك ان تنظر في أفعال العين ومنافعها الظاهرة فتحرسها من مضارها ومؤذياتها الواردة عليها من خارج والواصلة اليها من داخل. فاما ما يصل اليها من داخل فأنت تمنعه بتعديل الأغذية والأشربة والحركات والنوم واليقظة[١٠٨] وبالجملة باستعمال الموافق من الأمور الطبيعية التي نحن في وصف جملها. أما مايرد عليها من خارج فأنت تقدر علىٰ تعديله لها واستعمال الموافق لها إذا عرفت منافعها وكيف تفعل فعلها. وأنا أريك من ذلك جملاً تستدل منها علىٰ كثير من جزئياتها، فاما أحكام جميعها فلا يقدر عليه إلا من قرأ كتب الأطباء فاقصد كتب الفاضل جالينوس في منافع الأعضاء وكتبه في التشريح لتصل الىٰ غرضك علىٰ التمام، فأما هاهنا فلا تطالبني بذلك فاني لم أقصده لكني قصدت كما عرفتك أولاً تنبيه العقل من أهل صناعة الطب علىٰ

---

١٠٦) وردت في الاصل (قرائته) والصحيح ما اثبتناه.

١٠٧) هذا يؤيد ماقاله الرازي من ان صور المرئيات تدخل العين. لتبصرها . لا ان النور الباصر يخرج من العين لتبصر المرئيات. اما ابن الهيثم المتوفى ٤٢١هـ/ ١٠٣٩م فقد توسع في هذه الحقيقة واثبتها بالتطبيق والتجارب.

١٠٨) وردت في الاصل (يقضة) والصحيح ما اثبتناه.

مقدار شرفها ونفعها وحثهم علىٰ علمها وخاصة مع أن تكسبهم وتعيشهم بها ومنها من لايشتاق بما أذكره ولايتحرك به لقراءة[109] كتبها والتأدب بآدابها فهو الخاسر نفسه ودينه جميعاً. فارجع بنا أيها المحب للحق الىٰ ماكنا فيه وأفهم ماأقوله. أقول ان القدماء قد بينوا ان إدراك حاسة البصر للمبصرات انما يتم بنفوذ النور الباصر الواصل الىٰ العين في الهواء المضئ حتىٰ ينفذ ويتصل بالمبصرات فتدركها القوة الباصرة وتتخيلها القوة المخيلة للنفس. وكيفية هذا التصوير والقول فيه وحكاية مارأته القدماء في ذلك لايليق بهذا الموضع[110] ذكره لطوله وصعوبة مرامه. فأماهاهنا فانا نقول إنه إذا[111] كان الأمر علىٰ ماقيل، وماهو مشاهد أيضاً من الهواء والضوء جميعاً هما واسطة بين الباصر والمبصر ولايمكن وصول صور المبصرات الىٰ حاسة البصر دونهما فيجب أن تجتهد في تعديلهما وإصلاحهما ليصح لحاسة البصر إدراكها. فالهواء قد يقبل الضياء وقد يعدمه، والضياء فقد ينفذ نفوذاً مستقيماً في الهواء وقد يتعذر نفوذه وذلك لأن الهواء قد يغلظ ويتكدر بما يخالطه من البخارات الرطبة واليابسة فيعوق بذلك نفوذ النور فيه كذلك ايضاً يعرض لنور البصر عند كدر الهواء ألا ينفذ فيه نفوذاً مستقيماً ولايدرك المبصرات إدراكاً حقيقياً فبواجب إذاً ينبغي لك ان تعنىٰ باصلاح الهواء المحيط بك وتجتهد ألا يفسده عليك بخار ولادخان ولاغبار، واجتهد ايضاً في ان يكون سكنك موضوعاً قبالة الرياح الشرقية فان المدن التي وضعها هذا الموضع هي أقرب الىٰ الاعتدال[112] لذلك هواها أصح وأرق وأشد صفاء ولذلك نجد بقراط يفضل هذه المدن علىٰ غيرها ويقول، قال[113] بقراط في الموضع الشرقي من المدن في كتابه في البلدان والمياه هذا القول واما ماكان من المدن موضوعاً قبالة الرياح التي فيها بين مطالع الشمس الصيفية وبين مطالعها الشتوية وماكان موضوعاً منها علىٰ ضد ذلك فهذه هي الحال فيهما اما ماكان منها موضوعاً قبالة مطالع الشمس فيجب ان تكون تلك المدن أصح من المدن الموضوعة قبالة الشمال، ومن المدن الموضوعة قبالة الرياح الحارة [ولما] كان البعد فيما بينهما ليس هو الا مقدار اسطاذيون[114] واحد وهو عند اليونانيين سبعة

١٠٩) وردت في الاصل (قراة) والصحيح ما اثبتناه.
١١٠) وردت في الاصل (الموضوع) والصحيح ما اثبتناه.
١١١) وردت في الاصل (اذا) والصحيح ما اثبتناه.
١١٢) وردت في الاصل (الاعتدل) والصحيح ما اثبتناه.
١١٣) (قال) لاضرورة لها والارجح انها من خط الناسخ
١١٤) اسطاذيون تعبير يوناني في الابعاد.

أميال[115] . وذلك انه في أول الأمر الحال فيهما من الحرارة أقرب منها الىٰ الاعتدال فيما بينهما وبين البرد، وقال ثم أنه يجب ضرورة أن لايكون في تلك المدينة هواء غليظ وذلك ان الشمس تمنع من ذلك اذا طلعت فوقع شعاعها عليه لأن الهواء الغليظ انما يكون في كل واحد من الأوقات في الغدوات علىٰ الأمر الأكثر وأحذر الألحاح علىٰ تأمل الأنوار القوية الساطعة كجرم الشمس وماعَظُم من النيران فأن ذلك لضعف نور البصر وتفرقه وكذلك يفعل البياض الساطع فانه يفرق البصر كما ان اللون الأسود يجمعه، وكذلك يجب أن يحذر الإدمان علىٰ الأعمال الدقيقة والخط الدقيق فان ذلك يضعف البصر أيضاً ومما ينقي العينين تنقيتهما وغسلهما وخاصة بعد النوم وحفظهما مما يرد اليهما، ومن العرق النازل اليهما ولابأس من يتعاهدهما بما قواهما من الاكحال كالأثمد[116] ونظيره وقد يفعل ذلك ايضاً النظر الىٰ المبصرات المحمودات والنافعات كالخضر وانواع النبات النضرة. وعلىٰ ماذكرته لك فقس وأعدل ببصرك أيها العاني بمصلحته مع توفرك علىٰ جميع هذه الأشياء الىٰ قراءتك[117] في الكتب والالتذاذ بفوائدها فان هذه هي أول النعم التي وجهها لك باريك تعالىٰ وأوصلك اليها بنور عينيك فعليك وعلينا ان نحمده كثيراً ونسبحه دائماً ونصرف ابصارنا عن المحذورات والمذمومات لتدوم هذه النعمة لنا وعلينا.

القول في حس السمع والأشياء الموافقة له

وكذلك يجب ان تنظر في آلة السمع فانها حاسة لطيفة أيضاً محتاجة في تمام فعلها الى الهواء لان بتوسطه تصل المسموعات اليها مما تحمله الأصوات كالاقاويل والنغم والألحان والأخبار وبالجملة جميع المسموعات، فلذلك يجب ان نعنى بالهواء الذي هو الواسطة كالعناية التي وصيت بها في حاسة البصر وأخص العناية ينبغي أن تكون بالهواء الذي داخل الأذن فان به يتم الاستماع اولاً ثم بالهواء الخارج عن الأذن باتصال أحدهما بالآخر فاحذر

---

١١٥) وردت في الاصل (سبع ميل) والصحيح ما اثبتناه.

١١٦) الاثمد هو نوع من الكحل ومعدنه الانتيمون. يقوّي عصب العين وينشف قروحها ويقوّي الاجفان خاصة. (ابن هبل - المختارات ٢ / ٢٤).

١١٧) وردت في الاصل (قراؤك) والصحيح ما اثبتناه.

من تكدر احدهما لئلا يكدر الآخر المتصل به والحذر على الهواء الذي داخل الأذن ينبغي ان يكون بما يتصاعد اليه او يتصل به من بخارات المعدة وفضلات الدماغ أشد واكثر ما يفعل ذلك هو مايملأ المعدة والدماغ من الأطعمة والأشربة المجاوزة في الكمية والكيفية والمقدار المقصد وكذلك القول في الحركات والاستحمام وسائر الأمور الضرورية التي لاينفك الجسم منها غير ان الينا تعديلها فعدلها بجسمك بحسب ما يوافقه منها ليصفو لاذنك هواها، واما الهواء الخارج فقد سمعت القول في اصلاحه واختيار المحمود منه، وانما هو في القول في العين ويجب ان تتوقى مع ما قلناه[118] هناك هذه الاشياء أيضاً وهي مجاورة الصنايع والمواضع المفسدة الهواء كالحدادين والنشارين وأتآنين الحمامات وغيرها من المواقد العظيمة كمسابك الزجاج والنحاس وكذلك توق استماع الاصوات العظيمة المهولة كاصوات السباع واصوات الدبادب[119] والطبول الدايمة والبوقات المتصلة فان جميع ذلك يفسد القوة التي ترد الى الأذن ليكون بها الاستماع ويعوقها عن الاستماع فيضعف لضعف آلتها وكلما ضعفت الآلة قل قبولها لقوة النفس كالذي يشاهد من ذلك عند الشيخوخة وفي الامراض العامة للبدن والخاصة للأذن فتدبر بما قلناه واعن بمصالح اذنك ونقها مما يرد اليها من فضلات الدماغ فانها هي وسائر المنافذ مع مالها من المنافع والاجناس قد جعلت طرقاً لتنفذ ما يصل اليها من الفضلات والبخارات واجعل تنفيذه تنقيتك لها بعد خروجك من الحمام لان ما داخلها يلين ولايغيب عليها فان العصب الذي في باطنها هو شديد الحس وقريب من الدماغ فتجنب كثرة الحك لها وادخال الأجسام اليها ومع جميع ذلك فاجتهد ألايقرع اذنيك[120] من الاصوات إلا احسنها وألذها لسماعك وما وافق نفسك من الاقاويل والالحان فان في ذلك تعديل لأخلاقك. فأما ما خرج عن الاعتدال الموافق فاجتنبه ما امكنك فان لصناعة التلحين ان تعدل الأخلاق وللموسيقار الحاذق ايضاً بصناعة التلحين ان يميل اخلاق النفس الى حالات ليست ايضاً بالطبع فتجعل من كان جباناً شجاعاً ومن كان محزوناً فرحاً وكذلك في أضداد هذه وفي باقي المتضادات من حالات الأخلاق ولذلك اجماع الاطباء في

---

١١٨) وردت في الاصل (معما) والصحيح ما اثبتناه.

١١٩) الدبادب ـ ومفردها دبّابة وهي آلة تتخذ للحروب فتندفع من اصل الحصون فينقبون وهم في جوفها (الفيروزبادى ج٢ ص١٣٤ ـ ١٣٥)

١٢٠) وردت في الاصل (اذناك) والصحيح ما اثبتناه.

حفظ الأخلاق المحمودة الى الاستماع مايسر النفوس كاستماع اخبار الأفاضل والمتأهلين واستماع علوم العلماء الألهية منها اعني الشرعية والعقليات واخبار المتدينين واهل الورع والطهارة لأن في استماع جميع ذلك سرور للنفس الفاضلة ولذة افعال تصدر عن جوهرها الشريف، وهي يجب ان تكون بتلك الحالات وتعينها وكذلك تجدها تكره استماع الحالات وتستشنع الكذب والأقاويل المذمومة والأفعال القبيحة (و. . . . . .) من ذكر أهل هذه الأحوال فضلاً عن مشاهدتهم واستماع كلامهم فاجتهد أيها الحدث أن تقاوم طبعك المذموم الداعي لك الى المذمومات وتمنعه لذاته، فان مع كل لذة محسوسة جسمانية آفة خفيّة مكروهة لايقوي على كشفها الا العقل، فخذ نفسك بما يسوقك اليه عقلك لاطبعك، لئلا تعتاد وتألف لذّات الطبع فتحرمك لذّات العقل الدائمة السرور المأمونة من الشرور. واحرص في أن تعود نفسك قلة الكلام مع كثرة الاستماع النافع فان حظّ المرء في أذنه والحظ لغيره في لسانه. وتجنب استماع الآراء المفسدة كمذاهب المتدهرة والملحدة وكذلك توقَّ مشورات الجهلة والحساد فانها تسوق الى هلاك النفوس والأجساد فتأمل ما قلته لك وقس عليه مالم أقله ترشد أن شاء الله تعالى.

القول في حاسة الشم والاشياء الموافقة لها

اما حاسة الروائح فليست تكون ماتراه ظاهراً من المنخرين لكنها تكون بما داخل القحف من البطينين المقدمين من بطون الدماغ وذلك بالروح النفساني الذي فيهما من الدماغ ولكن لما كانت حاسة الشم لاتتم ايضاً الا بتوسط الهواء الحامل للبخارات والروايح الىٰ هذين البطينين وكان الهواء قد يحمل ايضاً مع ذلك أجساماً لطافاً وكانت ايضاً الحاجة الىٰ استنشاق الهواء في بقاء الحياة علىٰ الحيوان ضرورية. وكان ايضاً ماينقيه الدماغ من فضلاته قد يحدره بالمنخرين من جهة هذين البطينين لانهما مطلّين[١٢١] علىٰ المنخرين، لطف الخالق تعالىٰ للحيوان بحاجز يحجز دون هذين (البطينين) اللذين هما آلة الشم، وخلقه مثقباً كثقب الاسفنج ولتصفّى[١٢٢] منه فضلات الدماغ وتصل اليه من تلك الثقوب الروائح مع

١٢١) وردت في الاصل (مطلبين) والصحيح ما اثبتناه.

١٢٢) وردت في الاصل (لتصفو) والصحيح ما اثبتناه.

الهواء ودائماً ينفذ فيها الهواء ويخرج منها ماينقيه الدماغ من البخار بنفخه وحركته الدائمة مع ما[١٢٣] يبعثه من الروح النفسانية الىٰ الحواس والىٰ غيرها من الاعضاء عنه ، فالهواء قد يصل اليه مفرد بغير روائح وقد يصل مع الروائح وليس هذا اللطف العجيب من آلة الشم فقط لكنه موجود في آلة السمع أيضاً فان آلة السمع لما احتيج ان تجعل داخل الرأس لتقرب من الدماغ وجعلت الاذن لها حاجب وساتر وكان الهواء يريد ان ينفذ من داخلها ولم يؤمن ان يصل معه غير الصوت من أجسام صغار وغيرها ، جعل داخل الآذن معوجاً ومستديراً كاللولب ليصل الهواء والصوت ولاصغار الأجسام ، فتأمل لطف الباري تعالىٰ بالحيوان وحكمته واتقان صنعته وليس ذلك من الحيوان فقط لكن في كل مصنوع . ومن لطفه تبارك وتعالىٰ أن جعل للحيوان من الات الحس زوجاً زوجاً كالعينين (ثنتين) والأذنين والمنخرين واللسان مقسوماً قسمين ليكون إن دخلت آفة علىٰ أحدهما بقت الأخرىٰ للفعل . واذا كنت قد وصفت جملاً من خلقة المنخرين وآلة الشم وغيرها من الحواس ولوّحت لك من منافعها تلويحاً لتشتاق بذلك الىٰ معرفة بنية جسمك ومنافع إعضائك فلاتقتصر علىٰ ماذكرته هاهنا فقط بل أقصد كتب المعلم الفاضل جالينوس في التشريح[١٢٤] وكتابه الذي وضعه في منافع الأعضاء فانك تحظىٰ من هنالك بعلم ذلك بأسره فأرجع بنا الىٰ القول في آلة الشم وأعلم ان الواسطة في اشتمام الروايح هو الهواء فلذلك يجب ان تعدله وتحتاط من صلاحه للسبب الأعظم الذي هو الحياة والبقاء فانه من المنخرين يصل الىٰ الدماغ والىٰ الرئة فيروّح عنها ويمدها بالصافي النقي منه والسبب الثاني ان به تصل الروائح الىٰ البطينين المقدمين من الدماغ الذي بهما يكون الشم . والوجه الأخير ان من فساد الهواء قد تقدم لنا القول به عند القول في حاسة البصر وحاسة السمع ومع ذلك فاني اقول ايضاً أنك وان بعدت من القرب من مواضع الروائح الردية فانه ينبغي ان تحتال لموضعك ولهواك المحيط بك في أن تكسبه روائح موفقة طيبة لتصل الىٰ دماغك دائماً بالشم مايصلحه ويصلح الروح النفساني التي فيه وتزكيها كالبخورات وانواع الطيب ولذلك نجد الافاضل يكسون ثيابهم وأجسامهم بالبخورات وغيرها من هذه الروائح ليدوم استنشاقهم لها فتعمل لذلك ولاتهمله[١٢٥] فانك قد

١٢٣) وردت في الاصل (معما) والصحيح ما اثبتناه.

١٢٤) كتاب جالينوس في التشريح ربما يقصد بذلك كتابه (علاج التشريح) او ماعرف باسم (كتاب التشريح الكبير) وهو بخمس عشرة مقالة. وفيه وصف لجميع اجهزة الجسم كما له كتاب آخر باسم التشريح الصغير (ابن ابي أصيبعة ص ١٣٨).

(١٢٥) في الاصل ولا (تعمله) والصحيح ما اثبتناه.

تنتفع بذلك بوجه آخر وهـو أنك قـد تحضر عنـد مرضىٰ تنـال من روائحهم مايؤذيـك ولايمكنك ان تنفك منه فتلك الروائح التي قد اكسيتها لكسوتك تمنع عنك وتقاوم لك تلك الروائح ومع ذلك فان في ذلك راحة ما وقوة نفس عاجلة للمـريض اذا اشتم روايحك فهكذا[١٢٦] ينبغي ان تصلح هواك ولذلك يجب ان يكون تعلمك للطبيب لالغيـره. ثم أجتهد في ان يكون مايترقىٰ[١٢٧] من المعدة الىٰ آلة الشم من البخارات محموداً وانما يتم لك باحترازك[١٢٨] من كثرة الآغذية والآشربة وفساد كيفياتها وسوء ترتيبها وقد ذكرت فيما تقدم من ذلك طرفاً فخذ نفسك باستعمال الموافق لك من جميع ذلك لينقاد دمـاغك وسـاير حواسك بذلك. وخذ نفسك ايضاً بتنقية المنخرين اللذين قد خلقا كالمحرابين لتنفذ فيهما الفضلات، وتعاهدهما بالغسل والدهن في اوقات ذلك. واختر لنفسك النوع الموافق من الرياضة والدلك والاستحمام فان في جميع ذلك تنقية للدماغ والحواس من [فضلاتهما] وتوق عند ممارستك العلاج من روائح الأدوية المنكرة الروائح فان تكن لاتوافق مزاجك ولامزاج دماغك مايزيد معاناته منها فتقدم الىٰ غيره من صنعتها (بحضرتك) فان الضرر الداخل من ذلك ليس هو علىٰ الدماغ وعلىٰ آلة الشم فقط بل وعلىٰ القلب والرئة فاعلم ذلك. واجعل البرهان لك علىٰ صحة ماذكرته ماأمر به بقراط في كتابه في الغذاء[١٢٩] فانه يأمر هناك بشم الروايح الموفقة الطيبة المقويّة للنفس لمن اردنا تغذيته تغذية لطيفة وقد عاقنا عن اعطاء هؤلاء من الآغذية اللطيفة عائق مافأمر باستعمال شم الروائح فيهم فقال هذا القول، قال بقراط: من احتاج بدنه الىٰ زيادة سريعة فأبلغ الأشياء في رد قوتـه الشيء الرطب ومن احتاج في ذلك الىٰ ماهو اسرع فتقويته تكون بالشم.

---

(١٢٦) وردت في الاصل (فهكذى) والصحيح ما اثبتناه.

(١٢٧) وردت في الاصل (يترقى) والصحيح ما اثبتناه.

(١٢٨) وردت في الاصل (احدارك) والصحيح ما اثبتناه.

(١٢٩) كتاب الغذاء لابقراط، وهو باربع مقالات في معرفة علل الاخلاط التي تتكون من الاغذية، وقد فسره جالينوس وترجم هذا التفسير حنين بن اسحاق الى العربية (ابن ابي اصيبعة ص ٢٧٢).

القول في حاسة المذاق والأشياء الموافقة لها

حاسة المذاق تتم باللسان واللّهوات والحنك وذلك بالعصب المبسوط على هذه الآلات من الفم، والفم لما كان يشتمل على الأسنان وعلى جميع اجزائه التي خلقت فيه لأنواع من مصالح الجسم كتعرف لأصناف الطعوم وكيف طبعه للاغذية وكسْرِها[١٣٠] ماصلح ان يكسر منها ثم طَحْن مايصلح للطحن بالأضراس وتقليب اللسان لذلك الغذاء وترطيبه بالرّيق ليتم طحنه وتساوي أجزائه لتكون صورته واحدة في اللين ليسهل نفوذه في المري وايضاً مما ينتفع به الحيّ في صلاح حياته بالفم مايرد منه من الهواء الى الرية والقلب ليروح عن حرارته الغريزية ويمدّها بما صفى ونقى من الهواء. ومن منافع الفم وآلاته خروج الصوت منه الى الحيوانات وخاصة في الانسان الذي خصّه الباري تعالى بالقوة العاقلة القادرة على تفصيل صوته[١٣١] وتقطيعه بآلات الصوت وبآلات الفم حتى صحّت له النغم والحروف وقدر تلطيف تمييزه على جميع تلك الحروف من صح له القول الدالّ المعبر عمّا في نفسه من الأمور المتصورة فقدر بذلك النطق على الأقاويل المختلفة والعبارات المتباينة في أصناف العلوم[١٣٢] والفم أذن[١٣٣] باب يدخل منه ويخرج ماينفع الانسان في مصالح نفسه وجسمه فكما ان بحاسة الذوق وماخلقه الباري تعالى من القوة النفسانية المميزة للعلوم يمكن العاقل ان يعرف الغذاء من الدواء ليستعمل كل واحد منها في وقته ويعلم ايضاً مما يبرز من الفم كثيراً من حالات البدن كالبصاق والجشأ والقذف وماجانس ذلك في كل واحد من هذه الفضلات عدة علامات يستدل بها على صحة المعدة وسقمها، وكذلك حالات غيرها من الاحشاء، كذلك يستدل العاقل من الناس من الالفاظ والاقاويل الصادرة عن النفس على قدر شرفها وعلو فضيلتها او على حساسيتها وسقوط منزلتها وإذا كان ذلك كذلك فيجب ان يعنى كل عاقل بنفسه وجسمه لئلا يرد اليها الا محموداً موافقاً لهما ولئلا يصدر عنهما إلا مرضي ممدوح.

وأعظم ماعان على ذلك صلاح الحواس وخاصة الفم الذي هو الآلة للذوق والنطق فان

---

١٣٠) وردت في الاصل (كسر) والصحيح ما اثبتناه.

١٣١) وردت في الاصل (صوته) والصحيح ما اثبتناه.

١٣٢) هذا المقطع لايتسق مع موضوع الفصل ولعل الناسخ قد اقحمه من فصل او كتاب آخر دون وعي منه.

١٣٣) وردت في الاصل (إذاً) والصحيح ما اثبتناه.

من انعم الله جل اسمه عليه (بالمنطق المستقيم)[١٣٤] فقد شرفه ونفع به الناس أجمعين. ومن حرم النطق عدم فضائل السامعين كما ان من ساء نطقه كان مرذولاً حقيراً بين الناطقين وايضاً فان من فسد ذوقه بمرض او بعرض من الأعراض لايلتذ بطعامه ولابشرابه [وبما لا] يلتذه الذوق وكرهته المعدة ودفعته واذا بقي البدن بغير غذاء هلك الحيوان وفسد، فسبحان من نعمه علىٰ خلائقه دائمة. ولأن الفم كما قلنا مركب من اجزاء مختلفة فلذلك يجب ان يخص كل جزء من اجزائه بتدبير موافق لذلك الجزء في مصالحه سوىٰ إصلاح الأمور العامية له بأسرها[١٣٥] وأول الأمور العامية التي بصلاحها تصلح افعال الفم وبفسادها يفسد هو الهواء فانه دائماً يرد عليه وهو دائم الاختلاف لأنه قد يتغير في اليوم الواحد الىٰ الحر والبرد والرطوبة واليبس عدة تغيرات فضلاً عما يتغير اليه في الفصول وبحسب هبوب الرياح فيجب ان تتوقىٰ وتحذر علىٰ فيك ان يدخله هواء غير موافق بحسب طاقتك وقد علمت مما قدمناه من القول في الحواس الأُخر انما هي الأهوية الردية فاحذرها بأسرها واحذر ايضاً مع ذلك ورود هواء قد يحمل اليك بخارات الجيف والزبول المتعفنة وأبخرة ماينفثه أصحاب العلل القاتلة كالذي ينفثه أصحاب قرحة الريّة، والردئ من نفث أصحاب ذات الجنب فان المنتن من ذلك يفسد ويعدي. وكذلك احذر ايضاً ماخالط الهواء من ابخرة البراز والقذف وماخرج من النزلات والخراجات الرديّة وساير مايبرز من الجسم. وكذلك فاحذر ايضاً من ان يرد الىٰ فيك من الطعوم مايفسد بكيفية له رديّة مذاقك او جزء من أجزاء فيك كالاسنان او اللسان او الحنك او ماسوىٰ ذلك كذوات الطعوم الشديدة الحمض او الشديدة القبض او الشديدة المرارة فان هذه تضر بآلات الذوق وآلات الفم وخاصة الاسنان واجتهد في تنقية هذه الالات بالدلك والسواك والجلي، واعتمد في جلائها علىٰ دلكها بالعسل فانه ينقي الأوساخ واللزوجة التي تجتمع عليها وخاصة علىٰ الاسنان واجتهد في ان لايترقىٰ من معدتك الىٰ فيك إلا بخارٌ محمود فان الأبخرة الرديّة تفسد الفم وانما يتم لك ذلك بإصلاحك لاغذيتك في كميتها وكيفيتها وترتيبها، واجتهد ايضاً في صون اضراسك واسنانك من الكسر بها الأشياء الصلبة لئلا

---

١٣٤) وردت في الاصل (بالمنطق المستقيم) والصحيح ما اثبتناه.

١٣٥) وردت في الاصل (باسره) والصحيح ما اثبتناه.

تثلمها وتهشمها فان ماعدم منها وانثلم لم يعد ، واحذر ايضاً عليها من الأشياء العلكة ومن البرودة المفرطة كالثلج ومن ورود الأشياء الباردة بعقب الحارة ، ومع جميع ماوصيتك فاجتهد الايبرز من فيك نطقاً الا مجملاً[١٣٦] حين ماتنطق به من العلوم ولايسمعه الاأهله ومستحقه وقل كما قال أفلاطن [١٣٧] حين جلس يوماً وحوله تلامذته سوى ارسطو طاليس فقيل له تكلم يامعلم فقال لو وجدت مستمعاً لتكلمت ، فقيل له حولك ايها الحكيم ألف تلميذ ، فقال أريد واحد [١٣٨] . واذ قد ذكرت هذه الجمل في الحواس فقد آن لي ان أرجع الى تمام القول في تلك الأمور الطبيعية .

القول في المأكول

واذا كان ماذكرناه من مصالح الحواس الخمس نافع فيما نحن في الكلام فيه من إصلاح حالات الجسم وكان ذلك قد توسط الكلام في الأمور الطبيعية علىٰ طريق المثال والارشاد والتنبيه، وكنا قد ذكرنا في الأمور الطبيعية أمر الهواء وأمور الحركة والسكون فيجب أن يتبع ذلك بالقول في أمور المأكول علىٰ الطريق الذي قلناه وسلكنا من الايجاز وذكر الجمل النافعة التي تحث وتشوّق الىٰ تقصي العلم بذلك من مواضعه وكتبه، وأقول ان المأكولات تسمىٰ أغذية علىٰ طريق الاستعارة ولانه قد يكون منها أغذية ايضاً. فأما الاغذية الحقيقية فانما هي الجوهر الذي قد تميز من المأكولات بالطبخ الأول والثاني والثالث وفارقته فضلاته التي لاتغذو وبقي ذلك الجوهر الذي يصلح ان يلتصق بالمغتذي ويخلف عليه عوض ماتحلل منه وهو الزايد في كميته لئلا يتحلل دائماً فيهلك.

واذا كان الأمر كذلك فانت تجد المأكولات مختلفة الطعوم والكيفيات وبحسب أختلاف حالاتها تؤثر في البدن فيجب ان تتعرف جواهرها وأفعالها وتعنىٰ ايضاً بمعرفة البدن ومزاجه الطبيعي له، ولابدّ لك مع ذلك من معرفة مزاج المعدة الطبيعي لها او المكتسب، وقد حثنا وأرشدنا الىٰ ذلك معلمنا الفاضل جالينوس في كتابه في الأغذية[١٣٩] فأنه

---

١٣٦) وردت في الاصل (محصّلا) والصحيح ما ابتناه.

١٣٧) افلاطن ـ هو افلاطون وقد مر التعريف به

١٣٨) وردت في الاصل (واحد) والصحيح ما ابتناه.

١٣٩) كتاب الاغذية لجالينوس ـ لعله كتاب قوى الاغذية وهو بثلاث مقالات نقلها الى العربية إسحاق بن حنين (ابن القفطي ص١٣١)

قال: وانما ينبغي ان يقصد للعناية بمعرفة الأمور وقد تجد الاغذية تبطئ او تسرع في الانحدار أما من قبل ماعليه طبيعة المعدة منذ أول أمرها واما من قبل جواهر الأشياء التي تؤكل وتشرب، لان بعضها رطب وبعضها يابس وبعضها لزج وبعضها يسرع التفرق والتقسيم وبعضها فيه حدة وحرافة، وبعضها فيه حموضة او مرارة او حلاوة او ملوحة او قبض او عفوصة[١٤٠] وقد يوجد في بعضها قوىٰ ما من القوىٰ الموجودة في الأدوية، قوىٰ هذه الاغذية داخلة في جنس الأدوية المسهلة، والعناية بما ذكر جالينوس من ذلك ينبغي ان ينصرف اليها الطبيب أنصرافاً شديداً تاماً اذ الصناعة الىٰ هذا الجزء من علمها في بقاء الانسان عظيم جداً. قال جالينوس وذلك ان العلم بها بقوىٰ الاغذية قريب من ان يكون أنفع علوم الطب كلها اذا كانت الحاجة الىٰ استعمال سائر مايستعمل من مصلحة البدن ليست في كل وقت، فالحاجة الىٰ الغذاء دائمة أبداً في وقت الصحة ووقت المرض اذ كانت الحياة لاتبقىٰ الا معه. وليس ينبغي لك ايها الطبيب ان تأخذ أمر قوىٰ الأغذية وحالاتها وماتفعلها من افعالها في البدن تقليداً ممن ذكره في كتاب فان لأصحاب التجربة كتباً قد وضعوها في ذلك علىٰ رأي التجربة، والتجربة في ذلك غير كافية اذ كانت تقضي علىٰ الامور من ظاهر حالاتها وانت تجد من الأشياء المتشابهة مايعمها بأسرها شيئ واحد وبه تشابهه ولاتصلح لأجل ذلك الشيئ ان تقضي عليها بقضايا أُخر عامة لها كلها، ومثال ذلك انك تجد عدة اشياء تسهل او تدر البول او غير ذلك من الافعال، وتجد بعضها بارداً وبعضها حاراً وقد تقدم [تعليم] ذلك جالينوس ومن كان قبله من علماء الأطباء كالذي حكاه جالينوس عن ديوقليس[١٤١] وهو هذا القول، قال: قال ديوقليس أما من ظن بأن الاشياء المتشابهة في الطعوم او في الروائح او في الحرارة او في غير ذلك مما اشبهها، قوتها واحدة، فبئس ماظن وذلك انه قد يقف الانسان من هذه الأشياء المتشابهة في هذه الأشياء علىٰ اشياء كثيرة مختلفة القوىٰ فليس ينبغي ايضاً ان يعمل علىٰ ان كل شيئ مما يطلق البطن او يدرّ البول او له قوة اخرىٰ سواها بين القوتين فأنما صار كذلك من قبل انه حار او بارد او مالح وذلك انه ليس كل الاشياء الحلوة او المالحة او غير ذلك مما اشبهها قوية قوة نظيره في الطعم ولكن ينبغي ان تميل علىٰ ان السبب الذي من أجله يحدث كل واحد من الأشياء مامن شأنه ان

---

١٤٠) العفوصة مصدر عفص، والعفص ثمرة تجفف وتشد الاعضاء الرخوة الضعيفة (الفيروزبادي ج٣ ص٢٣٠).

١٤١) ديوقليس ـ من الاطباء اليونانيين ايام ارسطو طاليس، وله مشاركات في الادوية الطبية.

يحدث عنه هو جملة طبيعة ذلك الشئ فان المتمسك بهذا الأصل لايغلط ولايفوته الحق أصلًا. **ولاينبغي لك ايضاً ان تسارع على ان تقطع على شيء من الاغذية أو الادوية من حيث** صورته للحس مفردة بأنه يفعل فعلاً واحداً فانك قد تجد ماصورته واحدة وهو يفعل افعالاً متضادة كالذي يفعله العدس [142] والكرنب[143] فانهما يطلقان بعض البطون ويحبسان بعضها وانما يفعلان ذلك لأن خلقة كل واحد منهما من أصل تركيبه ومزاجه قد اجتمع فيه جوهران مختلفان لهما قوتان مختلفتان، قال جالينوس واما السبب الذي صار له العدس يطلق بطن بعض الناس ويلينه ولا يحبسه ويعقله. فهو ماأصف أقول: أني قد بينت في كتاب الأدوية المفردة ان كثيراً من الأنواع التي يظن بها بسيطة مفردة وقد ركبت في اول خلقها من جواهر مختلفة وقوى متضادة بمنزلة مانؤلفه نحن بالصنعة فنفعل انواعاً كثيرة مختلفة نوعاً واحداً مؤلفه، وقد نجد ذلك في كثير من الأغذية كالعدس والكرنب وجميع حيوان البحر ذوات الجلود الخزفية فان طبيعة كل واحد منها مؤلفة من قوى متضادة وذلك ان جزئها الصلب بطئ الاغذاء حابس للبطن ومافيها من الرطوبة يطلق البطن. وبيان ذلك مانجده في طبخها وذاك ان مرق كل واحد منها يطلق البطن وجرمه الصلب يحبس البطن، ومن ثم اختلف الناس في أمرها. ثم انظر ايضاً مع[144] ما تنظر من حالات الأغذية في حالات المعدة فانك قد تجد من المعدة ماالغالب عليها الحرارة النارية، اما لان مزاجها من أجل خلقتها كذلك او لان مراراً أصفر ينصب اليها مما قد مال من أصل الخلقة عن طريقه الذي كان الى الامعاء فصار ينصب اليها فان المعدة التي هي حالها تهضم من الاغذية غليظها كلحم البقر ونظيره ويفسد فيها مالطف كلحوم الدّراج والفراريج فليس ينبغي لك ان تمتحن وتجرب الأغذية وتقطع عليها بأن بعضها سريع الانهضام وبعضها بطئ الانهضام بحسب حالات هذه المعدة فان هذه المعدة وماسواها مما بَعُد عن الاعتدال بُعداً كبيراً لايصح القضاء على الأغذية من جهتها. ويجب ان ننظر في أمر الاغذية نظراً آخر وهو ان من المأكولات ماأكثر

---

١٤٢) العدس ـ ومروق، وطبيخه يعقل البطن بيبس، وهو عسر الهضم ويقلل البول والطمث (ابن البيطار ج٣/ ص١١٨).

١٤٣) الكرنب ـ نبت بري وبستاني وبحري، طبيخه ينفع من علل المفاصل والخوانيق ويقتل الديدان المعوية ويدر البول والطمث (ابن هبل ج٢/ ١١٤).

١٤٤) وردت في الاصل (معما) والصحيح ما ابتناه.

مافيها مايغذو[١٤٥] لمشابهتها لجسم المغتذي وذلك كالحنطة والشعير والأرز وماشابه هذه من الحبوب، وكلحوم الحيوان العذبة الطعم السريعة النضج والانهضام فان جميع ذلك وماجانسه يغذو[١٤٦] الانسان اذا أجيد أصلاحه غذاءً كثيراً. فأما ماوجد من المأكولات غير مشابه لجسم المغتذي فانه مع انه لايغذي غذاءً محموداً فانه يمرض اذا لم يفهم الأكل له وجه استعماله وذلك كالمأكولات التي قد غلبت علىٰ بعضها الحموضة المفرطة او الملوحة المفرطة او الحلاوة المفرطة او القبض المفرط فان هذه الىٰ طبائع الأدوية هي أميل وقد يوجد بين المأكولات المشابهة والخارجة الىٰ الأطراف خروجاً كثيراً متوسطات مختلفة المراتب اذا حسن اصلاحها غذت المغتذي بها ولم تضره. وايضاً فان من هذه الخارجة عن التوسط في الطعوم مايصلح ابداناً كثيرة كالذي يفعله العسل فإنه يصلح ابدان المشايخ وخاصة من كان مزاجه منهم بارداً ومن غلب عليه البلغم وكذلك أصحاب الأمزجة الباردة وفي الأزمان الباردة وفي البلدان الباردة، فافهم ذلك وقس عليه باقي المأكولات ذوات الطعوم الظاهرة المختلفة، واذا صحّ لك معرفة الغذاء الموافق فاحذر من الزيادة والنقصان وتوخّ التوسط فانه أسلم واوفق والى ذلك أشار بقراط بقوله: قال بقراط كلُّ كثير عدوٌ للطبيعة والقليل قليلاً (ثقة) وقال بقراط لا الشبع ولا الجوع ولاغيرهما من جميع الأشياء محمود اذا كان مجاوزاً لمقدار الطبيعة. وقال بقراط ايضاً: متىٰ ورد علىٰ البدن غذاء خارجاً عن الطبيعة كثيراً[١٤٦ب] فان ذلك يحدث مرضاً ويدل علىٰ برده، وقال يضطرك الأمر في تقدير الغذاء لبدن المغتذي الىٰ النظر في أمر الفصل من الزمان الذي انت فيه وذاك ان الصيف والخريف فصلان لايحتمل الجسم فيهما الزيادة في الغذاء فأما فصل الشتاء والربيع فيحتملان من الغذاء الكثير. والىٰ ذلك أشار بقراط في هذا الفصل من قوله؛ قال بقراط: أضعف مايكون احتمال الطعام علىٰ الأبدان في الصيف والخريف وأسهل مايكون احتماله عليها في الشتاء ثم بعده في الربيع، وبين ذلك جالينوس وفسّر بهذا القول، قال جالينوس: ان الأبدان تبتدي في الخريف تبرد وتجتمع وتتكاثف، وتبتدي في الربيع تسترخي وتستخف، وقال بقراط ايضاً الأجواف في الشتاء والربيع اسخن مايكون بالطبع، والنوم أطول مايكون، فينبغي في

---

١٤٥) وردت في الاصل (مايغذوا) والصحيح ما اثبتناه.

١٤٦) وردت في الاصل (يغدوا) والصحيح ما اثبتناه.

١٤٦ب) وردت في الاصل (كثر) والصحيح ما اثبتناه.

هذين الوقتين ان يكون مايتناول من الأغذية اكثر وذلك ان الحار الغريزي في الأبدان في هذين الوقتين كثير ولذلك يحتاج الىٰ غذاء كثير والدليل علىٰ ذلك الأسنان (والضريعين) وايضاً مما هو ضروري من علم زمان الغذاء هو معرفة اوقات التغذية الجزئية أعني التي ينبغي ان يتغذىٰ فيها من اليوم والليلة مثلاً وكم مقدار الزمان بين الغذائين، فان معرفة ذلك انما يكون من جهة المغتذي وسرعة هضمه ونقاء معدته من الغذاء الأول ومن اخلاط مفسدة ولكثرة الزايدة، وقد أجمل ذلك بقراط من قوله هذا في أبيديميا[147] في المقالة السادسة منه حيث رتب الغذاء بعد الرياضة وقبل النوم فقال: التعب والطعام والنوم والجماع ينبغي ان تستعمل كلها بالقصد ومع ترتيبه له الترتيب الطبيعي، نيّة في قوله بالقصد عن الاجتهاد في تقدير كميته لكل مغتذٍ[148] قال بقراط: البدن الذي ليس بالنقي كلما غذوته إنما تزيده شراً. ولان من المأكولات ماكثيرها يغذو غذاءً قليلاً كالبقول. ومنها ماقليلها يغذو غذاءً كثيراً كلحوم الحيوان وماصلب من الحبوب، ومنها ماهي متوسطه بين ذلك كلحوم الجداء والفراريج والدراج وأمحاح البيض وماشاكل ذلك، فلذلك يجب ان يعنىٰ بعلم ذلك ليستعمل منه الأوفق بحسب الحاجة. وايضاً لأن من المأكولات مايسرع اليه الفساد لاستحالتها سريعاً ومنها مايبطي فسادها لصلابتها فلذلك يجب ايضاً علم ذلك علىٰ الطبيب ليرتب الغذاء بحسب ذلك وبحسب حال المعدة فان علىٰ اكثر الامر ينبغي ان تقدم الاغذية السريعة الأستحالة قبل البطيئة النضج ليسهل نفوذ الصلبة وايضاً لئلا تفسد ان قدمت علىٰ السريعة فان تقديم أكل البطيخ والمشمش وماشاكلها علىٰ الخبز والمأكولات الأُخر أحمد ولذلك صار أكل أمثال هذه بعد الطعام مفسد للطعام والمعدة والأخلاط[149] ولاتهمل مع جميع ماقدمته لك النظر في الاسنان والنخر والبلدان والعادات والأعمال والحالات فان علم جميع ذلك واجب ضرورة علىٰ كل من أحب اصابة الطريق المحمود في تغذيته لجسمه ولغيره، فتدبر بذلك وقس عليه.

---

١٤٧) كتاب الابيديميا ـ من مؤلفات ابقراط، ويعرف عند العرب باسم كتاب الامراض الوافدة، وهو بسبع مقالات في امراضها وبخاصة منها مرض النكاف ومرض حمىٰ النفاس. قد فسره جالينوس وترجمه حنين بن اسحاق (ابن ابي اصيبعه ص٢٧٤).

١٤٨) وردت في الاصل (مغتذي) والصحيح ما اثبتناه.

١٤٩) للاطباء العرب كتب ومؤشرات في ترتيب تناول الاطعمة بما يطابق ماأورده الرهاوي في هذا الباب، وكذلك بما هو متبع في كثير من البلاد المتقدمة في الزمن الراهن حيث يكون تناول بعض الفاكهة قبل تناول وجبات الطعام الرئيسة.

القول في المشروبات

واما المشروبات فالعلم بقواها وافعالها واجب أيضاً ليستعمل نافعها ويحذر ضارها ولايقدر علىٰ ذلك من جهة امزجتها وطبائعها، ولأن الماء أقدمها كلها في الشرف والطبع والمرتبة والنفع فلذلك يلزم العناية بعلم حالاته التي بها يفيد الأبدان وذلك ان حاله الطبيعية له هي واحدة لاتختلف وذلك انه جوهر لا لون له ولاطعم ولا رائحة ولكنه بارداً رطباً وخلق جسمه لا ثبات له ولا أتصال لاجزائه الا بنظام يضمها ومكان (الأخزانه بعضها عن بعض يخزنه فلذلك[150] لايغذو[151] غير أنه نافع في نضج الغذاء ونفوذه الىٰ أجزاء الاجسام فأما ماوجد من المياه مخالفاً لما ذكر فبغير شك ان جسمه قد خالط غيره من الأجسام ذوات الكيفيات واكتسب بذلك كيفيات لم تكن كالمياه الكبريتية والبورقية والشبيّة وأشباه هذه المياه المختلفة الطعوم والأفعال، ولذلك صار له طعم ورائحة أو ثقل عن وزن غيره، ولأجل ذلك يصير مغيراً للابدان ومؤثراً بايثارات مختلفة فيها، فيجب علىٰ الطبيب ان يعنىٰ بمعرفة قوىٰ المياه واختلافها فان الضرر الداخل علىٰ الجسم من اهمال أمر الماء عظيم جداً لأصل الحاجة اليه في البقاء واستعماله دائماً وأمره وأمر الهواء وأمر فصول السنة اذا اختلفت وأمر الرياح في عمومها للابدان أمر واحد[151ب] في الضرر الداخل علىٰ الاجسام منها ولذلك قال بقراط هذا القول: قال بقراط من أراد طلب الطب علىٰ طريق المستقيم فينبغي ان يفعل هذه الأشياء التي أنا واصفها وهي ان تتفكر اولاً في اوقات السنة ماالذي يقدر ان يفعل ذلك ان بعضها لايشبه بعضاً لكنها مختلفة جداً في أنفسها وفي تغيرها. ثم ينظر بعد ذلك في الارياح الحارة منها والبادرة وخاصة مايعُم منها جميع الناس ثم مايخص منها كل واحد من البلدان. وقد ينبغي له ايضاً ان يفكر في قوىٰ المياه، فانه كما قد تختلف المياه في الطعم وفي الوزن. كذلك قوة كل واحد منها مخالفة جداً لغيره. واذا تدبرنا مامرنا به بقراط بأفكارنا علمنا ان الماء عظيم النفع في حفظ الصحة اذا كان موافقاً، وعظيم المضرة اذا كان غير موافق، ولايقدر علىٰ تمييز ذلك وتحصيله اكثر مما ميزه القدماء واشدهم تحصيلاً لذلك

---

١٥٠) هذه العبارة مضطربة فنقلناها كما هي.

١٥١) وردت في الاصل (يعدوا) والصحيح ما اثبتناه.

١٥١ب) وردت في الاصل (امراً واحداً) والصحيح ما اثبتناه.

قال[١٥٢] بقراط ، فاستمع لتعليمه واعن بحفظه لتصل الىٰ نفسك[١٥٣] في صناعة الطب، قال بقراط: وأريد ان أخبر عن ساير المياه ما كان منها اقربها الىٰ احداث الصحة وانا واصف مايجب ان يحدث عن الماء من الآفات ومايحدث عنه من الماء المالح وذلك ان حظ الماء في المعونة علىٰ الصحة عظيم جداً، فأقول انه لما كان من المياه حامي[١٥٤] (قائم) وغائص فيجب ضرورة ان يكون في الصيف حاراً غليظاً ذا رايحة من قبل انه لايجري فينفذ، لكنه لما كان ماء المطر لا يزال يمده دائماً فلا تزال الشمس تحرقه وجب ضرورة ان يكون حايل اللون ردياً مولداً للمرار. وان يغلب عليه في الشتاء الجمود والبرد والكدورة من قبل الثلوج والجمد حتىٰ تكون هذه المياه اقرب الىٰ توليد البلغم وأولاها بإحداث البحوحة ولن يحدث لشُرابها دائماً أطحلة عظيمة صلبة. ثم قال بعد فالامر عندي في هذه المياه انها رديئة في جميع الأمور، وقال ثم بعد هذه المياه التي ينابيعها من مواضع صخورية وذلك انه يجب ضرورة ان تكون هذه المياه خشنة وكذلك المياه التي تنبع من أرضٍ فيها مياه حارة او يتولد فيهـا حديـد ونحاس او فضة او ذهب او كبريت او شب او بورق فان هذه كلها انما تتولد عن حصر الحرارة فليس يمكن ان يتولد عن هذه الارض مياه صالحة لكنه يجب ان تكون خشنة ملهبة عسرة المرور بالبول ممانعة لانطلاق البراز. وقال: وأفضل المياه هي الجارية من مواضع مشرفة عالية ومن جبال مدببة[١٥٥] فان تلك المياه مياه عذبة صافية والذي تحتمله من الخمر قليل وتكون في الشتاء حارة وفي الصيف باردة فانها اذا كانت كذلك كانت من أبعد الينابيع غوراً. وقال ايضاً يصف المياه الفاضلة: أما ماكان منها ينابيعه مقابلة لمشارق الشمس فتلك المياه أفضل المياه ثم بعدها ماكان من المياه فيما بين مطالع الشمس الصيفية وبين مغاربها وخاصة ماكان منها مقابل لمطلع الشمس.

ثم الثالثة بعدها المياه التي فيما بين مغارب الشمس الشتوية وبين الصيفية فارديءها[١٥٦] المياه التي تقابل الجنوب وهي التي تقابل مابين المشرق الشتوي وبين والمغرب وهذه المياه

---

١٥٢) هذه الكلمة من وضعنا

١٥٣) وردت في الاصل (لنفسك) والصحيح ما ابتناه.

١٥٤) وردت في الاصل (حامياً) و(غائصاً) والصحيح ما ابتناه.

١٥٥) وردت في الاصل (مدربة) والصحيح ما ابتناه.

١٥٦) وردت في الاصل (فاردئها) والصحيح ما ابتناه.

تكون في اوقات هبوب الرياح الجنوبية رديئة جداً وتكون عند هبوب الـرياح الشمـالية أجود. وقال: وينبغي ان تستعمل هذه المياه علىٰ هذا الطريق.

امـا من كان صحيحـاً قويـاً فلا ينبغي لـه ان يميز بـين الميـاه لكن يشـرب منهـا مايحضره[١٥٧]. وقال يمدح ماء المطر: ان ماء المطر أخف المياه وأصفاها وأعذبها وأرقها وذلك اولاً من قبل ان الشمس انما ترفع من الماء وتسلب منه أرقه وأخفّه[١٥٨] ومما يدلل علىٰ ذلك أمر الملاحات وذلك ان الجزء المالح من الماء يبقىٰ فيها بسبب غلظه وثقله فيصير ملحـاً وتسلب الشمس أرق الماء لخفته فترفعه. والشمس ترفع ذلك لامن المياه العذبة فقط لكن قد ترفعه من ماء البحر ايضاً ومن جميع الاجسام، وترفع من ابدان الناس دائماً أرق مافيها من النداوة وأخفه، ومما يدل علىٰ ذلك أعظم الدلالة ان الانسان اذا مشىٰ في الشمس أو جلس فيها وعليه ثوب فان ماكان من جسده بارزاً[١٥٩] للشمس لايعرق وذلك ان الشمس تسلب دائماً مايبرز من العرق (فترفعه) وماكان من بدنه مغطىٰ بالثوب او بغيره اي شئ كان فانه يعرق وذلك ان الشمس تخرج العرق قسـراً والجبة تحفـظه وتبقيه حتىٰ لاتبـدده[١٦٠] الشمس، فاذا انتقل ذلك الانسان الىٰ الظل عرق بدنه كله علىٰ مثال واحد وذلك ان شعاع الشمس عند ذلك لايقع عليه. قال: ولذلك صار ماء المطر أقرب الىٰ العفونة والىٰ ان يصير له رائحة رديئة لانه انما يجمع من رطوبات كثيرة جداً فهو مختلط منها فيجب في ذلك ان يكون اولىٰ المياه بأن يعفن. ثم لما [أورد][١٦١] ابقراط بعد هذه الاقاويل كيف يتكون المطر قال: فهذا الماء واجب ان يكون أول المياه لكنه قد يحتاج الىٰ ان يهذب بأن يُغلىٰ ثم قال: فأن لم يفعل به ذلك صارت له رائحة رديئة وأحدث لمن يشـربه بحـوحة وسعـالا[١٦٢] وثقل صوت.

وقال بقراط: اما ماء[١٦٣] الثلوج وماء الجمد فكله رديئ وذلك ان الماء اذا جمد مرة لايعود الىٰ طبيعته الاولىٰ لكن ماكان منه صافياً خفيفاً عذباً انعصر وباد ويبقىٰ منه أعكره

١٥٧) وردت في الاصل (مايضره) والصحيح ما اثبتناه.

١٥٨) وردت في الاصل (احفاه) والصحيح ما اثبتناه.

١٥٩) وردت في الاصل (بارزاً) والصحيح ما اثبتناه.

١٦٠) وردت في الاصل (تبيده) وقد يكون الاصح ما اثبتناه.

١٦١) وردت في الاصل (اورا) والصحيح ما اوردناه.

١٦٢) وردت في الاصل (سعالاً) والصحيح ما اوردناه.

١٦٣) وردت في الاصل (الماء) والصحيح ما اثبتناه.

وأقربه من القايم . واذ قد ذكرت في هذا الموضع هذه الفصول من كلام بقراط ليستدل منها علىٰ ماالحاجة اليه ماسة من أمر الماء وليكون ايضاً حاثة لك علىٰ تقصي علم ذلك من مواضعه[١٦٤] من كتب ابقراط وجالينوس فاني عائد الىٰ القول في المنافع بالاستحمام[١٦٥] بالماء وأقول ان المنافع بالاستحمام بالماء مختلفة ايضاً للاصحاء والمرضىٰ وذلك أن من الأبدان الصحيحة مايوافقها الاستحمام بالماء العذب البارد وكذلك قد يوافق بعضها المايلة الىٰ الملوحة والىٰ البورقية والىٰ الشبية وغير ذلك من المياه ذوات الطعوم الأخر الحارة الموجودة في الحمآت وغير الحارة وكذلك قد يوافق هذه الأصناف من المياه لبعض المرضىٰ دون بعض ولأسنان دون أسنان، وفي بلدان دون بلدان وللعادات[١٦٦] في ذلك ايضاً حظ عظيم[١٦٧] فيجب عليك اختبار ذلك وتقصيه. واجتهد في التقصي علىٰ محمود المياه من مذمومها بالاوجه التي وصفها بقراط وبهذه الأوجه التي نذكرها هاهنا وهي هذه. اجعل دلالتك التي تستدل علىٰ خفة الماء وجودته سرعة برده وسرعة سخونته وهذا هو قول بقراط من ذلك، قال: الماء الذي يسخن سريعاً ويبرد سريعاً هو اخف المياه. وفي الخامسة من كتابه في الفصول: وخفة وزنه بمقايسته لغيره وسرعة جفاف مايعجن به مع سرعة نضاج مايطبخ به. وبعد ذكري لهذه الجمل فقد ينبغي ان اتبعها بذكر الخمر والنبيذ لما في ذلك من المنافع[١٦٨] فأن للخمر[١٦٩] منافع[١٧٠] للأصحاء والمرضىٰ فاما الأصحاء فانه يغذو اسرع مما يغذو ساير الأغذية الباقية لسرعة نضجه ونفوذه الىٰ الكبد واستحالته الىٰ (. . . . .) له في خاصة مزاجه من الحرارة فهو لذلك يكثر الدمّ ويصفيه وينقي عنه بالبول كثيراً من الرطوبات المخالطة له وهو ينضج ماصادف في المعدة والكبد بحرارته من البلغم ومالم يستحكم نضجه من الاخلاط وكذلك صار أصحاب الامزجة الباردة والمعد الكثيرة البلغم

---

١٦٤) اقرا في المياه (ابن هبل ج١/ ص١٦٤ - ١٦٧ والرازي في الفصول ص٣٠ - ٣٣) وفي ثلاثة من هذا المصادر عن المياه بعض الاختلافات المهمة

١٦٥) اقرا في الحمّام في الفصول ص٣٨ - ٤٠

١٦٦) اقرا في العادات في المختارات لابن هبل ج١/ ٢٧٢

١٦٧) وردت في الاصل (عظيماً) والصحيح ما ابتناه.

١٦٨) وردت في الاصل (نافعاً) والصحيح ما ابتناه.

١٦٩) اقرا في الشراب (الخمر) الرازي في الفصول ص٥٧ - ٥٩

١٧٠) وردت في الاصل (ما) والصحيح ما ابتناه.

ينتفعون به وخاصة عند اخذهم القليل منه في جملة اغذيتهم وبماله من الفضائل صار يقوي البدن ويكسبه خصباً ولوناً مشرقاً ونشاطاً للحركات والاعمال. ولذلك فانه ايضاً هو يكسب النفس سروراً وفي بعض الامزجة يجوّد الخاطر ويحدّ القريحة جميع هذه المنافع اذا يفعلها في الأصحاء مع ما[١٧٠ب] له من المنافع في المرضىٰ اذا استعمل منه ما جاد من جوهره واعتدل في كميته وكيفيته وبحسب الأصلح ليستعمله في حال طبعه وسنه وعمله وعادته والوقت من السنة والبلد الذي هو ساكنه وغير ذلك مما لابد من النظر فيه، فأما ان اهمل النظر فيه وفي واحد من هذه الأشياء او في اكثر من واحد كان الضرر الداخل علىٰ الانسان في نفسه وجسمه بحسب ذلك وخاصته ان جعل شاربه غرضه من شرب الخمر والنبيذ الالتذاذ به وطلب السكر ودوام ذلك فانه سيؤول به الأمر من المضار العاجلة الىٰ مايكثر تعديده ووصفه وأنت ان افتقدت المضار والعيوب التي يجلبها علىٰ من داومه بكثره وجدتها ظاهرة يعرفها من ليس هو طبيب بسهولة عندما يجعلها باله فكم من جسم صحيح قد أمرضه وكم صنوفاً من الموت قد أحدثها وكم أدمغة قد أفسدها فذهب بحفظها وأساء تمييزها وكدّر تخيلها وكم أعصاب قد يبسها وأعضاء قد أرعشها وحواس قد أضعفها وكم صنفاً من التغايير الرديئة تحدث للنفس في نومه فكيف اذا تمادى بصاحبه الإدمان على كثرته لانه ينقل شاربه بعد سروره الى الطرب واللعب كلعب الصبيان ثم ينقل الانسان الى ظنه بنفسه الشجاعة فيحمله على التهور في المهلكات ويصور له القبائح بصورة المستحسنات ثم آخر أمره يؤول بصاحبه الى العجز عن الحركات المستقيمة الى الحركات المضطربة حتى ربما قذف وبال بين الحضور وهو لايعلم فتصير منزلته في وقته ذلك منزلة الأطفال الذين تجري هذه الأفعال منهم مجراها من البهائم بغير عقل ولاتمييز. فهذه جمل من عيوب شرب الخمر وجمل من منافعه ولك ان تفهم منها من فروعها ومالم أر[١٧١] للتطويل بذكره وجهاً. وبعدما ذكرته فقد بقي ان أقول لمن أراد استعماله فمنافعه ان ينظر في اختلاف اصنافه فان الخمر الأسود الغليظ القابض هو مضاد للأبيض الرقيق الماء فأما الأحمر المايل الى الصفرة فهو متوسط بينهما وأعني بأن الأسود مضاد للأبيض في أفعاله[١٧٢] لأن الأسود لغلظه لاينفذ عن

١٧٠ب) وردت في الاصل (معما) والصحيح ما اثبتناه.

١٧١) وردت في الاصل (ارى) والصحيح ما اثبتناه.

١٧٢) وردت في الاصل (افعالها) والصحيح ما اثبتناه.

المعدة بسرعة بل يبقى فيها وهو يغلظ الدم ويغذو. فأما الأبيض فيفعل أضداد هذه الأفعال وهو أشد إدراراً للبول بسرعة نفوذه وأقل إسخاناً للبدن. واذا كان الأمر في هذين الطرفين كذلك فأفعال المتوسط بينهما متوسطة أيضاً ولأن من الخمور ماهي متوسطة ايضاً بين هذا الأوسط وبين الأطراف بمراتب كثيرة مختلفة فمنها ماهو قريب من المتوسط ومنها ماهو قريب من الأطراف فلذلك ينبغي ان يميز أصنافها ويقيسها بالمتوسط الذي هو أعدلها ليعلم طبعه وتأثيره في اجسام الاصحاء والمرضى. ويتبع الخمر من الاشربة ماعمل من الزبيب فانه أقرب اليه مما عمل من التمر وغيره من المسكرات على اختلاف صنفها فقس جميع تلك بما ذكرته من أمر الخمر وأنت تقدر على تعرف فعلها في الجسم من اختلاف طعومها وكذلك فافعل فيما لايسكر من الأشربة لكنه ينفع في حفظ الصحة ومعالجة الامراض كالمشروبات المستخرجة من الثمار كماء الرمان وماء التفاح وماء السفرجل ونظايرها. ذلك ومايركب من هذه ومايعمل أيضاً من السُكر والعسل وغيرهما من الأشربه المُختلفة أصنافها المتغايره أفعالها فلذلك يجب أن تأخذ نفسك في تعرف أصنافها وتقصي وجوه تراكيبها وماتؤثره في صنف صنف من الأمزجه لتستعمل منها مااحتجت الى استعماله على ثقة واعن بمعرفة شراب العسل وأصناف تراكيبه فأنها كثيرة بحسب الحاجات اليه والحاجات اليه في حفظ الاصحاء وفي معالجة المرضى عظيمه جداً. واعلم ان اختلاف افعاله في حل الطبع وعقله وادراره البول وقلة ادراره وقطعه للعطش وزيادته في العطش وانضاجه للاخلاط وقلة انضاجه وتغذيته للبدن وقلة غذائه جميع ذلك يفعله بحسب كثرة مزاجه بالماء وقلته وتوسطه وبحسب وجه استعماله من الحار والبارد ووقت استعماله ايضاً فان النظر في جميع ذلك يعينك على تقدير مايستعمل منه وعند اي الحالات ويدلك على الموافق من المشروبات لكل واحد من الناس وفي حالة واحده من حالات الجسم فدبّر ذلك وقس عليه والتمس جميع مااحببته منها من الكتب التي وصفت فيها هذه الاشربة وتفقدها في كل صنف منها من المفردات فانك بذلك تصل الى حقيقة مطلوبك.

القول في الاستفراغ[١٧٢ب] والاحتقان

نظر الطبيب في أمر الاستفراغ والاحتقان يجب ان يكون علىٰ وجهين احدهما للحاجة اليهما في أمر حفظ صحة الأصحاء والثاني في أمر معالجة المرضىٰ. فالاستفراغ والاحتقان في حال الصحة هما طبيعتان وفي حال المرض هما عرضيتان وذلك ان الباري تعالىٰ جعل للأجسام المغذيّة الثابتة قوة تجذب اليها مايوافقها من الأغذية وقوة اخرىٰ تحفظ عليها ماانجذب اليها الىٰ ان ينهضم وبعد ذلك يغتذى منه بما وافقها ومافضل مما لايوافقها يندفع عنها بقوة أخرىٰ خلقت في الأعضاء لدفع ذلك عنها فاذا كان الجسم صحيحاً فعلت هذه القوىٰ الأربع افعالها في الاوقات التي تخصها واذا ضعفت أفعال هذه القوىٰ او لم تفعل افعالها البتة او فسدت أو تأخر فعل بعضها عن وقته دلّ ذلك علىٰ مرضٍ بالجسم فلذلك يجب علىٰ الطبيب ان يعنىٰ بمعرفة الأستفراغ والأحتقان في تدبير جسم الانسان اذ كان غذاء الجسم ليس هو جميع مايأكل الانسان ويشربه لكن اغتذاء اجسامنا انما هو الذي يصير شبيهاً بها فقط فاما مالم يكن فيه المشابهة فانما يبقىٰ[١٧٣] فضلاً ينتفع ببقائه في الاعضاء المغتذية فلذلك خلق الباري جلّ وعزّ في كل جسم منافذ وطرقاً تبرز منها تلك الفضلات بدفع القوة الدافعة لها عن المغتذي وذلك كمنفذ البراز ومنفذ البول ومنافذ العرق والأثقاب التي يبرز منها فضل عضو عضو كالبلغم والمنخرين والاذنين وبالجملة ساير الأثقاب التي اعدت لذلك. واذا كان الأمر علىٰ ما قلنا فقد يلزم الطبيب العناية بمعرفة نوع مايستفرغ من البدن في حال الصحة فان وجده يبرز عن البدن بالمقدار الذي يجب وفي الوقت الذي ينبغي ان يبرز فيه وهو الوقت الذي قدرته الطبيعة للبروز اكتفىٰ بفعلها وكف عن معاونتها. وان وجد مايبرز من تلك الفضلات قد خرج عن الأمر الطبيعي وجب عليه ان يردّ ماخرج عن الأمر الطبيعي الىٰ مجراه الطبيعي اذكان الطبيب خادماً للطبيعة، وخروج مايبرز من البدن عن الأمر الطبيعي هو علىٰ ضربين[١٧٤] اما ان يكون مايبرز من البدن اكثر مما ينبغي او أقل، فإن كان اكثر وجب عليه قطعه ومنعه وان كان أقل وجب عليه اسهاله ودفعه ولن يقدر الطبيب ان يأتي من ذلك الأمر المستقيم الا من بعد ان يعلم لِمَ احتبس ماكان من عادة الطبع

١٧٢ب) اقرا في الاستفراغ للرازي في كتابه الفصول ص ٩٠ ـ ٩٩ وفي الاستفراغ والاحتقان لابن هبل ج١ ـ ١١٩

١٧٣) وردت في الاصل (يبقا) والصحيح ما اثبتناه.

١٧٤) وردت في الاصل (على ضرب) والصحيح ما اثبتناه.

دفعه ولَمَ أندفع مالم تجر عادة[175] الطبع بدفعه ومثال ذلك البراز والبول فان نوعيهما وما ماثلهما من فضلات الجسم من شأن الطبع ان يدفعها[176] عن الجسم ويخرجها[177] في اوقات معلومة بمقادير مناسبة لما يرد الىٰ البدن من الاغذية وبكيفيات متشابهة هذا اذا كان البدن صحيحاً والتدبير موافقاً، فأما مالم يجعل له الطبع استفراغاً بنوعه بتّة كالدم من الذكور (ولو قيل) من الاناث ايضاً لكان قول حق اذ الحيض المنبعث من الاناث ذوات الحيض انما هو فضل[178] من فضول الدم والبدن. ولايمكن ايضاً للطبيب ان يستعمل الأمر الواجب في الاستفراغ والاحتباس دون ان يعلم الأشياء التي يكون بها الدفع والحبس، فانه وإن علم مثلاً ان البراز قد احتبس لكيفية هو في نفسه مثلاً أعني ليبسه او لغير ذلك من الكيفيات المانعة له من الخروج او لان القوة الدافعة قد ضعفت عن دفعه او لان مانعاً[179] ما قد سدّ طريقه ومنفذه كورم قد عرض في بعض الامعاء فان علم علمه بذلك وامثاله لايغنيه في استفراغ ماقد اعتقل دون ان يعلم بأي شيءٍ ينبغي ان يكون الاستفراغ وكالذي قلناه فيما احتبس فكذلك ينبغي ان تفهمه ايضاً فيما استفرغ وانما ذكرت هذه النكت في هذا الكتاب ليكون منبه[180] لك ايها الطبيب وحاثٌ حتىٰ تعرف اصولها وفروعها من الكتب التي وضعها قدماء الأطباء في ذلك فان بقراط قد ذكر جملاً من أمر الاستفراغ وحالاته واجب علمها علىٰ من عني بحفظ صحة الأصحاء وبمعالجة المرضىٰ منها قوله هذا: قال بقراط: ايضاً ان كان مايستفرغ من البدن عند استطلاق البطن والقي اللذين يكونان طوعاً من النوع الذي ينبغي ان ينقىٰ منه البدن نفع ذلك وسهل احتماله وان لم يكن كذلك كان الأمر علىٰ الضد وكذلك خلاء العروق فانها ان خلت من النوع الذي ينبغي ان تخلو منه نفع وسهل احتماله وان لم يكن كذلك كان الأمر علىٰ الضد. قال بقراط ايضاً من المقالة الرابعة

---

175) وردت في الاصل (العادة) والصحيح ما ابتناه.

176) وردت في الاصل (يدفعها) والصحيح ما ابتناه.

177) وردت في الاصل (يخرجها) والصحيح ما ابتناه.

178) وردت في الاصل (فضلاً) والصحيح ما ابتناه.

179) وردت في الاصل (مانع) والصحيح ما ابتناه.

180) وردت في الاصل (منبهه) والصحيح ما ابتناه.

من هذا الكتاب، اعني كتابه في الفصول[١٨١]، انما ينبغي ان يسقىٰ من الدواء مايستفرغ من البدن من النوع الذي اذا استفرغ من تلقاء نفسه نفع استفراغه فاما ماكان استفراغه علىٰ خلاف ذلك فينبغي ان يقطعه. وكما انك ايها الطبيب مضطر عند استفراغك لفضلات اخلاط البدن وفضوله الىٰ النظر في مزاج البدن وسحنة ذلك الانسان وسنه وعاداته وصنعته والزمان الحاضر وحال الهواء وحال البلد وكذلك يجب ان تنظر ايضاً في هذه الأشياء يوماً فيوماً عند قصدك استفراغ ماقد احتبس من فضلات اغذية البدن عضواً عضواً من اعضائه واستعن في دفعك لما تريد اخراجه بالحركة فانها تثور ماتقصد لدفعه ويضد ذلك السكون ولهذه العلة يأمر بقراط من شرب دواء مسهل[١٨٢] بالحركة لانها تحمي اخلاطه فترقها ولذلك يكون جذب الدواء لها ودفعه أسهل واسرع. قال بقراط اذا سقيت انساناً خريقاً فليكن قصدك لتحريك بدنه اكثر ولتنويمه ولتسكينه أقل وقد يدل ركوب السفن علىٰ ان الحركة تثور الأبدان. ومع ما[١٨٣] للحركة الموافقة والرياضة المعتدلة من دفع الفضلات واستخراجها فأن[١٨٤] للاستحمام بالماء المعتدل الحرارة ايضاً في ذلك حظاً وكذلك للدهن والدلك وأخذ مايؤكل ويشرب من الاشياء الموافقة في الاستفراغ والاحتقان، وانت تقدر علىٰ تعلم هذه الأمور من كتب جالينوس وغيره من القدماء، فان جالينوس قد صنّف لما ذكرناه من أمر الاستفراغ والاحتقان ولتصنيف الرياضات[١٨٥] وبالجملة ساير ماينتفع به الاصحاء من ذلك كتاباً قسمه ست[١٨٦] مقالات وسماه كتاب تدبير الأصحاء أنت تحظىٰ منه بجميع غرضك.

---

١٨١) كتاب الفصول لابقراط ـ وهو بسبع مقالات ضمنها تعريف جمل الطب لتكون قوانين لنفس الطبيب، وقد تكون هذه مجمل ماورد في كتبه الاخرىٰ (ابن ابي اصيبعة ص٥٤، وقد فسره جالينوس وترجمه الىٰ العربية فريق حنين بن اسحاق (ابن ابي اصيبعه ص٢٧٢)

١٨٢) وردت في الاصل (مسهلاً) والصحيح ما اثبتناه.

١٨٣) وردت في الاصل (معما) والصحيح ما اثبتناه.

١٨٤) وردت في الاصل (قال) والصحيح ما اثبتناه.

١٨٥) وردت في الاصل (الرضايات) والصحيح ما اثبتناه.

١٨٦) وردت في الاصل (ستة) والصحيح ما اثبتناه.

القول في النوم واليقظة

ومما ينبغي ان ينظر فيه من أمر النوم واليقظة هو ان يعلم ماالذي يفعله كل واحد منهما في أجسام الأصحاء ثم من المرضىٰ ليقدر لكل بدن من ابدان الحيوان بحسب حاله المقدار الكافي الموافق في حفظ الصحة وفي معالجة المرض لان النوم أحد الأمور الطبيعية التي لا قوام لصحة الانسان الا به فلذلك له وقت محدود فيما بين الأمور الطبيعية وزمان معلوم. بيّنه الجليل بقراط في المقالة السادسة من كتاب أبيديميا فقال: التعب والطعام والنوم والجماع ينبغي ان تستعمل كلها بالقصد، قال جالينوس ان قوله بالقصد هو أشارة الىٰ تحديده مقاديرها لشخص شخص ولذلك صار النوم يوجد في ساير اسنان الناس بالطبع. فيقول ان من لطف الباري تعالىٰ بالحيوان انه جعل له النوم والراحة لجسمه وليعود الىٰ البدن به عوض ماتحلل منه في اليقظة [١٨٧] وذلك ان اليقظة تنتشر معها الحرارة الغريزية الىٰ ظاهر البدن والىٰ ساير اقطاره وينشط معها الدم الذي هو مركبها وينشره في البدن فيتحرك الحيوان بقوة الحرارة لاعماله ومعيشته وكلما تحرك تحللت في بدنه من الرطوبات جزء بعد جزء ومايكسبه ذلك يبساً ولو دامت عليه الحركات واتصلت اليقظة لأفرط اليبس علىٰ بدنه وهلك فلذلك جعل الله تبارك وتعالىٰ ازمان النوم بين أزمان اليقظة لتجتمع الحراة في وقت النوم الىٰ باطن البدن فتستولي البرودة علىٰ ظاهره وتسترخي اعضاء الحيوان وتعطل حواسه فيسكن من اعماله وتأخذ الحرارة في هضم اغذيته واصلاح رطوباتـه ليوافق الأعضـاء فيأخذها بقوتها الجاذبة فيترطب بها ويكون ذلك خلف ماتحلل، وتقوىٰ ايضاً بالنوم القوة الماسكة والقوة المغيرة والقوة الدافعة . ومعلوم ان بصلاح هذه القوى الاربع وجودة افعالها يكون البدن صحيحاً وافعاله مستقيمة وايضاً فان النوم مع ما [١٨٨] انه يقوي القوىٰ الطبيعية فانه يضعف القوىٰ النفسانية لان الحواس وقوىٰ العقل فيه تضعف لامتناعها من أعمالها فاذا كان ذلك كذلك فقد يجب علىٰ الطبيب اذا علم ذلك ان يعلم المقدار من النوم واليقظة لكل انسان اذ كان لكل انسان منهما مقدار طبيعي بحسب مزاجه وعادته وأعماله وأغذيته وبحسب السن والفصل وحال الهواء فاذا خرج احدها [١٨٩] عن حاله الطبيعية في كميته او

---

١٨٧) وردت في الاصل (اليقضة) والصحيح ما اثبتناه.

١٨٨) وردت في الاصل (معما) والصحيح ما اثبتناه.

١٨٩) وردت في الاصل (احدهما) والصحيح ما اثبتناه.

وقته دلّ ذلك على أمر رديئ خارج عن صحة ذلك الجسم ولذلك قال بقراط: النوم والأرق اذا جاوز كل واحد منهما المقدار القصد فلتلك علامة رديئة. وايضاً فان الطبيب اذا رأى النوم مثلاً قد خرج عن اعتداله استدل بذلك على مرض ما قد حدث بالدماغ اذ كان النوم انما هو حال خاص بالدماغ يحدث مع برده ورطوبته المعتدلين فان أفرطا عليه أحدثا به السرسام[190] البارد ولذلك قال جالينوس. وبعد النوم يكون من برد الحاس الاول، أعني الدماغ، وذلك البرد اذا كان قوياً ثم خالطته رطوبة حدث منه المرض الذي يسمى ليثرغس[191] وهو السر سام البارد ومتى كان معه يبس حدث منه المرض الذي يسمى قاطاليبس[192] وهو الجمود. وكذلك الأرق يكون من سخونة الحاس الأول الا ان تكون تلك السخونة اما ان تكون مزاجاً رديئاً مجرداً واما ان تكون بغلبة من المرة الصفراء. وقال بقراط اذا كان النوم في مرض من الامراض يحدث وجعاً فذلك من علامات الموت واذا كان النوم ينفع فليس ذلك من علامات الموت.

وقال بقراط ايضاً متى سكّن النوم اختلاط الذهن فتلك علامة صالحة فاجعل استدلالك من النوم واليقظة بحسب ماذكرناه لك من حالاتها وماذكره القدماء في ذلك واعلم ان النوم وان كان يتبعه احتباس مايستفرغ ويتبع اليقظة استفراغ ماهو محتبس فانهما يفعلان ذلك بحسب اختلاف حالات اخلاط البدن. وذلك ان النوم ان صادف في البدن خلطاً لم ينضج وغذاء لم يستمرأ انضج وجوّد الاستمراء وسخن ورطب، وان وجد البدن نقياً محتاجاً الى غذاء قوي الحرارة نقياً ماصادفت من الرطوبات فلذلك يعقب قلة المادة برودة البدن، فأما ان صادف مادة معتدلة قوى بها الحرارة الغريزية فكان بنفعه عظيماً كما انه ان صادف مادة كثيرة عسرة النضج قاهرة للقوة كان النوم ضرره عظيماً كالذي يعرض في ابتداء نوائب الحميات النايبة[193] ولذلك يأمر الأطباء في مبتدأ التوبة بترك النوم. فاستعمل

---

١٩٠) السرسام ـ مرض عقلي وسببه ورم حاد (التهاب) في الدماغ (الحاوي ج ١/ص ٣٤٠ ـ ٣٧٤).

١٩١) ليثرغس ـ تعبير يوناني بمعنى السبات المرضي، ويكون خطيراً اذا خالطته حمى (الحاوى ج ١/ص ٣١٧ ـ ٣٤٠). وقد يكون اول من كتب عن هذا وغيره من الامراض العقلية هو الاسكندر الافروديسي في القرن الاول للميلاد (ابن ابي اصيبعة ص ١٠٦).

١٩٢) قاطاليسي ـ تعبير يوناني بمعنى الجمود والتشنج.

١٩٣) وردت في الاصل (النابتة) والصحيح ما اثبتناه.

النوم واليقظة بحسب هذه القوانين وقد قال بعض القدماء ان النوم فيه مماثلة ما للموت لان الأدراك بالحواس والتمييز[194] يبطلان معهما ولايكون معهما علم لمحسوس فلذلك ينبغي لطالبي العلوم والفضائل ان لا يتوفروا علىٰ النوم بل يتوفروا في مدة حياتهم علىٰ إصابة الحقائق من العلوم والفضائل والا كانت يقظتهم نوماً وحياتهم موتاً.

القول في الأعراض النفسانية

ومن الواجب علىٰ الطبيب ايضاً ان يعلم ما الاعراض النفسانية وكم أصنافها وعماذا يحدث في كل صنف منها فانه ان لم يعلم ذلك لم يقدر علىٰ حفظ الطبيعي منها ولا علىٰ نفي ماليس بطبيعي وقبل جميع ذلك يجب ان تعلم ان للانسان قوة يميز بها ويفكر وقوة اخرىٰ يغضب بها ويحرد. وقوة ثالثة يشتهي بها ويشتاق الىٰ اللذات وان هذه الثلاثة قوىٰ بها يتم للانسان حركاته وأفعاله والقدماء يسمونها قوىٰ نفسانية لأنهم وجدوا الأخلاق والعوارض النفسانية أنواعاً لهذه الثلاثة الأجناس من قوىٰ النفس. وايضاً ينبغي ان تعلم ماالذي يريده[195] القدماء بقولهم عارض ولان جالينوس قد شرح ذلك وبيّنه فيجب ان أحكي قوله بلفظه، قال جالينوس انه متىٰ مادامت نفس الانسان باقية علىٰ حالها فتلك الحالة لها كالسكون والهدوء فان تغيرت حالها توهمنا ذلك التغير كالحركة لها. ولأن الحركة منها مايكون من نفس المتحرك ومنها من قبل غيره سمينا الحركة التي تكون من نفس المتحرك فعلاً وسمينا الحركة التي تلحقه من قبل غيره عارضاً والمثال في ذلك انه أن أخذ احد شيئاً فنقله من موضعه الىٰ موضع آخر كانت حركة اليد فعلاً لذلك الانسان وليده وكانت حركة الشيْ عارضاً للشيْ وهذا حكم الفعل والعارض في حركة المكان واما في التغير فانه متىٰ سخن بدن انسان من نار او من حرّ الشمس كانت السخونة عارضة للبدن والاسخان فعل الشيْ الذي أسخن. ولما قدر الخالق تعالىٰ لمصلحة بدن الانسان من هذه القوىٰ ومن افعالها مقداراً ماوجب ان يكون ذلك المقدار هو الطبيعي لذلك الانسان ومانقص عنه او زاد عليه فهو غير طبيعي ولذلك يكون الطبيعي صحة لتلك القوة ولذلك الجسم والغير طبيعي مرضاً لها. ولان النفسين البهيمتين اللتين في الانسان كثيراً ماتضر بالنفس الناطقة وخاصة

---

١٩٤) وردت في الاصل (يتميز) والصحيح ما البتناه.

١٩٥) وردت في الاصل (يريدونه) والصحيح ما البتناه.

الشهوانية منهما لأجل اللذة المقرونة بها فلذلك وجب ان يكون للذة وقت محدود وقدر معتدل، ومتىٰ جاوزت ذلك المقدار ضرت وأمرضت ولذلك صارت النفس العاقلة هي المصلحة لهذا الفساد بتقديرها وتحديدها اوقاتاً(١٩٦) للفعل ومقاديره، اذا كان الأمر كذلك فيجب ان تعلم فعل كل نفس من هذه الأنفس علىٰ انفراد اولاً بغير معونة من النفسين [الاخريين(١٩٧)] ثم ماتفعله بمعونة. فالنفس الناطقة فعلها علىٰ الانفراد هو وجود اتفاق الاشياء واختلافها. ومثال ذلك انها اذا سمعت قولين وقفت علىٰ ائتلافهما من اختلافهما وعرفت الحق من الباطل. واما فعلها بمعونة غيرها لها فهو أنها اذا رأت النفس الشهوانية قد افرطت في بعض حركاتها استنجدت بالنفس الغضبية وهي الحيوانية لان لهذه النفس الجلد والبطش ولولاهما مايمكن النهوض بنقل ولا البلوغ الىٰ غاية. وجالينوس يقول ان هذه النفس أعني الغضبية جوهرها هو الحرارة الغريزية وهذا قوله بلفظه، قال جالينوس: وجوهر هذه القوة التي يقوىٰ بها الانسان علىٰ الصبر والثبات في الاعمال فيما أرىٰ الحرارة الغريزية لان حركة الحرارة الغريزية كلما كانت أقوىٰ كان الانسان أحر او كما ان البرد يورث الكسل والسكون والضعف كذلك الحرارة تورث النشاط والحركة والقوة علىٰ الفعل ولذلك صار الشباب والخمر يبعثان الانسان علىٰ الحركة والبطش والشيخوخة والادوية الباردة يورثان الكسل والضعف فان تمادىٰ بهما الزمان ابطلا الافعال والحركات.

فاذن اعتدال النفس الناطقة هو ان تكون ذكية كثيرة الفهم والحفظ مشتاقة الىٰ الافعال الجميلة وخروجها عن الاعتدال هو ماقاله جالينوس من أضداد هذه. قال جالينوس: لابد ان كانت النفس الناطقة بليدة قليلة الفهم والحفظ غير مشتاقة الىٰ الافعال الجميلة وكانت النفسان البهيميتان قوتين عسرتي الأنقياد لم يكن(١٩٨) ان تعتدل، فقد تحتاج اذن ان تكون النفس الناطقة محبة للجميل مشتاقة الىٰ الحق عارفة باتفاق الأشياء واختلافها وان تكون النفس الغضبية وهي الحيوانية قوية سلسة الانقياد، وتكون النفس الشهوانية وهي النباتية ضعيفة لان هذه النفس غير منقادة للنفس الناطقة كما وصفها فلاطن وشبهها بسبع ضار(١٩٩) وقال إن الذي يحتاج اليه من النفس النباتية ضعفها لا أدبها لئلا تمنع النفس

١٩٦) وردت في الاصل (اوقات) والصحيح ما اثبتناه.

١٩٧) وردت في الاصل. (الاخرايين) والصحيح ما اثبتناه.

١٩٨) وردت في الاصل (تكن) والصحيح ما اثبتناه.

١٩٩) وردت في الاصل (ضارى) والصحيح ما اثبتناه.

الناطقة من أفعالها.

واذا كانت قوىٰ هذه النفوس تابعة لمزاج البدن فما يعرض اذن لافعالها وأخلاقها من الأعراض التي تغيرها وتخرجها عن الاعتدال والأمر المحمود انما يحدث عن تغاير الجسم والذي يدل علىٰ مايعرض لمن فزع او حزن او سرق، لمن شرب الخمر ولغيرها ولا ممن تغير مزاجه بضرب من امثال هذه الأسباب انه يخرج بذلك السبب والتغير العارض منه عن خلقه وحالات نفسه التي قد عرفها لنفسه في حال صحته وسكون نفسه من تلك الحركة ومن ذلك العارض فيجب لذلك ان يكون الطبيب مرتاضاً بتصرف[٢٠١] اجناس الأمزجة وانواعها ليقدر بذلك علىٰ معرفة مزاج الشخص الواحد من الناس الذي غرضه حفظ المحمود من اخلاقه وقوىٰ نفسه او تقويم ماخرج عن الامر المحمود منها وان يكون ايضاً خيراً كثير التفقد بما يعرض للنفوس من الاعراض ان كان قد يستدل من الأغراض علىٰ قوىٰ النفوس وعلىٰ امزجة الأبدان فان من كان من الناس بالطبع حيياً[٢٠٢] ليس حال نفسه ولامزاج نفسه كحال من كان بالطبع قليل الحياء وانما استثنيت بقولي بالطبع لأن الأدب قد يغير الطبع بعض التغير فاذا أردت امتحان مافي طبع الانسان واعراض النفوس واخلاقها فامتحنه فيمن لم يتأدب بعد ولا انصلحت نفسه بالفضايل والعلوم كالصبيان مثلاً فانك تجد هذه الأعراض والاخلاق فيهم مفردة وخاصة فيمن لم يعوّد العادات المحمودة ولا أخذ من تأديبه وذلك انه يفعل مافي طبعه فقط. وقد وصف جالينوس من هذه الأخلاق في الصبيان طرفاً ينبغي ان نحكيه بألفاظه وعلىٰ ان المشاهد من ذلك قد كان يعني ذو[٢٠٣] الفطنة والذهن قال جالينوس انه قد يكون من الصبيان الصغار من لايكذب البتة ومنهم من لايصدق البتة ومنهم من لايستحي ومنهم من هو كثير الحياء ومنهم جبان ومنهم جرئ ومنهم نهم وغير نهم. ومنهم سخي مواس[٢٠٤] بما يملك ومنهم بخيل غير مواس[٢٠٥] ومنهم من يحب الظلم والغضب، ومنهم من يحب العدل ومنهم من يرحم ويرق للمضروب من الصبيان، ومنهم

---

٢٠١) وردت في الاصل (مرتاض) والصحيح ما اثبتناه.

٢٠٢) وردت في الاصل (جبناً) والصحيح ما اثبتناه.

٢٠٣) وردت في الاصل (ذي الفطنة) والصحيح ما اثبتناه.

٢٠٤) وردت في الاصل (ماوسي) والصحيح ما اثبتناه.

٢٠٥) وردت في الاصل (مواسي) والصحيح ما اثبتناه.

من يُسَر بضربه ويضحك لذلك، وقد يخالف بعضهم بعضاً اختلافات أُخر من الاخلاق.
واذا كان الأمر علىٰ ماقيل في ذلك فقد يجب علىٰ الطبيب معرفة الخلق الطبيعي وماالفرق بينه وبين الخلق التأديبي ليمتحن حالات النفوس وأعراضها بالطبيعي لئلا يغلطه الخلق الذي قد اصلحه الأدب والعادات المحمودة. وكما ان مصاحبة الاخيار والافاضل تكسب الفضايل وصلاح النفس كذلك مصاحبة الأشرار واهل العادات المذمومة قد تفسد أخلاق كثير من الناس وتنقلهم عن جيد الطباع الىٰ غيره فلذلك يجب ان يأخذ الطبيب نفسه اولاً ثم من قصد تدبيره باصلاح النفس واعراضها ويهتم بذلك اكثر من غيره اذا كان تمام الانسان بنفسه والتمام أشرف من المتمم وفيما ذكرناه من هذه الجمل تنبيه علىٰ استيفاء هذا الغرض من كتبه وحثاً علىٰ الاهتمام به وقراءة ماقاله جالينوس وغيره في ذلك فان[206] جالينوس قد بين في كتابه في القوىٰ الطبيعية وفي كتابه في آراء بقراط وفلاطن في كتابه من أخلاق النفس وفي مقالته التي يبين فيها ان قوىٰ النفس تابعة لمزاج البدن أصول علىٰ افعال النفس واخلاقها وساير اعضائها ويبين ايضاً ان هذه القوىٰ الثلاث[207] التي سماها[208] كثير من القدماء نفوساً أعني النفس الناطقة والنفس الحيوانية والنفس النباتية لكل واحدة منها مسكن ومحل يختص بأفعالها فمحل النفس الناطقة الدماغ ومحل النفس الحيوانية القلب ومحل النفس النباتية وهي الشهوانية الكبد. وبغير شك ان بصحة هذه الأعضاء تصح هذه[209] النفوس بأفعالها وبمرضها تفسد، فاذا كان كذلك فقد وجب ماقلناه فيما تقدم وهو انه يلزم الطبيب علم حالات هذه الاعضاء اذا اراد معرفة الاعراض النفسانية، ولماكان كلامنا في الاعراض النفسانية الان انما هو لأجل انها أحد الأمور الطبيعية التي عددناها فيما تقدم وهي حالات الهواء والحركة والسكون والمأكول والمشروب والاستفراغ والاحتقان والنوم واليقظة والاعراض النفسانية والبلدان والاعمال وساير ماتبقىٰ منها مما قدمنا ذكره وكان ذكرنا لهذه الأمور الطبيعية ضرورة[210] في حفظ صحة البدن بأسره وفي

---

٢٠٦) وردت في الاصل (كان) والصحيح ما اثبتناه.

٢٠٧) وردت في الاصل (الثلاثة) والصحيح ما اثبتناه.

٢٠٨) وردت في الاصل (سموها) والصحيح ما اثبتناه.

٢٠٩) وردت في الاصل (لهذه) والصحيح ما اثبتناه.

٢١٠) وردت في الاصل (ضرورية) والصحيح ما اثبتناه.

صحة عضو عضو من اعضائه وكنا قد بدأنا علىٰ طريق المثال والتعليم لمحبي صناعة الطب ان يدري كيف ينتفع الطبيب بهذه في حفظ الصحة اعني تعلمها وجعلنا مثالنا لذلك من الدماغ اذ كان اشرف اعضاء البدن ووضعنا في كل باب مما ذكرناه من القول في هذه الأمور الطبيعية جملاً وأصولاً تحث المتعلمين وتذكر العلماء بما قيل في كل معنىٰ منها ولم نتممها بأسرها لكن تكلمنا علىٰ بعضها فلذلك يجب ان نأتي علىٰ ماتبقىٰ منها كالذي فعلناه فيما مضىٰ ليكون القول علىٰ تدبير الدماغ الذي جعلناه لنا في الاعضاء علىٰ طريق المثال تاماً ثم ننتقل الىٰ ذكر تدبير عضو عضو من باقي اعضاء البدن بطريق وجيز. وقول مختصر لئلا يمل الكلام لطوله والله المعين بجوده.

القول في تغاير البلدان للأبدان بحسب أوضاعها[٢١١]

ولما كانت المساكن ضرورية في البقاء وكانت أوضاعها وموقعها من الأرض مختلفة وكانت الأبدان تتغير بحسب أحوالها وأمزجتها وكانت أيضاً امزجة البلدان قد تخرج عن حالاتها الطبيعية فيمرض سكانها وجب لذلك علىٰ الطبيب ان يعرف حالات مدينته التي هو ساكنها والي أي الأمزجة هي أميل أعني هل الحرارة واليبس أغلب عليها ام البرودة والرطوبة ام البرودة واليبس او الحرارة واليبس وماالذي اوجب لتلك المدينة ذلك المزاج فان بقراط قد بيّن الأسباب المغيّرة لحالات البدن في امثلة اربعة وضعها لمواقع المدن التي في الجهات الأربع وبين كيف تكون أمزجة هذه المدن وكيف تكون حالات سكانها، فمن فهم ما وضعه بقراط من هذه الامثلة امكنه ان يجعلها أصلاً وقانوناً يتعرف به الحال في اي مدينة دخلها ولذلك أمر بقراط من دخل مدينة لم يكن عرفها ان يتعرف وضعها ومهب الرياح عليها ويقيسها ويصنفها الىٰ تلك المدن فيعلم بذلك حالها[٢١٢]، وانا أحكي لك ماأمر به بقراط: . قال: اذا ورد الوارد مدينة لاخبر له بها فينبغي له ان يتأمل ويتفقد وضعها وكيف هي موضوعة في مقابلة الرياح وفي مشارقه وذلك انه ليس حال المدينة الموضوعة قبالة

---

٢١١) لابقراط كتاب في البلدان والامواه والاهوية، وهو مصدر لكثير مما يرد في هذا الباب من هذا الكتاب. فسّر الكتاب لجالينوس وترجمه، الى العربية حنين بن اسحاق (ابن ابي اصيبعة ص٢٧٢) وحققه بشارة شميل ونشره في الاسكندرية سنة ١٩٠٢

٢١٢) الاهوية والمياه والبلدان ص٢٣ ـ ٢٤

الشمال وحال المدينة الموضوعة قبالة الجنوب حال واحدة بعينها ولا حال المدينة الموضوعة قبالة الشمس وقت غروبها حالة واحدة بعينها. وقال ايضاً: ينظر في امر الأرض هل هي مكشوفة من الشجر عديمة المياه ام كثيرة الشجر كثيرة المياه وهل هي في موضع عميق نديّ (هذه) ام هي في موضع مشرف فهي باردة. وليس يخفىٰ عمن أحسن التفقد لما قاله بقراط في هذين الفصلين انه قد بين فيهما اسباب تغاير البلدان وهي تأثير الشمس في تلك المدينة مقابلتها لشروقها عليها وغروبها والثاني هبوب الرياح عليها والاشبه ان يكون انما ذكر الرياح الشمالية والجنوبية لقوة تأثيرها في البلدان الموضوعة قبالتها واكثر من تأثيرها الشرقية والغربية في بلدان المقابلة لها اذ كان تأثير الشمس في هاتين الجهتين هي الأغلب والأظهر وطبيعة الريح الهابة من المشرق وهي مؤثرة ايضاً في البلدان الشرقية من جنس ما تؤثره الشمس وكذلك طبيعة الريح الغربية ايضاً فانما عدل بقراط الىٰ السبب الأول في تغير امزجة البلدان الشرقية والغربية والى العلة الاقوى ثم انه لماكانت البلدان قد تعرض من انكشافها وقلة الأشجار فيها والسواتر لما يمرّ بها من الرياح وحرّ الشمس مايوجب لها قبول التأثير اكثر مما تقبلها من ذلك اذا سترتها الاشجار، وجعل ذلك سبباً ثالثاً، وكذلك حال كثرة المياه وقلتها، وكذلك يعرض للبلدان من جهة ارتفاعها في العلو ووضعها علىٰ الجبال العالية، ومن جهة انخفاضها ووضعها في مواضع مستقلة عميقة ان يختلف كذلك قبولها لحرّ الشمس ويبسها ولتأثير الرياح بحسب امزجتها فيها ولذلك تختلف صور سكان المدن واخلاقهم وافعالهم واكثر حالاتهم كما بين ذلك بقراط فقال: وفي بلاد اوروقي أمم يخالف بعضها بعضاً في مقادير الجثث وفي الصور وفي الشجاعة، والاشياء التي تغير هذه الأمور التي قلناها فيما تقدم.

قال وانا اشرح ذلك شرحاً ابين من هذا فأقول: ان من كان مأواه في بلد جبلي مشرف كثير المياه وتغاير الاوقات تكون عندهم (مختلفة) اختلافاً كثيراً فيجب ان تكون جثثهم جثث عظام، وتكون مستعدة للكدّ والشجاعة السبعية في أصحاب هذه الطبائع اكثر منها في غيرهم، واما الذين يسكنون في مواضع عميقة مرحبة و(هنة) وتهب عندهم من الأرياح الحارة اكثر مما يهب عندهم من الرياح الباردة، ويستعملون **مياهاً** حارة فان جثثهم لاتكون عظيمة ولا معتضدة ولكنها تكون أحد عرضاً ويكون اللحم فيها كثير وتكون شعورهم سوداء ويكون ايضاً الأغلب علىٰ الوانهم الأدمة اكثر من البياض ويكون غلبة

المرار عليهم اكثر من غلبة البلغم. فهذه الأقاويل بينه في الدلالة علىٰ حاجة الطبيب الىٰ تعرف حال البلد الذي يحتاج ان يدبر سكانه، وكذلك أقاويل أُخر كثيرة لبقراط لم أرَ[٢١٢ب] اطالة هذا الباب بذكرها اذ كان فيما احضرته كفاية لمن له قريحة وسيبعثه ذلك علىٰ طلب مالم تذكره في مواضعه، ليكمل هذا الباب ولله الحمد كثيراً.

القول في تغاير الصنائع والأعمال للأبدان

واذا كانت اعمال الناس وصنائعهم لها من القوة في احالة الأبدان ونقلها من كيفيات الىٰ اضدادها كالمزاج الحار يصير بارداً، والبارد حاراً، والرطب يابساً واليابس رطباً، واللين صلباً، والصلب ليناً وغير هذه من المتضادات فلذلك يلزم الطبيب ان يعلم ما تفعله كل صناعة من الصنائع في مزاج كل واحد من الناس الصحيح منهم والمريض ليحفظ الصحيح بما شابهه ويشفي المريض بما ضاده، فالصنايع التي تعاني النار والشمس مثلاً تكسب الأمزجة الحرارة كصنايع السباكين والحدادين والزجاجين والكلّاسين واشباه هذه من المهن فان هذه ونظايرها تفعل في الابدان بحرارة النار وقربهم منها وبالبعث في معاناتها وأحتداد هذه الصناعة في تبريد الابدان للصنايع التي تعاني الماء كالغواصين والملاحين والصيادين في الماء ونظاير هذه الصنايع. فأما الصنايع التي تيبس الأبدان فهي الكثيرة الكدّ والتعب وخاصة في الشمس كالبنائين وقطاعي الحجارة والنجارين والمصارعين والنقالين ونظائر هذه. فأما التي ترطب الأبدان فذوات الدعة وقلة التعب والتي يتوفر فيها اللذات علىٰ البدن كمهنة العطر ومهنة الموسيقىٰ والمدمنين علىٰ الحمامات ونظاير هذه وماينبغي للطبيب ان يعنىٰ بمعرفة أمر الصنايع ذوات الكيفية الرديئة المضرة بالأبدان ومانوع الضرب الداخل منها على جملة البدن وعلىٰ عضو عضو من اعضائه كالصنايع التي تقوم منها الروائح الرديئة مثل الدباغة وتنقية طرق المياه والاثفال فان هذه وماماثلها تضر بالحواس وبالدماغ وخاصة اذا اتصلت وتتابعت وكالغربلة للحبوب ودقّ الكتان ومشطه وعمل الصابون والصنايع التي يعاني اربابها الدخان كثيراً فان هذه وما اشبهها كثيراً ماتضرّ بالصدر والرئة وتكسب ضيق

٢١٢ب) وردت في الاصل (ارىٰ) والصحيح ما اثبتناه.

النفس وكالذي يعرض ايضاً للنقالين والفيوج من العروق التي تسمىٰ المدينية[٢١٣] ومايعرض لامثال هؤلاء ولا من أرجاع الأوراد وعرق [النسا][٢١٣ب] وغير ذلك من الامراض المزمنة الرديئة. وقد يضطر الطبيب ايضاً في علاجه وحفظ الصحة الىٰ علم الاخلاق والنفس محمودها ومذمومها ليستدل بذلك علىٰ حالات النفس وهل هي من النفوس التي تصلح للعلوم والآداب ام من التي لاتوافق ذلك ولكن أجسامها غليظة عبلة توافق المهن الصلبة والاعمال الخشنة لكي يعلم مايوافق كل نفس وكل جسم ومايخالفهما ليحفظهما بالشبيه ويصلحهما بالمضاد، وبذلك يقدر الطبيب ان يختار لمجالسته ومذاكرته وافادة علمه الموافق ويحذر اخلافه ومضاده.

القول في العادات[٢١٤]

وللعادات ايضاً قوة عظيمة في حفظ الصحة علىٰ الاصحاء وفي معالجة المرضىٰ وذلك أنه كما ان في شخص نوع الناس احاد قد اعتادوا استعمال الأشياء بمقادير وفي اوقات بحالات بأعيانها فألفوا تلك الافعال فصارت أمزجتهم تحتملها وأبدانهم صحيحة عليها متىٰ انتقلوا عنها تغيرت صحتهم ومرضوا [واضطربت][٢١٥] ابدانهم كذلك قد يوجد ايضاً من سكان البلدان الموضوعة في الجهات المختلفة قد ألفوا واعتادوا أفعالاً مختلفة واغذية مختلفة وأشربة مختلفة ومساكن مختلفة وغير ذلك من الاشياء التي هي طبيعية ضرورية في بقاء الأجسام فضلاً عما ليست بطبيعية فصارت اجسامهم صحيحة علىٰ تلك العادات وقد الف بعضهم اخلاق بعض ورضي بعضهم بأفعال بعض وعلىٰ ان تلك الأفعال والأخلاق عند أصناف أُخر من الناس غير محمودة ولا مرضية ومثال ذلك ان في اجساد الناس من قد أعتاد أكل خبز الشعير والمواظبة علىٰ أكل الألبان والأجبان وكذلك تجد قوماً قد ألفوا شرب

---

٢١٣) العرق المديني ـ انتفاخ دودي الشكل يطول في الرجلين، وينسب الىٰ سكان المدينة لكثرته في ديارها، كما يكثر في بلاد اخرىٰ من المشرق. وسببه دويبه تعيش تحت الجلد.

٢١٣ب) وردت في الاصل (انسا) والصحيح ما اثبتناه.

٢١٤) يقول ابن هبل ان العادة اذا استحكمت في تدابير الابدان صارت طبيعة ملازمة له فلا تتغير بسهولة و لها تاثير في علاج المريض وهذا ينطبق علىٰ الاكل والمشرب والنوم واليقظة ومالىٰ ذلك (المختارات ج١/ص٢٧٢)

٢١٥) وردت في الاصل (إضطراب) والصحيح ما اثبتناه.

الكثير من الخمر صرفاً وعلىٰ ان امزجتهم حارة فتحتمله أبدانهم وتوافق صحتهم ونحن نشاهد ايضاً ممن امزجتهم هذه الأمزجة الحارة لايقدرون علىٰ شرب ذلك المقدار من الخمر والأدوية بكثرة[٢١٦] وليس ذلك إلا للعادة، وكذلك نجد قوماً قد رتبوا منذ صباهم في الصنايع الشاقة والصعبة المرام وأجسامهم مع ذلك نحيفة ضعيفة وهي تحتمل ذلك الكدّ والتعب على تواتره وتتابعه عليهم وتجد اجسام هي أعبل وأقوى كثيراً من تلك لاتصبر على تلك الاعمال لأنها لم تعتدها، ألاترى إن الأبدان التي قد اعتاد اصحابها أخذ أغذيتهم بمقدار ما متىٰ ازادوا[٢١٧] من الغذاء زيادة علىٰ ذلك المقدار ضرهم ذلك، وكذلك القول فيمن اعتاد ان يأكل مرة فأكل مرتين ناله الضرر مايمرضه وقد قال بقراط في هذا المعنىٰ أقاويل[٢١٨] كثيرة انا أحضر منها قولين احدهما مثال التغاير والعادات للأشخاص والآخر هو قول أعم ومثال لحال الأمم المختلفة التي قد اعتادت اشياء والفتها فصارت لها كالطبيعة لاتصلح ان تنتقل عنها، واما القول الذي ينبغي ان نتعلم منه حال عادات الأشخاص فهو هذا، قال بقراط: ومعرفة ذلك سهلة أعني ان التدبير الرديء بالمطعم والمشرب الشبيه بعضه ببعض اوثق بالجملة في جميع الاوقات في حفظ الصحة من الانتقال بغتة الىٰ تدبير آخر أجود منه، من ذلك ان انتقال من جرت عادته ان يأكل مرة واحدة بغتة الىٰ ضد ماكان عليه يحدث عليه ضرراً وضعفاً ولم تكن عادته ان يتغذىٰ فتغذىٰ أضعفه ذلك علىٰ المكان وأثقل بدنه وكسّله وأرخاه فان العشاء مع ذلك ايضاً (محشىٰ حشاءً) حامضاً. ومنهم من يعرض له لين الطبيعة والسبب في ذلك مااثقل بمعدته علىٰ خلاف ماجرت عليه طبيعته وذلك ان العادة جرت عنده ان تكون المعدة منه خالية وان لاتمتلي من الطعام مرتين، ولايهضم الطعام ايضاً مرتين. وقد ينتفع هؤلاء بأن يخفف عنهم ماينالهم عند انتقالهم في التدبير الىٰ ضده وذلك انه ينبغي ان ينامون بقدر ليلة تامة بعد عشائهم. اما في الشتاء فمع توق[٢١٩] من البرد واما في الصيف فمع حذر من الحر. فان لم يمكنهم ان يناموا مشوا مشياً كثيراً رفيقاً من غير ان يقفوا. فاذا كان بعد ذلك اما لايتعشوا واما ان يتعشوا

---

٢١٦) وردت في الاصل (بكثير) والصحيح ما اثبتناه.

٢١٧) وردت في الاصل (رادو) والصحيح ما اثبتناه.

٢١٨) وردت في الاصل (اقاويلا) والصحيح ما اثبتناه.

٢١٩) وردت في الاصل (توفي) والصحيح ما اثبتناه.

عشاءً خفيفاً لايضرهم ويشربوا ايضاً شراباً قليلاً غير ممزوج بالماء فهذا القول من كلام بقراط كاف[٢٢٠] في البيان والمثال لما ذكرنا من تغير الابدان عند انتقال العادات في اشخاص الناس المفردين وان انت أحببت استماع جميع ماقاله بقراط من أمر العادات وماقاله جالينوس في تفسيره لذلك فاقصد كتاب بقراط الذي عنونه بكتاب ماء الشعير[٢٢١] المفسر تفسير جالينوس واما المثال العامي فهو هذا، قال بقراط: واعطيك دليلاً من اعظم الدلائل على رطوبتهم وهو انك تجد كثيراً من الصقالبة او كلهم من الامة المعروفة منهم بالراعية لهم (كيّاً) على اكتافهم واعضادهم وارساغ ايديهم وأوراكهم ومقدم صدورهم وليس ذلك لشئ سوى رطوبة طبعهم ولينه وذلك انهم لايقدرون على توتير القسي[٢٢٢] ولا على الرمي على المزاريق[٢٢٣] بأكتافهم بسبب رطوبتهم وضعفهم فاذا كووا جفّ من مفاصلهم تلك الرطوبة وصارت أقوى مما كانت وأشد وتشبه بالمفاصل ويكونون قدعاً عراضاً اما اولاً فمن قبل انهم لايُشدوا بالأطمار في الطفولية كما يُفعل بمصر ولاذلك جار على سنتهم بسبب ركوب الخيل لهم ثبات عليها ثم من بعد ذلك بسبب القعود وذلك ان الذكور[٢٢٤] منهم ماداموا لايقدرون على ركوب الخيل انما هم قعود[٢٢٥] اكثر مدة زمانهم في العجل وقل مايستعملون المشي لثقلهم وتصرفهم والأناث منهم عجيب من حالهم القدعة والغلظ. وقال ايضاً: فأقول انهم يعتريهم من ركوب الخيل العلة التي تسمى باليونانية قاد ماطا لتعلق الرجلين دائماً على الخيل ثم انهم يعرجون ويجرون أوراكهم متى اشتدت بهم العلة يداوون انفسهم بهذا الطريق، أول ماتبتدي بهم العلة يعمدون الى عرقين خلف الأذنين فيفصدونها من الجانبين فاذا جرى الدم استولى عليهم النوم بسبب الضعف فناموا ثم ينتبهون وبعضهم قد برئ[٢٢٦] وبعضهم لم يبرأ وانا أرى ان بهذا العلاج يفسد المني وذلك ان عند الاذنين عرقين ان فصدهما فاصد لم

---

٢٢٠) وردت في الاصل (كافي) والصحيح ما اثبتناه.

٢٢١) ماء الشعير ـ صالح لقمع حدة الفضول . وخشونة قصبة الرئة وتقرحها، ولليونانيين والعرب كتب فيه (ابن البيطار ج٤/ ص١٣٤)

٢٢٢) القسي جمع قوس.

٢٢٣) المزاريق ـ مفردها مزارق، وهو الرمح القصير (ترتيب القاموس ج٢/ ص٤١٧)

٢٢٤) وردت في الاصل (الذكورة) والصحيح ما اثبتناه.

٢٢٥) وردت في الاصل (قعوداً) والصحيح ما اثبتناه.

٢٢٦) وردت في الاصل (برا) والصحيح ما اثبتناه.

يولد لمن يفصدان له فأحسبهم انما يفصدون هذين العرقين وان قد أثبت لك جميع هذا الكلام الثاني فقد اوجدتك الطريق الىٰ تعرف تغايير العادات في اجسام الاصحاء والمرضىٰ وان احببت ان تسمع من كلام بقراط في العادات وكيف يكسبها[٢٢٧] سكان البلدان بحسب تغاير الأهوية والمياه والبلدان عليهم فأقرأ ماقاله في كتابه في البلدان والمياه والأهوية فانك تحكم منه كثيراً من أمر العادات واكتف بما ذكرته لك هاهنا منبهاً ومحركاً.

القول في قوىٰ الجسم وافعالها

وقد يلزم الطبيب ان يعنىٰ بمعرفة قوىٰ الجسم اذ كانت افعال الحيوان انما تتم للجسم بهذه القوىٰ وبصحتها ومتىٰ فسدت القوة فسد الفعل من ذلك العين للابصار وللمنخر الشم والفم الذوق وللأذن السمع ولساير أعضاء البدن الحساسة حاسة اللمس ولا يمكن عضو من هذه الأعضاء ان يعمل عمله الا بقوة تخصه وقد احكمها الباري تعالىٰ وأعد لها آلات في ذلك العضو فما كان من تلك الأفعال طبيعي او حيواني او نفساني[٢٢٨] فله قوة تلائمه تبعث اليه في مجار[٢٢٩] وطرق تصلح لتلك القوة لايخالط بعضها بعضاً، يرد الىٰ ذلك العضو من أصل وينبوع لتلك القوة. وقد بين القدماء ان هذه المعادن ثلاثة وهي الدماغ والقلب والكبد. فالدماغ ينبوع القوة النفسانية والقلب ينبوع القوة الحيوانية والكبد ينبوع القوة الشهوانية وبينوا ايضاً ان الجسم انما يقال فيه انه قوي علىٰ الاطلاق اذا كانت هذه القوىٰ ترد الىٰ الاعضاء من أصولها معتدلة في كميتها وكيفياتها وبغير شك انها لاتكون كذلك الا باعتدال أصولها ومعادنها. وقالوا ايضاً ان كل عضو من اعضاء الجسم يقال له قوي صحيح اذا كانت قواه التي تخصه معتدلة ايضاً فأما ان خرجت في كميتها او في كيفيتها عن الاعتدال قيل انه غير معتدل ولا قوي ووجه معرفة الاعتدال القوة وصحتها يعلم من قوة الجسم بأسره ومن قوة كل عضو من اعضائه علىٰ انفرادها بأفعالها فإن وجدت الافعال لايشوبها تقصير ولا فساد فاستدل بذلك علىٰ صحة قوة الجسم والعضو، وان وجدتها مقصرة او

---

٢٢٧) وردت في الاصل (يكسبونها) والصحيح ما اثبتناه.

٢٢٨) وردت في الاصل (طبيعياً او حيوانياً او نفسانياً) والصحيح ما اثبتناه.

٢٢٩) في الاصل (مجارى) والصحيح مااثبتناه

فاسدة فاقض[٢٣٠] بفساد القوة بتقصيرها وليس يقنعك ان تعلم ان اجناس القوىٰ ثلاثة علىٰ ماذكرنا دون ان تعلم ماتحت كل جنس من هذه الأجناس من انواع القوىٰ فتعلم ان القوة الطبيعية أربعة انواع من القوىٰ وهي القوة الجاذبة والقوة الماسكة والقوةالهاضمة والقوة الدافعة. وان لجنس القوة الحيوانية القوة التى يكون بها النبض والنفس والقوىٰ التي يكون بها الأنفة والغضب وحب الترأس[٢٣١]. وان القوة النفسانية نوع القوىٰ الحساسة الخمس ونوع التخيل ونوع التمييز ونوع الذكر ونوع القوىٰ المحركة بإرادة. وبعد تحصيلك لأنواع هذه القوىٰ بفصولها وخواصها ومالكل عضو من الاعضاء منها فحينئذ تكون قد اتقنت امر قوىٰ الجسم فبذلك تقدر علىٰ حفظها علىٰ الجسم بأسره وعلىٰ عضو عضو من اعضائه وتقدر علىٰ اصلاح مافسد منها او زيادة مانقص او نقصان مازاد وذلك أمر ضروري في الطب، ويلزم الطبيب ان يعلم من امر القوىٰ ايضاً متىٰ تفعل افعالها ومتىٰ تمسك عن افعالها ليخدم كل قوة في وقت فعلها بما تستحقه من الخدمة فان القوة المولدة لاتزال تفعل التوليد الىٰ تمام الشيئ المتولد وكماله ثم يتيسر[٢٣٢] للفعل قوة اخرىٰ ان احتيج الىٰ ذلك. ومثال ذلك فعل المولدة لتصوير الجنين ان كان ذكراً ففي ثلاثين يوماً او خمسة وثلاثين يوماً، وأنثىٰ ففي أربعين يوماً ثم تمسك المولدة عن فعلها وتفعل المربية فعلها الىٰ تمام عظم الشيئ المتربي كتربية أعضاء الانسان الىٰ تمام منتهىٰ الشباب وهو خمس[٢٣٣] وثلاثون سنة، فاما الغاذية ففعلها دائم مادام الشيئ المتولد موجود[٢٣٤] والحيوان يحيا. فاما اختلاف الأسنان فان علمه واجب ايضاً علىٰ الطبيب اذ كان لكل سن من الاسنان من التدابير في حال صحته وحال مرضه غير ما للآخر وذلك انه ان لم يعلم المزاج الطبيعي الخاص (لكل) سن لم يقدر ان يعلم مثلاً الغذاء الموافق له ولا الشراب ولاغيرهما من الاشياء الحافظة للصحة بتشابهما[٢٣٥] فاذا لم يعلم ذلك كان اجدر الا يعلم الأشياء الدافعة للامراض بمضاداتها، من ذلك ان سن الصبيان لما كان أرتب الأسنان لكون الجنين من الدم والمني وهذان جميعها رطبان وانما تكون

---

٢٣٠) وردت في الاصل (فاقضي) والصحيح ما اثبتناه.

٢٣١) وردت في الاصل (التروس) والصحيح ما اثبتناه.

٢٣٢) وردت في الاصل (يتيد) والصحيح ما اثبتناه.

٢٣٣) وردت في الاصل (خمسةٍ) والصحيح ما اثبتناه.

٢٣٤) وردت في الاصل (موجوداً) والصحيح ما اثبتناه.

٢٣٥) وردت في الاصل (بتشابهتما) والصحيح ما اثبتناه.

الجنين بانعقادهما من الغذاء الشبيه بأمزجتهم كاللبن للرضيع وماجانس ذلك، والمقابل في الطرف الأبعد لسن الصبيان سن الشيوخ لانها يابسة جداً لأن الاعضاء تبلغ في الشيخوخة الغاية القصوىٰ من الجفاف، والمتوسطة بين هذين الطرفين هو سن الشباب الذين هم في عنفوان الشبيبة فلذلك تكون هذا السن وسطاً في المزاج فهي ايبس من سن الصبيان والين من سن الشيوخ فهذا حال اختلاف الاسنان في الرطوبة واليبس فأما اختلافهما في الحرارة والبرودة فواجب تبينه ايضاً علىٰ الطبيب غير انا نذكر من ذلك هاهنا كالذي ذكرناه من امر الرطوبة واليبس اذ كان مانذكره من هذه[٢٣٦] الجمل يحث المحب لصناعة الطب إن كان له ذكاء وقريحة محمودة علىٰ استيفاء علم جميع (ما) يذكره من كتبه التي ألفت لعلمه فنقول ان سن الصبيان حارة جداً لقرب عهدها[٢٣٧] من مبدأ الكون من المني والدم والروح التي كلها حارة. وذلك موجود حساً، وسن الشيوخ باردة لبعدها من الابتداء المقدم ذكره ولانطفاء[٢٣٨] الحرارة في أبدان الشيوخ واستيلاء البرد عليها صاروا يجدون ويسرع اليهم الم مالايجده غيرهم من ذوي الاسنان الباقية ولذلك صارت ابدانهم تجف وتسرع الىٰ قبول الأمراض الباردة واذا لمست ابدانهم وجدت باردة[٢٣٩] فاما سن الشباب فلم يختلف الناس في حرارتها فقد اختلفوا ولا يليق بهذا الموضع ذكره ولكن الوصول الىٰ فهم ذلك انت تقدر عليه من كتاب جالينوس في المزاج وفي مواضع أُخر من كتب بقراط أيضاً، فأما جالينوس فيرىٰ أن قوة الحرارة في سن الصبا[٢٤٠] وفي سن الشباب كلتاهما سواء الا ان حرارتها تختلف في المقدار لأن حرارة الصبا توجد اكثر مقداراً من حرارة الشباب والينّ وحرارة الشباب أقل مقداراً وأحد كيفية وقد قسم قوم السن بأربعة أقسام وقالوا أن مزاج كل واحد مشابه لمزاج اخلاط البدن وأركانه وفصول السنة فقالوا ان سن الصبا حار رطب مشابه لمزاج الدم والهواء وفصل الربيع، وسن الشباب حار يابس كمزاج الصفراء والنار وفصل الصيف، وسن الكهول بارد رطب كطبع البلغم والماء وفصل الشتاء، وسن الشيوخ بارد يابس كطبع السوداء والارض وفصل الخريف من الوثاقة كوثاقة القسمة الاولىٰ غير ان التدرّب بمعرفة اصناف القسم نافع جداً في ذلك.

---

٢٣٦) وردت في الاصل (من هذا) والصحيح ما اثبتناه.
٢٣٧) وردت في الاصل (عهودها) والصحيح ما اثبتناه.
٢٣٨) وردت في الاصل (تطفا) والصحيح ما اثبتناه.
٢٣٩) وردت في الاصل (باره) والصحيح ما اثبتناه.
٢٤٠) وردت في الاصل (صبي) والصحيح ما اثبتناه.

القول في سحنة البدن

فأما سحنة البدن فانها تابعة لمزاجه فلذلك يجب على الطبيب ان يحكم معرفة السحنة وأول ماينبغي ان يعلمه من ذلك ان مزاج جملة البدن يعرف من خمسة اشياء وجميعها داخل تحت اسم السحنة ومعنى كل واحد منها غير معنى الآخر. وأحد هذه الخمسة كيفية الجوهر والثاني مقدار لحم البدن وشحمه والثالث (   )[٢٤١] والرابع حالات شعره ومقداره والخامس لونه، فأما كيفية الجوهر فانه اذا كان حار الملمس فان البدن حار المزاج وان كان بارداً فالمزاج بارد وكذلك القول في المعتدل. واما قوامه فهو ان كان صلباً فهو يابس وان كان ليناً فهو رطب وان كان بين[٢٤١ب] ذلك فهومعتدل واما مقدار لحمه وشحمه فانه إن كان لحيماً فهو رطب وان كان معرقاً فهو يابس وان كان بين ذلك فهو معتدل. وايضاً فان البدن ان كان سميناً فهو بارد وان كان لاشحم له فهو حار وان كان بين ذلك فهو معتدل، فأما مايعرف من حال البدن من جهة شعره فهو يدل من ثلاثة وجوه وهي مقداره وشكله ولونه فأما مقداره فهو ان يكون كثيراً او قليلاً او غليظاً او رقيقاً فأما كثرته وغلظه فيدلان على البرودة واعتداله في الجميع دليل على اعتدال المزاج فأما شكله فهو ان كان جعداً دلّ ذلك على اليبس وان كان سبطاً دلّ على الرطوبة وان كان بين ذلك دلّ على الاعتدال، فاما مايدل على لون الشعر فهو ان كان اشقر او احمر فهو يدل على الاعتدال وان كان أسود دلّ على الحرارة وان كان ابيض دلّ على البرودة وان كان كمداً كان برده اقوى وأشد وان كان اسود دل على الحرارة واليبس. ومع علم الطبيب بالاستدلال بهذه الأصول مع فروعها واختلاطها وتعرفه لمزاج جملة البدن بها فانه قد ينبغي ان يعلم ايضاً معرفة مزاج عضو عضو من اعضاء البدن يكون من هذه بأعيانها ويكفيه ان يعلم من هذه ماذكرناه فقط دون ان يقسم كل واحد منها الى مايتقسم اليه ويعلم ماذا يحدث كل قسم ليعلم بذلك على ماذا يدل وذلك كخصب البدن وكثرة لحمه فانها نوعان احدهما تابع للمزاج الطبيعي وهو المزاج الرطب باعتدال، والآخر المزاج المكتسب من التدبير المرطب للبدن وكذلك ينبغي ان يقم في الشحم وغيره وكذلك يلزمه ايضاً ان يعلم ان هذه القضايا لاتصح له الا في البلدان المعتدلة فأما البلدان الخارجة

---

٢٤١) يملأ المستشرق ليفي هذا الفراغ في الترجمة الانكليزية ص٤٨ بعبارة (صلابة الجسم و في هذا انواع)

٢٤١ب) وردت في الاصل (من) والصحيح ما اثبتناه.

في المزاج عن الاعتدال فلا يصدق فلذلك ينبغي ان يستثني في قضاياه بذلك ويحكم علم ذلك ليصح له استدلاله له وكذلك قد يخطي كثير مما يستدل علىٰ مزاج جملة البدن من عضو من اعضائه كالذين قضوا علىٰ الأفطس انه رطب المزاج وعلىٰ الأقنىٰ انه يابس المزاج وعلىٰ الأعين انه رطب وعلىٰ الصغير العينين انه يابس المزاج وبارد ايضاً وذلك ان الذي يقضي بذلك علىٰ الاطلاق لم يعلم ان القوة المصورة التي طبعها الباري تبارك في الحيوان قد تصور أعضائه بحسب مايتهيأ لها من كثرة المادة وقلتها وبحسب كيفياتها الجيدة والرديئة. وقد يقصد أيضاً ان يجعل حالات الأعضاء بحسب اخلاق النفس وقواها فاذن[٢٤٢] واجب احكام ذلك.

القول في طبيعة البدن

وأما أمر تعرف طبايع الأبدان فأمر واجب معرفته علىٰ الطبيب بالضرورة لأنه اذا كان قصده حفظ صحتها او معالجة أمراضها وكانت صحة البدن انما تحفظ بما شابهها فلا سبيل الىٰ معرفة مايشابه مزاج البدن او يعرف مزاج البدن اولاً وهو الذي أرادوا في هذه المواضع بقولهم طبيعة البدن اذ كان اسم الطبيعة عند بقراط وعند ساير الأطباء اسماً مشتركاً لأنه قد يقع علىٰ مزاج البدن كما قلنا وقد يقع علىٰ هيأته وقد يقع علىٰ القوة المدبرة لأفعاله، وبالجملة فان المقصود اليه من اسم الطبيعة هاهنا انما هو المزاج الذي يخص البدن فاذن[٢٤٣] يلزم الطبيب ان يعرف مزاج البدن الذي يقصد لحفظ صحته او لعلاج مرض به. وقد بين القدماء ان اعطاء علامات يتعرف بها مزاج شخص شخص من الناس ممتنع لان الاشخاص بغير نهاية وامزجتهم ايضاً كذلك ومالانهاية له محال الأحاطة بعلمه فلما كان ذلك كذلك التمسوا معرفة انواع الأمزجة واجناسها وحصلوا ذلك وميزوا كل جنس ونوع بخواصه وفصوله التي ينفصل بها من غيره ليكون ذلك قانوناً لساير من أراد ان يعرف أي مزاج من الاشخاص قصد لحفظ صحته او لعلاج مرضه فمن لم يحكم من الاطباء معرفة هذا القانون وماسواه من قوانين هذه الصناعة كان بالواجب ممرضاً للاصحاء قاتلاً للمرضىٰ ومن تأدب وانتبه لما يلزمه من واجب الفعل والشرع اوجب[٢٤٣ب] لنفسه المصلحة وللناس

---

٢٤٢) وردت في الاصل (فلذاً) والصحيح ما اثبتناه.

٢٤٣) وردت في الاصل (فلذاً) والصحيح ما اثبتناه.

٢٤٣ب) وردت في الاصل (واجب) والصحيح ما اثبتناه.

فانه سيأخذ نفسه بالتماس ماجهله من هذه الأصول في القوانين التي لايمكنه اذا أنصف نفسه ان يتسمىٰ طبيباً دون معرفتها التي احدها مانحن بسبيله في هذا الباب وعلم اجناس المزاج وهي تسعة فاحدها هو المزاج المعتدل والثمانية خارجة عن الاعتدال وهذه الثمانية الخارجة عن الاعتدال منها اربعة مفردة وهي الحار والبارد والرطب واليابس، واربعة مركبة وهي الحار الرطب والحار اليابس والبارد الرطب والبارد اليابس. ولايغني الطبيب ان يعلم ان ذلك كذلك دون ان يعلم ان لطبايع الأبدان طبقات اوسطها المعتدل الطبع وان عن جنبتي هذا الوسط طبقات من الامزجة الصحية والمرضية الىٰ ان تنتهي الىٰ نهاية مايمكن من الفساد مالا يحصىٰ. وان يعلم ايضاً مالكل نوع من هذه الطبقات من العلامات التي يستدل بها عليها ومثال ذلك العلامات التي ذكروها للمزاج الحار والمزاج البارد فانها وان كانت كأنها تدل علىٰ شيئ واحد فانها بالحقيقة هي بأعيانها تدل علىٰ اشياء كثيرة لانها تدل علىٰ نوع المزاج الحار وهو واحد وبكثرتها وقلتها وشدتها وضعفها وتغاير أزمنتها تدل علىٰ أمزجة أشخاص النوع كلها وذلك ان علامات المزاج الحار اليابس مثلاً هي ان يكون الصدر واسعاً والعروق واسعة والنبض عظيماً والنفس ذات شجاعة ونجدة والبدن كثيف العضل وثيق المفاصل مقاربها والجلد أسود او أدم صلب والشعر كثير أسود والشحم قليل والبدن قضيف، وأضداد هذه العلامات هي علامات البدن البارد الرطب، فكما ان الامزجة الحارة اليابسة والباردة في الشدة والضعف كثيرة لاتحصىٰ، كذلك هذه العلامات وامثالها من علامات باقي انواع المزاج الثمانية لها طبقات ومنازل بعضها أشد من بعض لاتحصىٰ تُدل الطبيب علىٰ مزاج الاشخاص الذي قصده حفظ صحتهم او علاج امراضهم ويليق بقولنا هذا احضار علامات الطبائع اذ ليس لذلك قصدنا بكتابنا هذا وانما ذكرنا ماذكرنا علىٰ طريق المثال والتشبيه للعقلاء من اهل صناعة الطب وحبا للمتعلمين. فأما افاضل هذه الصناعة فانهم بما قد قرأوه[٢٤٤] من كتبها يستغنون عن كثير من ذلك فلنكتف[٢٤٥] بما ذكرناه في هذا الباب ولنعد الىٰ مقصدنا فنقول اما إذ فرغنا من ذكر جمل وعيون الأمور الطبيعية التي كانت حاجتنا الىٰ ذكرها ماسة في ذكر مصالح البدن وإصلاحه

---

٢٤٤) وردت في الاصل (قرؤه) والصحيح ما اثبتناه.

٢٤٥) وردت في الاصل (فلنكتفي) والصحيح ما اثبتناه.

وتدعو الضرورة للطبيب خاصة ولساير من قصد صلاح جسمه اليه اذ كان قصدنا من تأديب الطبيب انما كان لصلاح نفسه وتقويم أخلاقه اولاً وقدمنا ذلك علىٰ مصالح جسمه لتقدم النفس بالشرف علىٰ البدن جعلنا لذلك باباً مفرداً هو الباب الأول الذي قبل هذا ثم لما قصدنا في هذا الباب الثاني ذكر مصالح البدن لانه الجزء الثاني من شخص الانسان وقلنا فيما تقدم من هذا الباب انه لايسع الطبيب الجهل بمعرفة اعضاء البدن وبمراتبها اذ كان منها شريف مخدوم ومنها خادم ايضاً ومنها ماخلقت آلات وخدماً للنفس الناطقة ومنها ماخلقت مع ذلك آلات وخدماً للطبيعة وقلنا انها مختلفة الأمزجة والهيآت وان من قصد حفظها وعلاج مرض ان عرض لواحد منها فهو محتاج الىٰ معرفة جميع الحالات فان الطبيب أحوج الناس الىٰ ذلك ليصلح حال جسمه هو اولاً ثم حالات أجسام الناس كما انه ينبغي ان يؤدب نفسه اولاً قبل التعرض لما ذكرناه من هذه الصناعة الشريفة فلذلك دعتنا الضرورة ان نرىٰ لتدابير الأعضاء قانوناً يقدر ذو الفطنة اللطيفة والقريحة الصافية ان يستعمله في جملة البدن وفي عضو عضو من اعضائه ولم يكن لنا بد في ذلك من اتخاذ مثال الطريق الذي يجب ان نسلكه في ذلك القانون فاتخذنا من جملة الاعضاء الدماغ مثالاً وذكرنا من الطرق الواجب ذكرها ومن الأمور الطبيعية التي هي ضرورية في بقاء الشخص وكيف ينبغي ان نختار منها الأصلح غير إنا قصدنا بذلك تنبيه الطبيب علىٰ ما لابد له من عمله، واذا كان ذلك قد تم فقد ينبغي لك ايها المحب لهذه الصناعة ان تنقل ماذكرناه في الدماغ الىٰ باقي الأعضاء الشريفة اعني القلب والكبد والىٰ بقية الأعضاء النافعة في البقاء وهي آلات النفس وآلات الغذاء كالمعدة والكبد وبالجملة الىٰ عضو عضو من ساير اعضاء الجسم ماكبر وماصغر من الاعضاء الآلية والىٰ ساير الاعضاء[٢٤٦] المتشابهة الأجزاء لتختار لكل عضو من اعضاء الجسم ماأصلحه من تلك الأمور الطبيعية أعني حالات الهواء والحركة والسكون والمأكول والمشروب والاستفراغ والاحتقان والنوم واليقظة والأعراض النفسانية والبلدان والأعمال والعادات وقوة الجسم والسن والسحنة وطبيعة البدن. فتختار من كل واحد من هذه لجملة البدن ولعضو عضو من اعضائه مايوافقه بالكمية والكيفية والزمان والمكان علىٰ النحو الذي قدمنا ذكره في باب باب لكل واحد مفرد علىٰ تقصي فروع كل أصل من هذه الأصول. فان كان انسان من الناس الىٰ ذلك محتاج وهو يستعمله في حال صحته وفي حال

٢٤٦) وردت في الاصل (اعضاء) والصحيح ما اثبتناه.

مرضه دائماً مهما هو[٢٤٧] حيّ وانما الفضيلة لأهل هذه الصناعة ولافـاضل النـاس الذين يقتدون رأي الافاضل من الاطباء هي انهم يختارون من كل واحد من هذه اوفقه وانفعه ولا يستعملون منه إلا مالابد من استعماله للبقاء بالشخص او بالنوع ومثال ذلك مايستعمل لبقاء الشخص المأكول والمشروب وساير تلك الامور الطبيعية المقدم شـرح عيونها فـان الفاضل لايأكل الا ما حاجته اليه ماسة وفي الوقت الموافق والمقدار الكافي وكذلك مايشربه وكذلك يفعل في[٢٤٨] ساير اعماله وحركاته وسكونه ونومه ويقظته وبالجملة ساير مايدعوه الطبع الىٰ استعماله فان فضيلته في ذلك هو الا يأخذ منه بحسب اللذة لكن بحسب الحاجة فانه من اقبح الامور ان تكون البهائم لاتستعمل من هذه الأمور الا بحسب حاجتها ويكون من يرىٰ بنفسه انه عاقل يستعمل منه فوق حاجته، واشـد من ذلك قبحـاً من يجهد في الوصول منها الىٰ مافوق طاقته كالذين يتخذون المعاجين[٢٤٩] والجوارشنات[٢٥٠] ليقوون من الجماع علىٰ المقدار الكثير وهذا للانسان مهلك وأشباهه، ومع ذلك قبيح بالعقلاء فانه أعظم قبح وأسمج بالطبيب المدعي تدبير الخواص والعوام من الناس، فاستعن ايها الحبيب علىٰ طبعك بعقلك وعلىٰ التفهم قلة بصيرتك بمنافعك بقراءة كتب المتقدمين وعلىٰ التفهم لأقاويلهم بلقيا الخبيرين بها لتزداد بذلك علماً وتقدر علىٰ العمل المحمود فبالعمل مع العلم تنل الصالحات وتبلغ الخيرات .وأرىٰ انه من الصواب بعدما قدمته من هذه الجمل ان أذكر جملاً من الوصايا التي تحث الطبيب علىٰ مايصلح بقية اعضاء البدن الكبار ويستدل بها علىٰ اصلاح باقي الاعضاء ثم اتبع ذلك بوصف سيرة الطبيب كيف ينبغي ان يكون وكيف يرتب تدابيره لجسمه يوماً يوماً سائر ايام حياته وبذلك يتم هذا الباب .

---

٢٤٧) وردت في الاصل (هو) والصحيح ما اثبتناه.

٢٤٨) وردت في الاصل (من) والصحيح ما اثبتناه.

٢٤٩) المعاجين ـ كثيرة منها المعجون الرومي وينفع من السموم، ومعجون الفلاسفة المعروف باسم مادة الحياة وينفع للحفظ والمذاكرة ، والمعجون المفرح وينفع لامراض القلب.

٢٥٠) الجوارشنات ـ خليط من الادوية تؤخذ اثناء تناول الطعام او بعيده لاثارة الشهية للاكل وتسهيل الهضم في المعدة.

القول في الحث علىٰ مصالح الأعضاء وأقدمها بعد الدماغ، القلب

وينبغي للطبيب ان يعنىٰ بأمر صلاح القلب العناية الشديدة لانه معدن الحياة ومحل الروح الحيواني ومنشأ الحرارة الغريزية ومنه تسري الروح الحيوانية في العروق الضوارب النابتة منه الىٰ ساير البدن، ومن لطيف دمه يصعد الىٰ شبكة الدماغ مع لطيف القوة الحيوانية لتحول هناك وتهذب فيكون الدم للدماغ غذاء وللروح الحيوانية (. . . .) وللروح النفسانية مادة (. . . . .) وخلق القلب بشكل صنوبرة كشكل الجوهر الناري الذي فيه والعناية بصلاح القلب مأخوذة من أصلين احدهما بصلاح ساير مايرد اليه من خارج من الهواء المروّح من ناريته وبما يمد الروح الحيوانية التي فيه. والثاني بصلاح الدم الواصل اليه ليغذوه ويحفظ القوة الحيوانية والحرارة الغريزية كما ينمي ويحفظ النار الزيت فلذلك ينبغي للطبيب ان يعنىٰ دائماً بصلاح الأغذية التي تولد الدم ويبين ان مما هو لطيف بهذين الأصلين ويتمم صلاحهما، تقوم تلك الأمور الطبيعية المقدم ذكرها في تدابير الدماغ والأخذ منها بحسب صلاح القلب. وقد بيّن القدماء ان القلب آلة للقوة الغضبية وبصلاحه تستقيم أفعال هذه القوة وتعتدل الأخلاق وتضعف القوة الغضبيّة لان الدم يصفو[٢٥١] والنفسانية تقوىٰ، وبفساد القلب تفسد الغضبيّة وتصير الأخلاق سيئة، فالذي به يستدل اولاً علىٰ حالات القلب ثم علىٰ حالات ساير أعضاء البدن هو نبض العروق وعلم النبض للطبيب في حفظ الصحة وفي معالجة المرض علم عظيم النفع لأنه كما قال جالينوس مخبر لايكذب فلذلك واشباهه ينبغي ان يتوفر علىٰ حفظ القلب.

القول في الكبد

والكبد ايضاً فهي عضو رئيس خُلق لتكوين الدم وذلك ان الكبد تجذب اليها بالقوة الجاذبة التي خلقها الله عز وجل فيها وفي كل مغتذ[٢٥٢] الصافي من الغذاء التي قد طبخته المعدة وانضجته نضجاً اولاً فاذا انطبخ فيها اعني في الكبد ونضج نضجاً ثانياً صار بالقوة المغيرة في مدة الزمان الذي قد مسكته القوة الماسكة دماً وبعد ذلك تنفذه وتدفعه الىٰ

---

٢٥١) وردت في الاصل (يصفوا) والصحيح ما ابتناه.

٢٥٢) وردت في الاصل (مغتذي) والصحيح ما ابتناه.

الاعضاء وترسل ذلك في العروق (النابته) منها الىٰ كل عضو مايشاكله وبحسب كفايته بعد ان تأخذ منه هي غذائها وتبقي منه مالايصلح لغذائها ولا لغذاء الاعضاء من عكر وزبد وماء ذلك تقدير العزيز الحكيم وخلقت الكبد بشكل هلالي ذي زيادات محدودب الظاهر أخمص الباطن ليمكن بذلك احتواؤها[٢٥٣] بتقعيرها وباصابعها الزائدة علىٰ المعدة لتسخينها وتعينها علىٰ طبخ الغذاء فيكون مثالها مع المعدة مثال القدر الموضوعة علىٰ الموقد وبالقوىٰ الطبيعية التي في الكبد يتم الكون لان منها قوىٰ أول وهي المصورة والمربية وثواني وهي الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة، وبصلاح الكبد تصلح جميع هذه وتصلح حال الحي فلذلك يجب علىٰ الطبيب العناية بها فيما يرد اليها من الأغذية والأشربة ومايبرز عنها وبالجملة من تقدير الأمور الطبيعية بحسب مصلحتها كالذي تقدم به القول.

القول في المعدة

وبعد العناية من الطبيب بالاعضاء الرئيسة أعني الدماغ والقلب والكبد فانه ينبغي ان يعنى بتنقية الأعضاء التي هي خدم هذه الرئيسة ونفعها عام لساير الجسم وأشد هذه تقدماً المعدة لأن الطبخ الأول للغذاء فيها يكون وبها اذا كان مايفعله الفم والاسنان والاضراس واللسان مع تقطيع الطعام وطحنه واشباه ذلك لايستحق ان يسمى هضماً ولاطبخاً اذ كان منزلته منزلة مايصلحه الطباخ من التقطيع والدقّ قبل طبخه. فالمعدة بالحقية هي اول آلات الطبخ ولذلك جعل ليفها الآخذ عرضاً ليفاً مورياً لكي تحتوي به وتقبض علىٰ الطعام ليتم لها سحقه وطبخه في مدة ما من الزمان وتتعاون علىٰ ذلك قوتان احداهما الماسكة والأخرىٰ المغيرة وهي الهاضمة، وهاتان القوتان فعلهما يتلوان فعل القوة الجاذبة (شئ لاتفعلان هاتان القوتان شيئاً) كما ان القوة الدافعة ثالثة في فعلها للقوتين المتوسطتين ولذلك جعل للمعدة طريقان احدهما ينجذب اليها منه مايرد اليها وهو المتصل بالمرئ والآخر المسمىٰ البواب وهو الثقب المتصل بأول المعا المسمىٰ الأثني عشري. والمعدة في اسفلها الذي هو اوسع جرمها لحمي لأجل ان اكثر النضج به يكون وأعلاها عصبي لأجل ان أكثر الحس لها به يكون. واذا كان نفع المعدة ماذكرنا فبحق يجب علىٰ الطبيب ان

---

٢٥٣) وردت في الاصل (احتواها) والصحيح ما اثبتناه.

يعنىٰ بصلاحها وأول صلاحها هو نقاؤها[٢٥٤] ونظافتها مما قد بقي فيها او تولد فيها من الفضلات العفنة ليرد الغذاء اليها علىٰ نقاء كما ان أول صلاح طبخ الطباخ هو نظافة قدره وآلات الطبخ وبعد ذلك فأحمد الأمور للمعدة ولساير الاعضاء هو الا يورد اليها الا ماوافقها من الطعام والشراب وغيرهما مما يرد اليها والموافق لها يحتاج ان يكون موافقاً في الكمية وفي الكيفية وفي الترتيب وفي الوقت فان الطعام والشراب اذا لم يكونا في مقداريهما فوق مقدار الحاجة وكانت كيفيتهما[٢٥٥] موافقة في الحرارة والبرودة مثلاً ورتبت الأغذية ترتيبها الموافق فقدم مثلاً الطعام اللطيف السهل الانهضام قبل الطعام البطئ الانهضام وقدّم ايضاً الطعام قبل الشراب وكذلك ايضاً اذا حفظ زمان الهضم ولم يورد علىٰ المعدة طعام آخر كان جميع ذلك مع ساير ماتقدر للمعدة من باقي الأمور الطبيعية أعني الحركة والسكون والنوم واليقظة والاستفراغ والاحتقان وساير مايبقىٰ من ذلك يصلح لحال المعدة ولحال ساير البدن فلذلك يلزم الطبيب العناية بها وايضاً مما يحتاج ان يذكر به الطبيب ليعنى بعلمه من أمر المعدة هو ماذكرناه اولاً من استنظافها مما يتولد فيها والمتولد فيها نوعان من الأخلاط فأحدهما يمكن صلاحه ونضجه مع الأغذية حتىٰ يصل الىٰ الكبد ويتولد منه دم[٢٥٦]. والنوع الآخر من اخلاطها لايمكن ان يكون دماً ولذلك يجب العناية باخراجه عنها اما بالاسهال او بالقذف فالنوع الأول الذي يمكن كونه دماً هو البلغم ولذلك يجب ان يعنىٰ بنضجه واصلاحه كالذي يأمر به المشايخ واصحاب الامزجة الباردة الرطبة ومن يتولد في معدهم البلغم كثيراً لتخلف هضمهم ببرد معدهم بأكل العسل وماوافقهم من الجورشنات، وشرب اليسير من الخمر الصرف في جملة اغذيتهم ونظاير ذلك. وأما النوع الثاني من الأخلاط المتولدة في المعدة التي لاتستحيل دماً ولايمكن صلاحها فهي[٢٥٧] مما يتولد فيها او ينصب اليها من الصفراء او المرّة السوداء او من الأخلاط الصفراوية والأخلاط السوداوية، واخراج هذين الخلطين من أسفل يكون بما يسهلهما من الأدوية المسهلة لهما اذا مالا الىٰ اسفل او بالقذف ان مالا الىٰ ناحية فوق، فقس علىٰ ماذكرته لك واحسن التقدير توفق إن شاء الله.

---

٢٥٤) وردت في الاصل (نقاها) والصحيح ما اثبتناه.

٢٥٥) وردت في الاصل (كيفيتها) والصحيح ما اثبتناه.

٢٥٦) وردت في الاصل (دماً) والصحيح ما اثبتناه.

٢٥٧) وردت في الاصل (فهما) والصحيح ما اثبتناه.

القول في الأمعاء والطحال والمرارة والكُلىٰ والمثانة

وينبغي للطبيب ايضاً ان يصرف عنايته الىٰ علم جوهر بقية الاعضاء الخادمة ومنافع كل واحد منها ليعلم بذلك بما يصلحه فانه لايغنيه في بقاء الجسم وحفظ صحته صلاح حالات المخدومة دون صلاح الخوادم، وهذا الاعضاء هي الخوادم التي جعلها الباري تعالىٰ في الرتبة الثالثة لخدمة المعدة والأمعاء الدقاق الثلاثة أعني المتصل بالبواب والاثني عشري والصايم مع ما[٢٥٨] جعلت طرقاً ليتقدم منها ماقد فرغت المعدة عن عمله فان لها منفعة أخرىٰ وهي ان العروق الدقاق التي ترد اليها من الكبد المسماة الماساريقي وتفسيرها المصافي خلقت لتجتذب صفو الغذاء الىٰ الكبد ليصير فيها دماً، ولـذلك عـرّجت هذه الامعاء تعريجاً كثيراً فاما باقي الأمعاء فهي الغلاظ فالمنفعة فيها انها طرق فقط لتنقية مايتبقىٰ من الثفل ولذلك يجب العناية ببروزه وخروجه منها وان قصرت الطبيعة عن اخراجه ولذلك يلزم الخادم للطبيعة وهو الطبيب وهو يعلم كيف ينبغي ان يكون اخراجه وذلك ان اخراج الثفل وتسهيل بروزه يحتاج الىٰ تفقده يوماً يوماً فانه كما ان الحاجة الىٰ الغذاء يوماً فيوم كذلك الأمر في خروج اثفاله، فأول معين في بروز الثفل بسهولة هـو ان يكون الغـذاء سريـع الانهضام ولايصعب علىٰ المعدة انضاجـه لكي يكون قـد انطبـخ وسحق بعض النضج بالصنعة والطبخ من خارج ثم بالفم ثم ينبغي ان يكون الغذاء في مزاجه مشابهاً لمـزاج المغتذي به اذا كان صحيحاً وبما يعين خروج البراز في الامزجة الباردة وفي المعد المستولي عليها البرد والبلغم خلط الاشياء الملطفة بالاغذية ليعين علىٰ تولد الصفراء وتحريكها وصبها الىٰ الامعاء لتحث البراز علىٰ الخروج وهذه الأشياء الملطفة هي الأشياء الحريفة كالكمون[٢٥٩] والكراويا[٢٦٠] والدارصين[٢٦١] والزنجبيل[٢٦٢] والفلفل والعسل فيما ذكرناه اعظم فعل

---

٢٥٨) وردت في الاصل (معما) والصحيح ما اثبتناه.

٢٥٩) الكمون ـ ثمرة نبت، شمّه يقطع الرعاف، والنبطي منه يسهل البطن، والكرماني يعقل البطن (ابن هبل ج٢ / ص١١٢)

٢٦٠) كراويا ـ نبت مفيد للمعدة وطرد الرياح، وللهضم وللشهية، ويستعمل في الطبخ (ابن البيطار ج٤ / ص٦٤)

٢٦١) الدارصيني ـ قشور معروفة، مفتح للمسام، ومصلح للاخلاط، ويقوي المعدة، وينشف رطوبتها (ابن هبل ج٢/ ٥٦ ـ ١٠٧)

٢٦٢) زنجبيل ـ معروف، حار الرائحة والطعم، مفيد للمعدة والكبد، ويلين الطبع وينفع من اللقوة والفالج (ابن هبل ج٢/ ص٧٥)

لأنه مما يلطف بنضج البلغم ويعين علىٰ كونه دماً ومما ينفع في ذلك منفعة عظيمة شرب الخمر وهو صرف او قرب من الصرف وفي الشتاء يكون مزاجه بالماء الحار والأنبذة المايلة الىٰ الحلاوة نافعة من ذلك وان تخلفت الامعاء عن دفع البراز لبرد مزاجها او لبلغم قد كثر وغلظ فيها او ليبس ماصار اليها من الثفل او لعظم رياح قد تولدت من نوع الغذاء فيلزم الطبيب الحيلة لاخراجه بالحقن بالأشياء المسخنة للامعاء والمذيبة للبلغم والطاردة للرياح والمزلقة ايضاً كالخطمية المضروبة في ماء العسل والزيت وكما قد طبخ فيه كمون وخطمية[263] او حلبة [264] وكمون وخلط مع ذلك العسل والزيت وحقن به وذلك وامثاله نافع في حفظ الصحة وتنقية الأمعاء والرياضة وتعديل الأمور الطبيعية كلها في ذلك أعظم نفع ، ولاينبغي ان يهمل منها شيئاً. واما الطحال وهو عضو له منافع كثيرة أظهرها وأعظمها هو تنقيته وجذبه لعكر الدم من الكبد ثم طبخه لما صار اليه حتىٰ يصير منه المرة السوداء ثم انفاذ جزء من هذه المرة الىٰ فم البلغم يسدّها بما فيها من القبض وبما في هذه المرة من الحمض تحرك الشهوة للطعام. ثم لتعين الطحال علىٰ امتحان المعدة للطبخ باحتوائه علىٰ جرمها كما تحتوي الكبد من ناحية اليمين وكما يجللها الثوب من قدامها جميع ذلك لإسخانها ولهذه المنافع والأفعال من الطحال يجب الأهتمام بأصلاحه وتنقيته اذا وجد الطبيب منه تخلفاً في فعله كما يعطي الأشياء التي تجلو وتقوي حدته وتخرج مافيه مثل السكنجبين[265] العسلي والعنصلي والكبُر المعمول بالخل ونظاير ذلك. وكذلك يجب علىٰ الطبيب النظر في امر المرارة فانها آلة خلقت لتجذب من الدم مايعلو علىٰ طبخه الكبد من الزبد كالذي يأخذه الطباخ بالمغرفة من الزبد الطافي علىٰ الطبيخ لتنظفه منه ومن ذلك الزبد اللطيف الخفيف يكون المرار الاصفر بطبخ المرارة له وهي مع ذلك بعد تغذيتها منه تنفذ منه في عرقين الىٰ أسفل المعدة والىٰ الامعاء لتعين المعدة علىٰ الهضم بحرارته وايضاً لتعين البواب علىٰ اخراج مانضج لتعين الامعاء الغلاظ علىٰ دفع الرجيع ويخليها[266] دائماً من البلغم الذي يكثر فيها لبرد مزاجها

---

٢٦٣) الخطمي ـ نبت نقيعه يلين الامعاء والاورام والخنازير وصلابة الغدد (ابن هبل ج٢/ ص١٩٧)

٢٦٤) الحلبة ـ نبات مفيد في علاج الكلف ونتن رائحة البدن، ونقيعه يحلل البلغم والاورام، ويصفي الصوت، ونافع من الطحال الجاسي والاسهال (ابن البيطار ج٢/ ص٢٥)

٢٦٥) سكنجبين شراب من السكر او العسل والخل، يفيد الارياح ويفتح السدد

٢٦٦) وردت في الاصل (يخلوها) والصحيح ما اثبتناه.

(*) الطب الحديث يكذب هذه المقولة.

فلذلك يجب العناية بالمرارة وبتفقد حال مايتكون فيها وماهي عليه من قوة الجذب والدفع بتعديل الأطعمة والأشربة والحركات والأستحمام وبالجملة ساير الأمور الطبيعية . وكالقول في المرارة كذلك القول في الكُلىٰ والمثانة فانهما عضوان خلقا ليجذبا اليهما مائية الدم فهما بعد أخذهما منه مايغذوهما يخرجاه بالبول فلذلك يتبغي للطبيب ان يتفقد مايخرج من البول وينظر في امر البول في كميته اعني في كثرته وقلته وفي كيفياته علىٰ اختلاف ضروبها كالوانه وقوامه وسهولة خروجه فإن علم الاستدلال في البول علىٰ حالات آلات الغذاء كلها خاصة وعلىٰ حالات ساير البدن عامة في حال الصحة وفي حال المرض عظيم النفع للطبيب فلذلك يجب ان يعنىٰ(٢٦٦ب) بعلم دلائله وبقراءة ماألفه الأطباء من الكتب، ولذلك ايضاً يجب العناية بتفقد الكُلىٰ والمثانة لما لهما من الافعال والمنافع بتعديل الأغذية والأشربة خاصة وساير الأمور الطبيعية .

القول في الرئة والصدر

ومن الأعضاء الخوادم للاعضاء الشريفة النافعة في بقاء الحيّ الرئة فانه عضو له منافع منها صون القلب والترويح عنه لإنفاء بخار الحرارة النارية التي فيه ولاستجلاب الهواء الصافي البارد اليه ولتصفية حرارته كالذي تفعله المروحة من استجلاب الهواء الىٰ النار لتنقي عنها ماأجمع عليها من الدخان والرماد فيصفو بذلك كذلك تفعل الرئة ولذلك خلقت اسفنجية خفيفة . ولشرف نفعها أحرزت يصونها بسور يحيط بها مركب من عظام وعضل وأغشية وغير ذلك وهو الصدر، ولها من المنافع للحيّ انها مع الصدر اكثر الأسباب في تولد الصوت وكونه فلذلك يجب علىٰ الطبيب الاهتمام بمصالحه جميعاً وذلك بتعديل الاغذية والأشربة وخاصة الهواء المحيط بالشخص وبحركاته فان ذلك اسرع اليهما وبالجملة ينبغي ان يصلح لهما جميع الأمور الطبيعية ليدوم لهما ذلك ولساير اعضاء البدن ماذكرناه ومالم نذكره وللسلامة والصحة، ولم نذكر ماذكرناه من هذه الأعضاء الاعلىٰ طريق التنبيه والمثال للطبيب علىٰ مايجب ان يعمله في سائر اعضاء البدن فلذلك ينبغي له ان يعرف اعضاء البدن كلها الآلية ويعلم اعضاءه التي هي في المرتبة قبل الالية وهي المتشابهة الاجزاء

٢٦٦ب) وردت في الاصل (يعنا) والصحيح ما اثبتناه.

لانها هي الاصول للاعضاء الالية . ثم يلزمه ان يكون عالماً بما منه ركبت الاعضاء المتشابهة الاجزاء ليعلم كيف يحفظها فيلزمه ان يتقـدم عنده العلم بـأمر الاخـلاط، وقبل العلم بالأخلاط العلم بالمزاج، تتكون الاخلاط من الاسطقسات فلذلك قالوا ان هذه الأشياء هي الأمور الطبيعية للجسم مع اسبابها وعلاماتها ولهذه العلل ولكثرة بحوثها وتفنن طرق العلم بها صنّف القدماء لكل فن منها كتباً فإن أحببت علم ذلك علىٰ اتقان فيجب ان تلتمسه علىٰ ترتيب ونظام فتقرأ كتب فن فن منه علىٰ توالي الأمر الطبيعي لبدن الانسان وأحمد ماقرأته في ذلك كتب جالينوس ومنها خاصة الستة عشر كتاباً التي رتبها الاسكندرانيون(٢٦٧) للمتعلمين لهذه الصناعة وسنذكرها علىٰ ترتيبها وبأسمائها فيها بعد بمشيئة الله تعالىٰ. فيجب ان تصرف العناية الىٰ درسها علىٰ من يفهمها فان كتاب الأسطقسات منها مقدم قبل المزاج والمزاج مقدم قبل علم التشريح ومنافع الأعضاء وهذه مقدم قبل القوىٰ الطبيعية وكذلك أجروا القول في ترتيبها فاذا قد انتهىٰ بنا القول الىٰ هاهنا فلنرجع الىٰ ماينبغي للطبيب ان يأخذ نفسه به من التدابير والسياسة لبدنه ولنفسه يوماً يوماً فنذكره لتكون مصالحه تامة وسيرته كاملة وبذلك يكون كمال هذا الباب

القول في التدابير والسياسة التي ينبغي للطبيب ان يدبر نفسه بها في كل يوم مدة حياته

فنقول انه ينبغي للطبيب بعد اتفاق ماقدمنا

ذكره مما يلزمه علمه ان يبدأ في كل يوم باستنظاف مايبرز من ساير منافذ بدنه كالذي يبرز من منخريه وعينيه وفمه ونظايرها وتزكيتها بالماء وليس يكثر في هذه المنافذ الفضلات الا لكثرة الأكل والشرب وسوء ترتيبها فلذلك يكون انفع الأشياء في تذكية الحواس ونقائها هو تعديل المأكول والمشروب وايضاً فان الطبيب مضطر الىٰ حضور مجالس الأفاضل والادباء والأدب

---

٢٦٧) الاسكندرانيون ـ حكماء ظهروا في الاسكندرية بعد المسيح بخمسة قرون تقريباً. وعلىٰ راسهم انقلاووس وجاسيوس. وقد اختصروا اربعة كتب من مؤلفات ابقراط وستة عشر كتاباً من مؤلفات جالينوس وجعلوها الكتب المدرسية المقرر تدريسها في المدرسة التي استحدثوها لتعليم الطب (النافع في كيفية تعليم صناعة الطب لابن رضوان المصري (المقالة الثانية) وابن ابي اصيبعة ص١٥١ ـ ١٥٧)

لائق به وليس من الأدب التنخع والتبصق والتثاؤب والتمطي واشباه هذه الأشياء وجميع هذه ونظايرها انما تأتي علىٰ التملي من الطعام والشراب فينبغي للطبيب ان يحذر ذلك ومايملأ الرأس ويفعل هذه الأشياء العشاء فيجب ان يتوقاه وبعد ذلك فينبغي ان يعنىٰ بفمه بالسواك والشنونات التي تجلو الأسنان وتطيب النكهة وتشد اللثة كالسعد (٢٦٧ب) والأذخر(٢٦٨) ونظايرهما ويأخذ في فيه من العود(٢٦٩) مايمضغه قليلاً قليلاً ليطيب بذلك بنكهته ويقوي معدته ودماغه وكذلك من المصطكي (٢٧٠) ونظايرهما. ولذلك قال جالينوس: فقد كان رجل به رائحة رديئة من فيه فعني بعلاجها حتىٰ نقصت وقلّت بالقيّ والاسهال وشرب الادوية التي تصلح لها ثم كان بعد في كل يوم يلقي الىٰ فمه احياناً حماماً واحياناً شيئاً من الساذج واحياناً غير ذلك من الاشياء الطيبة الرائحة ولم يكن يخرج من منزله الا بعد ان يفعل ذلك. ثم يجب ان يتبع ذلك بتفقد روائح ساير اعضائه فما انكر منها من رائحة قابله بما يزيل تلك الرائحة كالتوتيا(٢٧١) لروائح الابط والذراير التي تقمع الروائح الرديئة. وكذلك يلزمه ان يتفقد كلما فضل عن اعضائه مما لاحاجة ضرورية للجسم اليه فيزيله كالزائد من الأظافير والفاضل من شعر رأسه ووجهه وغير ذلك مما شابهه. ويتلو ماذكرناه عناية الطبيب بلباسه فانه ينبغي له ان يتعمد شيئان احدهما النافع وذلك كاللبن والمسخن في الشتاء وكالرقيق الناعم في الصيف والآخر ماجمل وحسن عند ابناء نوعه ولم يخرج عن طبيعة مثله فان الطبيب الخادم للسلاطين يحتاج من الكسوة والطيب الىٰ اكثر مما يحتاج اليه طبيب العامة. ويجب للطبيب ان يحرس حواسه كلها ولايستعملها الا فيما اجتلب نفعاً(٢٧٢) او دفع ضرراً(٢٧٣) فان نطق نطق عن علم وتحصيل ولايُسمع منه لفظة مكروهة. وينبغي ان يتحفظ

٢٦٧ب) السعد ـ جذور نبات عشبي مفيد لرياح البطن وسخن الكبد والرحم ويكسب الفم رائحة طيبة (ابن هبل ج٢/ ص١٣٩ ـ ١٤٠)

٢٦٨) الاذخر ـ عشبة مفيدة للاوجاع الباطنة، ودهنها نافع من الحكة، ويقطع النزف، ويقوي الاسنان المتخلخلة (ابن هبل ج٢/ ص١٦ ـ ١٧)

٢٦٩) العود ـ عروق اشجار تفيد حالات المعدة والقلب وتقوية الحواس وتزكي رائحة الفم (ابن البيطار ج٣/ ص١٥٢)

(٢٧٠) المصطكي ـ صمغ نباتي ينفع من البثور والاورام والقروح والخراجات ومقوٍ للمعدة واعضاء النفس والارحام (ابن هبل ج ٢/ص١٢١)

٢٧١) التوتيا ـ هو مايفصل الزنجار عن النحاس، وتوصف لصنان الجسم (ابن البيطار ١/ ١٤٣)

٢٧٢) وردت في الاصل (نفع) والصحيح ما اثبتناه.

٢٧٣) وردت في الاصل (ضرر) والصحيح ما اثبتناه.

في الفاظه خاصة في مجالس الملوك والرؤساء فلا يسأل الا عما يعنيه أمره ولا يجيب الا عما سُئل عنه وكذلك يلزمه في حراسة بصره وذلك بان لاينظر الىٰ حُرمة ليست له بمحرم نظر هو عنه غني ولا الىٰ غلام ويجتهد في ان يكون نظره دائماً في كتب الصناعة وفي ديوان شريعته فان كتب الشرائع تقوم الاخلاق وتبعث علىٰ الأعمال المحمودة وكتب صناعته تكسبه علماً بها، ويجب علىٰ الطبيب حراسة سمعه وذلك بأن لايسعىٰ الىٰ محادثة الجهال ولا الىٰ استماع اقاويل الأشرار ومذاهب الآراء الرديئة وحسم ذلك عنه هو بألايجالس اهل هذه الأمور ولايخالطهم ولايجادلهم ماامكنه فان تهيأ له مذاكرة فاضل والاكان الأنس بالوحدة والخلوة بالدرس له اعظم الأنس. وهكذا ينبغي للطبيب ان يأخذ نفسه في حراسة حواسه الباقية وذلك بأن يحرس نفسه من اشتمام الروائح المكروهة[٢٧٤]المفسدة لدماغه او ملامسة الاعمال المفسدة لبدنه، وينبغي ان يجتهد في تعديل هواء مسكنه ومجلسه وذلك بأن لايجاور ماأفسد هواءه من مسبك نحاسى او أتون حمام او مجمع ماء رديئ او مدبغة او ماشابه ذلك. ثم يجب علىٰ الطبيب ان يقسم يومه وليلته أقساماً[٢٧٥] بحسب حاجاته ومصالحه ويجتهد في ان يكون وقت نومه اقل الأوقات وبحسب الحاجة فقط لان النوم كأنه موت ما والاعمال فانما تتم باليقظة فلذلك يجب ان يكون زمان اليقظة اكثر من زمان النوم. وينبغي ان يجري زمان أعماله (. . . .) بحسبها ومثال ذلك ان اول الافعال التي ينبغي للعاقل ان يفعلها بعد قيامه من نومه ونظافة جسمه وحواسه علىٰ ماتقدم به القول هو الصلاة فان الشكر للمنعم والإقرار له بالوحدانية والخشوع بين يديه اذ هو العلة لكل خير والقادر علىٰ كل فعال من الواجب عقلاً وشرعاً وبالتنصل والاقلاع عن العيوب مع نقاء القلوب يمحص الذنوب ويجيب الدعوات ويوصل الىٰ كل محبوب فلذلك وامثاله ينبغي ان يكون أول الأفعال الصلاة وذلك يكون في الجزء الأخير من الليل. ثم يجب علىٰ الطبيب ان ينعطف من صلاته الىٰ قراءة جزء من كتب شرعه اذ هو الآمر له بالخيرات والباعث له علىٰ الصالحات ثم يعدل الىٰ قراءة ماقد رتبه له من كتب الطب حسب ترتيب القدماءلذلكفاذا توجه له الخروج الىٰ مرضاه عاد فصلىٰ صلاة الصبح النهارية وسأل الله تبارك وتعالىٰ ان ينجح سعيه وان يشفي المرضىٰ علىٰ يديه وخرج بنيّة صادقة الىٰ مرضاه الذين قد نالتهم انواع المكاره وعيونهم

---

٢٧٤) وردت في الاصل (المكروة) والصحيح ما ابتناه.

٢٧٥) وردت في الاصل (اقسام) والصحيح ما ابتناه.

ساهرة من عظم البلاء في حال ما كان هو نائماً[٢٧٦] معافىٰ[٢٧٧] فيحمد الله علىٰ ماوهبه له كثيراً ويسأله المعونة علىٰ برئهم فاذا وافا المريض وسأله عن حاله وعرف اخباره طيّب نفسه ووعده بالبرء والسلامة فان يكن المريض او من يخدمه يعون ويفهمون وصف أدويته وأغذيته بل اثبتها لهم فان ذلك اسلم له ولهم وان لم يكن ممن يعي[٢٧٨] تولىٰ هو اصلاح مايحتاج اليه بيده فان لم يتهيأ له ذلك لم يصف له شيئاً لأن سكوته عن وصفه لمن لايعي ولايؤمن منه الخطأ هو أصلح للمريض وللطبيب وبعد أن يستوفي العيادة لمرضاه فيجب ان يعود الىٰ مجلسه المرسوم له فيجلس لمن يجيئه من المرضىٰ ويحسن المسائلة[٢٧٩] ولم أذكر هاهنا كيف ينبغي ان تكون المسائلة للمرضىٰ ولاكيف ينبغي ان يكون المرضىٰ ولاكيف ينبغي ان يكون خدمهم لأني قد أفردت لكل معنىً من ذلك باباً رسمته به يأتي فيما بعد بعون الله ولكن علىٰ الطبيب ان يوسع خلقه ويتحمل من المرضىٰ ضجرهم واي كلام سمعه منهم بغير تحصيل لم يحفل به ولكن عليه ان يحصل من جميع مايسمعه ماينتفع به ويستشهد بها علىٰ صحة مرضه وينبغي للطبيب ان يكون فيه رحمة ولايتم ذلك الا بتقىٰ وخوف من الله جلّ وعزّ واذا كان الطبيب كذلك لم يسمع منه الا بالصدق ولم يفعل الا الخير مع ساير الناس كافة. واذا فرغ عن حوائج الناس ثم اخذ في مصالح جسمه من استحمام وأكل وشرب فعليه ان يعدل ذلك لجسمه حسب مايوافقه بالكمية والكيفية وبحسب الزمان والمكان وان احتاج الىٰ الاكل مع غيره فلا يتبع في اكله وشربه محاب الاصحاب بل يأخذ من كل أمر طبيعي بحسب الواجب وبمقدار الحاجة لابحسب اللّذة ويكون هو المعلم لغيره الصواب من ذلك وليجد مضغ ما يأكله وليمتص[٢٨٠] مايشربه والأحمد للطبيب ان لايجالس شراب النبيذ لانه يضيّع زمانه ويستثقل مكانه وليحذر ايضاً مخالطة الأحداث وكثرة المزاح فانه ينشط عليه الجاهل والوقاح. ولاينبغي للطبيب ان يجاذب النساء لئلا يسقط عند العامة والرؤساء ولايصح

---

٢٧٦) وردت في الاصل (نائم) والصحيح ما اثبتناه.

٢٧٧) وردت في الاصل (معافا) والصحيح ما اثبتناه.

٢٧٨) وردت في الاصل (يعني) والصحيح ما اثبتناه.

٢٧٩) مسائلة المريض اي الاستعلام منه عن عمره ونوع عمله، وشكواه ومدتها، ومكانتها من الجسم وماالى ذلك للوصول الى تشخيص المرض ثم علاجه

٢٨٠) وردت في الاصل (مايمضغ) والصحيح ما اثبتناه.

للطبيب كسب الأموال من التجارة لألا[٢٨١] يقطعه عن العلم ويكسبه الخسارة ولايصلح للطبيب التشاغل باللعب والملاهي لئلا يسخف ويصير واهي . ولايليق بالطبيب اذا أراد شرب النبيذ ألا يشربه الا للأنتفاع به واكبر مايمكنه ذلك اذا شربه وحده واحمد اوقات شرب النبيذ له أول الليل بعد انهضام طعامه لانه حينئذ ينفذ الغذاء ويعين الكبد بحرارته المعتدلة علىٰ هضمها لصفوة الغذاء دماً لان الخمر أقرب الأشياء الىٰ كون الدم . ويجب ان يشرب من الخمر والماء بحسب مايوافقه ويكون شربه قليلاً قليلاً ومنادمته لأهل علمه أعني قراءة كتبهم ولايزال تارة يقرأ وتارة ينسخ وهو بين ذلك يشرب الىٰ حين النوم فهذا ماكان ينبغي ان اذكره من اصلاح الطبيب لجسمه كما ذكرت اصلاحه لنفسه في الباب الذي قبل هذا ، وفيما ذكرته في هذا الباب من مصالح الجسم كفاية لذوي الالباب والمحبين للآداب .

---

٢٨١) وردت في الاصل (لئلا) والصحيح ما البتناه.

فيما ينبغي للطبيب ان يتوقاه ويحذره

وينبغي للطبيب مع ماتقدم[٢٨٢] به القول من التحذيرات له والوصايا فيما يصلح نفسه وجسمه ان يحذر أشياء أُخر كثيرة في حفظ الأصحاء وفي معالجة المرضىٰ نحن نذكر منها هاهنا ماتهيأ ليستدل به علىٰ مالم نذكره، فأول ماينبغي للطبيب أن يحذره وعليه الاحتراس منه هو الا يدبر أحداً في حفظ الصحة او في معالجة عرض او يخير عقل من يريد تدبيره وعقل من يخدمه وبعد ذلك أصلاح مايوافقه في تدبيره ثم حينئذ يأخذ في تدبيره والا فالأصلح له وللمريض هو ألّا يدبره فيسوق الىٰ المريض والىٰ نفسه ضروباً من المكاره ويكون قد جهل من ذلك جهلاً يصعب عليه تلافيه وذلك لمخالفة قول الجليل بقراط حين قال: وقد ينبغي لك الا تقتصر علىٰ توخي فعل ماينبغي دون ان يكون المريض ومن يحضره كذلك والأشياء التي من خارج. فان بقراط قد أتىٰ في هذه الوصايا التي ينبغي ان يستوصي بها الطبيب ويحذرها من أمر المريض في نفسه وفي أمر خدمه وعوّاده وذلك بقوله ومن يحضره. واما قوله الاشياء التي من خارج فانه يفهم منه امر موضعه الذي يسكنه وهو انه المحيط به وأدويته واغذيته وانواع تقديرها واصلاحها وجميع ماتدبر به المريض من استحمام ودلك ودهن ورياضة واشباه ذلك من التدابير والعلاج التي ان استعملها الطبيب في غير موضعها[٢٨٣] وبغير المقدار الذي يحتاج اليه بها ضرّ المريض ولم ينفعه وكان بذلك قد ترك موعظة بقراط

---

٢٨٢) وردت في الاصل (معما) والصحيح ما اثبتناه.

٢٨٣) وردت في الاصل (موضوعة) والصحيح ما اثبتناه.

المقدم ذكرها والأخرىٰ التي قالها في المقالة الأولىٰ من أبيديميا[٢٨٤] وهو قوله: وينبغي ان تلزم نفسك شيئين احدهما ان تنفع المريض والاخرىٰ الا تضره ولان جالينوس قد ذكر في تفسيره هذا الفصل قولاً يليق بما نحن بسبيله وينفع اقتصاصه هاهنا مايفعله فلذلك أرىٰ ان أتلوه اليك فاستمعه وتدبره بغير ضجر

قال جالينوس وينبغي للطبيب ان لايتبع ارادة المريض اذا لم تكن موافقة لصلاحه ولا ينبغي ان يحمله علىٰ ذلك رهبة منه ولارغبة في ماله بل من الله يجب ان يرهب واليه ينبغي ان يرغب. وينبغي للطبيب ان لايكون حقوداً ولا حسوداً ولا عجولاً ولا ملولاً ولا صلفاً ولا شرهاً بل يكون للذنب صافحاً وللناس مسامحاً وثابتاً[٢٨٥] متوقفاً وبالأمر عارفاً[٢٨٦] ليناً[٢٨٧] متواضعاً والىٰ الخيرات مسارعاً[٢٨٨] قنوعاً شكوراً وبحسن الثناء مسروراً عن المآثم عفيف وفي باطنه وظاهره نظيف. واذا كان الطبيب آخذاً لنفسه هذه الاخلاق المحمودة فانه لا يرىٰ ان يقابل جاهلاً لئلا يكونا في الجهل بالسوية. ولايرغب في الحرام من الأموال لئلا يكون محتال[٢٨٩] قال فكم ممن قد أرغبهم الأشرار من الرجال والنساء ببذل الأموال والمواعيد وانواع الخدم فلشرههم وجهلهم اعطوا ادوية قتاله وفرزجات اسقطت الأجنة وأشباه ذلك من الأمور المهلكة جميع ذلك جهلاً بالعواقب وكفراً بالمنعم فلو سعدوا بصحة الفكر وجودة التمييز لعلموا ان الخالق تبارك عادل لاجور عنده وانه يكافئ المرء بحسب دينه فمن قتل قُتِل ومن أفقر فُقر ومن سلب سُلِب ومن أمرض أُمرِض ومن خدع خُدِع. ولو علموا بان الإمهال من الباري تعالىٰ للمذنب تدريجاً له وحجة عليه لسارعوا في الاقلاع عن الذنوب وزهدوا من الدينا في كل محبوب وكان الخير الحق هو عندهم المطلوب. فان لم تكن ايها الحبيب ممن قد نصب بفهمه لهذه الأقاويل ووهبت له السعادة فاقبل وصايا الجليل بقراط فانه قال انه لاينبغي لك ان تُخدع بجزع أمرأة تراها مكروبة فزعة من حملها فترحمها وتعطيها دواءً

---

٢٨٤) ابيديميا ـ كتاب لابقراط بسبع مقالات ويعرف عند العرب باسم كتاب الامراض الوافدة، وبعضه منحول عليه (ابن ابي اصيبعة ص٥٤)

٢٨٥) وردت في الاصل (ثابتة) والصحيح ما اثبتناه.

٢٨٦) وردت في الاصل (عارف) والصحيح ما اثبتناه.

٢٨٧) وردت في الاصل (لين) والصحيح ما اثبتناه.

٢٨٨) وردت في الاصل (مسارع) والصحيح ما اثبتناه.

٢٨٩) وردت في الاصل (محتالا) والصحيح ما اثبتناه.

يسقط جنينها فانه ان لم تفزع من الله تعالىٰ ولا وجه لقتل الجنين بل يجب تربيته، ولتربيته أجر عظيم[٢٩٠]. فأما أمه الرديئة فلا تستعمل معها الرحمة[٢٩١] فان فضيحتها سبب لصلاح غيرها من النساء فاحذر ان تعطي مثل ذلك الّلهم الا ان ترىٰ انت اعطاء ذلك خشية علىٰ الحامل او علىٰ الجنين من التلف ولا فرق بين ان تعطي الدواء او تشتريه. ويجب عليك ان تبدأ قبل تعرضك لعلاج الطب بقراءة كتاب بقراط في عهوده لتفهم وصاياه وتلزمك عهوده وتدخل تحت ايمانه التي حلّف بها واستحلف المنتحلين لصناعة الطب ايضاً ليلزمهم ذلك جميع شروطها. وانا أحكي لك فصلاً من ذلك الكتاب وتفسير جالينوس له لتستدل به علىٰ غرضه وعلىٰ كثير مما قصدنا له في هذا الباب. قال بقراط: واقصد في جميع التدبير بقدر طاقتي منفعة المرضىٰ فان الأشياء التي تضرهم وتدني منهم بالجور عليهم فامتنع عليهم بحسب رأيي. قال جالينوس ان بقراط يحلّفنا كيف نستعمل صناعة الطب طلباً لمنفعة المرضىٰ وذلك ان الطب فقط يمكن فيه بتلك الاشياء بأعيانها التي ينتفع بها ان نضر فيجب اذن علىٰ من كان من شأنه ان يكون طبيباً فاضلاً ان يكون انما تصرفه فيما ينتفع به المرضىٰ.
ومأحسن قوله في استثنائه في قوله بقدر طاقتي وذلك ان كثيراً من الناس تجده يضرّ بالمرضىٰ ولاينفعهم كثير منفعة بغير ارادة فاما الذين يمكنهم ان ينفعوا المريض ولا يفعلوا ذلك فقوم أشرار وذلك ان الفكر منهم ردئ لاصناعتهم وهم الذين يجبرون علىٰ تجاوز هذه الايمان، واما بقراط فبحسب رأيه يضمن أن يمنع من جميع الأشياء التي تضر ويعطي جميع الأشياء التي تنفع. وقد أحسن بقراط في استثنائه وقوله بحسب رأيي وذلك ان امتحن في جميع الأشياء انما هو الرأي وهو الذي منه يظن الانسان انه خيّراً او شريراً يرىٰ من ذلك انا نجد كثيراً خلقاً فعلوا افعالاً رديئة ولم يجاوزوا علىٰ ذلك عندما احتجوا فان ماكان منهم بغير أرادة ولامعرفة. وكثير من الناس فكروا في فعل الشر فلم يفعلوه فنزل بهم الحكم. ثم قال ان من امكنه ان يمنع الأشياء التي تضر ولم يحب ان تُفعل فهو الانسان الشرير المتجاوز العهد. وأما الذي يحب أن يفعل الخير غير انه لايمكنه فعله فليس هو سبباً للبلية لانه لم يمكنه صرفها.
وينبغي لك ان تستوصي بوصية بقراط التي وصىٰ بها نفسه فانه قال لاأشق ايضاً عن من في مثانته حجارة بل اترك ذلك لمن كانت صنيعته هذا العمل، وليس ينبغي لك ان تفعل ذلك

٢٩٠) وردت في الاصل (اجراً عظيماً) والصحيح ما اثبتناه.

٢٩١) وردت في الاصل (للرحمة) والصحيح ما اثبتناه.

من الشق عن الحجارة فقط لكن في امثاله كقدح العين وبزل الماء ونظايرهما من اعمال اليد التي لها قوم قد تفردوا بها لئلا تدخل نفسك فيما ليس من عملك فتُهلك المرضىٰ وتهلك. ولا ينبغي للطبيب انْ يعالج مريضاً لم يتحقق عنده مرضه لئلا يوقعه في مرض آخر ولعله ان يكون اعظم من الأول فتحتاج ان يعالج من العلاج. ولا ينبغي للطبيب ان يسقي دواءً مسهلاً الا بعد حذر وتوق(٢٩١ب) فان وجب عنده اعطاؤه فيجب ان يستجيده ويقوم علىٰ اصلاحه ويختار له الزمان والوقت فان الصيف والشتاء يكرهان للاستفراغ وخاصة وسطيهما وكذلك وسطي النهار والليل. ولا ينفع الطبيب مدح الأشرار واهل الخدع له فلذلك لا ينبغي له ان يسّر بذلك لانهم مخادعون بحمدهم ومحتالون لاستعباده واستقراض رجله بشكرهم. ولا ينبغي للطبيب ان يحفل بذم ذام له علىٰ صواب أتاه وينته عن الصواب ولو ناله مكروه(٢٩٢) ولا يلتفت الىٰ قول يسمعه من المريض لايرضيه فان كثيراً من الامراض تفسد التخيل والتمييز بل ينبغي له ان يعمل مايجب ويتبع في ذلك قول بقراط حين قال: اذا فعلت ماينبغي ولم يكن ماينبغي فانت عن فعل ماينبغي لاتقلع مادام الأمر كذلك، ولنكتف بما قلناه في هذا الباب من هذه الجمل والتذاكير مع ماتقدم ولنتبع ذلك بما جانسه من الوصايا التي يلزم الطبيب ان يتقدم بها الىٰ خدم المريض.

٢٩١ب) وردت في الاصل (توقي) والصحيح ما اثبتناه.

٢٩٢) وردت في الاصل (مكروهاً) والصحيح ما اثبتناه.

فيما يجب علىٰ الطبيب ان يوصي به خدم المريض

واذا كانت الضرورة تدعو في معالجة المرضىٰ الىٰ من يخدمهم لعجزهم في خدمة نفوسهم ولان الطبيب لايمكنه خدمتهم علىٰ الكمال فقد يجب ان يكون لهم من يقوم بمصالحهم الموافقة لعلاج الطبيب وتدبيره للمريض ، ولان خادم المريض لايمكنه علم ذلك الامر الا من الطبيب فلذلك يجب على الطبيب ان يتقدم الى الخادم بما يحتاج اليه وقت بوقت. ويجب ايضاً علىٰ الطبيب ان يفتقد علىٰ الخادم حسن طاعته له وهل يعي في عقله وبطشه بالقيام بما يؤمر به فانه ليس كل عاقل يصلح لكل عمل ولا كل من يجيد اعمال المريض يصلح لخدمته، وذلك ان الخادم يحتاج ان يكون عاقلاً أديباً شغفاً له دربة وبطش بالأعمال الموافقة للمريض ويحتاج ان يكون له هيبة علىٰ المريض ومتىٰ لم تكن هذه اوصافه دخل الضرر علىٰ المريض في نفسه وعلىٰ الطبيب في صناعته من المرضىٰ. واما مايدخل من الضرر من جهة رداءة الأمانة والدين فهو عظيم ايضاً لان القليل الأمانة من الخدم قد يدعوه شرهه ورغبته الىٰ هلاك المريض. أما بما يبذله له المريض[٢٩٣] نفسه ليبلغ شهوته او بما يبذله له اعداؤه وكذلك ايضاً متىٰ لم يكن الخادم للمريض شفقاً عليه لم يؤمن منه التهاون بخدمته وبغير شك ان من لم تكن له دربة بالأعمال التي يحتاج اليها المريض كان في ذلك عليه اعظم ضرر كالذي رأيته من جهل خادم تولىٰ اصلاح ماء الشعير لمريض كنت أشرت عليه بأخذه وكان المريض من اهل الأدب فوثقت بعقله ودربته فأمر خادمه باصلاح ماء الشعير وأخذ منه

٢٩٣ وردت في الاصل (للمريض) والصحيح ما اثبتناه.

ماأخذه فلما كان بعد اربع ساعات واتاني رسوله مذعوراً فوافيته وهو في كرب فسألت عن السبب في ذلك فقال لم أجد غير ماء الشعير فحدست على البليّة جاءت من اصلاحه فقلت ان كان تبقىٰ منه شيئاً فهاتموه فجاؤوني بشيءٍ جامد ابيض يشبه النشأ المطبوخ اذا برد فسألته كم شربت من هذا فقال رطلين بالبغدادي فبادرت وقذّفته فرمىٰ به وقد بدأ يفسد فخرج عنه وكانت الخيانة الأولىٰ منه جهل خادمه بصنعته والثانية كثرة ماأخذ منه. ولان من المرضىٰ من لايمكنهم تعريف الطبيب مايجدونه اما لأجل المرض في نفسه كأصحاب السكتة والبرسام ونظايرهم، او لان المريض طفل لايعقل او أعجمي او أخرس. وامثال هذه الموانع، فلذلك يحتاج الطبيب الىٰ معرفة حالات هؤلاء ممن يخدمهم ولايتم ذلك لخدمهم الا بما يوصيهم وينبههم عليه الطبيب من تفقد الحالات والعلامات التي يحتاج اليها ومتىٰ لم يمكن الطبيب ان يتولىٰ اصلاح دواء المريض او يصلح لحضرته فيجب عليه ان يوصي المتولي لخدمته بعد علمه بفهمه كيف يصلح دواءه[٢٩٤] وغذاءه ومقدار كل واحد منهما وزمانه وغير ذلك من ساير تدابيره ولأن منزل المريض ربما كان غير موافق له لمجاورته بما يؤذيه من روائح او اصوات او غير ذلك من المضرات به فيجب علىٰ الطبيب ان يأمر بنقله من ذلك المنزل الىٰ الأوفق له ويجب ان يحذر المواضع التي تحتقن فيها الأهوية والبخارات الرديّة كسفل الدور التي لاتخترقها الرياح ولا ينقي هواها فان ذلك مفسد جداً وليختر له من البيوت الرياح الموافقة له ويأمر ايضاً باصلاح هوائه المحيط به بما يوافقه من البخور والزهور والرياحين بحسب مايوحيه مرضه والوقت مع جميع ذلك يجب الا يترك حول المريض ولا بقربه متىٰ مايبرز من جسمه كبراز او نفث وخاصة ماله رائحة كريهة فان ذلك يضرّ به في مرضه ويمرض خدمه ويجب علىٰ خادم المريض الا يخبره بما يغمه ولا بما يحزنه ولا يُسمعه ولا يوريه مايكرهه وبالجملة فان جميع مايعمل مع المريض مالايوافق عمل الطبيب فهو يفسد عليه علاجه فيجب ان نحذر من ذلك كما حذر منه وتقدم بالقول فيه الجليل بقراط في الفصل المقدم ذكره وهو قوله وقد ينبغي لك الا تقتصر علىٰ توخي فعل ماينبغي دون ان يكون المريض ومن يحضره كذلك والاشياء التي من خارج، فقد جمع هذا الفصل جمل مابسطناه ومالعله قد بقي مما لم نذكره فتدبره وقس بجميع ماشرحناه مالم نشرحه لتصل بذلك الىٰ الغرض بعون الله تعالىٰ.

---

٢٩٤) وردت في الاصل (دوامة) والصحيح ما اثبتناه.

في آداب عوّاد المريض

ولان حالات المرض مختلفة حسب الامراض وذلك ان من الأمراض مايذهب معها تمييز المرض كالوسواس والسكتة وماجانسها فلذك ينبغي الا يعادها ولا بل يسأل عن حالاتهم فقط. ومن الأمراض امراض تقلق المريض ولايمكنه معها كلام الناس لاستحيائها له الىٰ ماتدفعه الطبيعة بتواتر او بتغير روائح فلذلك يجب ألا يعاد هؤلاء ايضاً لئلا يلحقهم المكروه والأذىٰ بصبرهم علىٰ مايحركهم علىٰ الخروج من براز وقذف وغير ذلك ولمثل ذلك لاينبغي ان يعاد من سقي دواء مسهلاً ولا من عرض له اسهال المرض في يوم شربه للدواء. ومن الامراض امراض حادة سريعة التنقل والتغير تحتاج الىٰ مبادرة في التدابير من الطبيب ومن خدم المريض فيجب ان يتقدم الطبيب ايضاً الىٰ اهل المريض الا يدعو عايداً ولا احداً يدخل اليه الا بمن يخدمه فقط ليوفر ماخدمه علىٰ خدمته ولايشغل زمان التدبير بما لاينفع المريض.

ومن الامراض ايضاً مايبعث المريض علىٰ قول مالايريده وايضاً علىٰ افعال لاتصلح كالذي يعرض لكثير من اصحاب السوداء ومن حدث بهم ضرر من الماليخوليا[٢٩٥] فلا وجه لعيادة هؤلاء فكم عايد قد خرقت ثيابه فضلاً عن الشتيمة. واذا كان امثال هؤلاء المرضىٰ لايجب ان يعادون فاذن يحتاج العايد بما سوىٰ هؤلاء من المرضىٰ ان يعلم اذا عاد مريضاً كيف ينبغي ان تكون عيادته فأوّل ذلك هو انه يجب ان لايطيل عند المريض الجلوس

٢٩٥) المالينخوليا ـ مرض نفسي يتخيل من يصاب به انه مطارد، فيقدم علىٰ الانتحار او قتل غريمه واول من كتب في هذا المرض من الاطباء والعرب هو يوحنا بن ماسويه، وربما كان احسن من كتب فيه هو اسحاق بن عمران البغدادي ـ القيرواني (ابن ابي اصيبعة ص٢٥٥، ٤٧٩).

ولايدخل اليه الا بثوب نقي ورائحة طيبة لتقوىٰ بذلك نفسه وتحركه وتسوقه الىٰ التشبه به ولاينبغي لاهل الصنائع الرديئة ان يعودوا المرضىٰ لئلا يضروهم بروائحهم ويفسدوا عليهم الهواء كبائع الكبريت والقطران ودّباغ وقصّاب وغيرهما ولا ممن تعلق بهم الروائح الرديّة فالأنفع للمريض الا يعوده هؤلاء وامثالهم وقال جالينوس في تفسيره لقول بقراط وابيديميا ومانظر اليه يعني ماينظر اليه المرضىٰ انه ينبغي ان يطيل اللّبث عند المريض من عوّاده أصدقهم اليه واقربهم الىٰ قلبه فأما غيرهم فالتدبير فيهم أحد أمرين اما ان لايدخلوا اليه أصلاً او ان لايراهم طويلاً وينبغي للطبيب اذا دخل الىٰ المريض من يستثقله ان يلبث قليلاً ثم يقول انه ينبغي للمريض ان يهدأ ليقوم من عنده فان ذلك يحدث في فكره لذّة وفي حين بصره قد يلتذ برؤية اشياء دون اشياء من الوان وأشكال وزهر ونبات وأصناف النبات والصناعات والصور مالايلتذ رؤيته او يكرهها غيره فقد ينبغي للطبيب ان يسأل أهل بيت المريض عن الاشياء التي كان يلتذها فيأمر بادخالها عليه الىٰ البيت الذي فيه المريض ولا يُخبره بما يُغمه من خبر تجارة خسرت له فيها سبب ولايذكر بحضرته ذكر ميّت ولاخبر ردئ لمريض آخر ولا ينبغي للعايد ان يستخبر عن مرضه استخبار متقص[٢٩٥ب] فان ذلك لاينفع المريض من العايد الا ان يكون طبيباً ولاينبغي له ايضاً ان يشير عليه بدواء ولابغذاء قد كان نفعه او سمع بانه نافع فان ذلك ربما حمل المريض بجهله او لشدة مابه ان يستعمله فيضر به ويفسد علىٰ الطبيب عمله وربما كان ذلك سبباً لهلاك المريض. ولاينبغي للعايد ان يعارض الطبيب بحضرة المريض متىٰ لم يكن من اهل العلم فيوقع له الشك فيما وصفه الطبيب كالذي رأيته من بعض المشايخ وذوي النبل عند نفوسهم وقد حضر عند مريض كنت أدبره فبدأ يسأل المريض عن حالاته وحال دوائه وغذائه في امس يومه الذي كنا فيه ثم حضرت قارورته فتكلم وانا في جميع ذلك ساكن ليحس بسوء أدبه فما انتبه لذلك بل وصف دواء فلما فرغ من صفته قمت منصرفاً فقال لي المريض تقوم وماوصفت لي شئ ولا سمعت منك يومي هذا كلمة قلت صدقت وكذا يجب، قال ولم، قلت اولاً فلأن هذا الشيخ قد ناب عني ومابقي لي شئ اقوله. والثانية لانك قد قنعت بذلك وأصغيت اليه فلا وجه لكلامي. أما الشيخ فانه خجل وماعاد الىٰ مثل ذلك، وكذلك المريض اعتذر فتأدبا جميعاً بذلك. وجميع من كان بالحضرة ومن سمع ايضاً وانما أحضرت ذلك هاهنا ليتشبه به ويتأدب من لم يكن يعلم ذلك فلنكتفِ بما ذكرنا في هذا الباب.

٢٩٥ب) وردت في الاصل (متقصي) والصحيح ما اثبتناه.

الباب السادس

فيما ينبغي للطبيب ان ينظر فيه من أمر الأدوية المفردة والمركبة وفسادها

ولان الأدوية أعظم الأسباب في شفاء الامراض فلذلك يلزم الطبيب العناية بمعرفتها اولاً ثم الجيد منها والرديئ. والأدوية علىٰ ضربين منها مفردة ومنها مركبة فلذلك تكون الاسباب الجالبة الفساد علىٰ الادوية المركبة هي اكثر من الاسباب التي فيها يدخل الفساد علىٰ الأدوية المفردة وذلك من جهة (انها) الخطأ في التركيب وقلة الحذق بصنعة التأليف والتركيب والمزاج والخلط. فاصغ لما أذكره ايها الطبيب فانك مضطر الىٰ علمه. وقال فأول مايجب ان يعلمه الطبيب ويعنىٰ بالخدمة فيه أمر الأدوية المفردة ولايتم له ولايصح بقراءته ومعرفة ذلك من كتب لكن بخدمته للأستاذين من أصحاب الأدوية وحافظيها وخزنتها. والأدوية المفردة علىٰ كثرة أصنافها يدخل عليها الفساد من وجهين أحدهما فيما يخص جواهرها والآخر فيما يخص اعراضها. فأما الفساد الداخل علىٰ جواهرها فهو اجتنائها وماقطع من الحشائش والاشجار واستخرج من البذور وقلع من الأصول[٢٩٦] والصموغ واشباه ذلك قبل كماله الطبيعي. ومأخذ كذلك من الثمار كان فجاً ومن البذور كان كثير الرطوبة ضعيفاً فلذلك يجب ان لاتختزن منها شيئاً قبل ان تحكمه الطبيعة وتتمم نضجه. وماقلناه من ذلك هو بيّن لمن تأمل الفواكه والحبوب والبقول فان الناس دائماً ينتظرون بها للبلوغ الىٰ كمال نضجها لقلة الانتفاع بها قبل النضج فعلىٰ الطبيب ان يعرف أزمنة ذلك.

٢٩٦) اصول الشجر: جذورها

وكذلك ايضاً يجب الأيدع الأدوية بعد نضجها الىٰ ان تأخذ في الفساد فيجري أمرها مجرىٰ ماانضج من الثمار فلم يقطف فتعمل الحرارة الفاضلة فساداً فهذا هو الفساد الداخل علىٰ جواهر الأدوية وامثاله، فأما الأعراض التي تلحقها بعد ذلك فهي من جهة خُزّانها وقلة علمهم بذلك او تهاونهم بحفظها وذلك كالذي يعرض لها من العفن اذا خزنت ندية فكبس بعضها بعضاً وكذلك يعرض لها من المواضع التي تخزن فيها اذا كانت المواضع ندية كسفل الدور وخاصة اذا لم تكن الأهوية تخترقها والشمس تطلع عليها فلذلك يجب ان تجفف اولاً في الظل لان الشمس تضعف قواها والدليل علىٰ ذلك نقصان ألوانها وروايحها وبعد جفافها تخزن في المواضع المعتدلة الأهوية وكذلك ينبغي ان تحفظ الأدوية الأرضية كالأطيان والاحجار والأملاح والزاجات والعصارات فان المواضع الندية تحيل هذه وتفسدها كما قلنا قبل. ويجب ايضاً علىٰ الطبيب ان يحذر من الادوية ماعتق وطال مكثه لان قوىٰ هذه تضعف وافعالها تنقص وكثير منها يفسد فيفعل الفساد لهرمها ومنها مايسرع اليه الفساد لمافيه من الدهنية ولذلك تريح وتتغير باليسير من الندىٰ كبزر الخشخاش(٢٩٦ب) وبزر الكتان(٢٩٧) والفجل(٢٩٨) واشباه هذه. ويجب ان يحذر خزن دوائين او اكثر في اناء واحد لأن احدهما يغير الآخر والأقوىٰ يفسد الأضعف ويدّل علىٰ ذلك اكتساب احدهما من الآخر روايحه وطعمه ولذلك لاينبغي ان يجعل دواء في إناء قد كان فيه آخر الابعد نقائه من الأول فهذه الأشياء واشباهها تفسد الأدوية بتقصير خُزّانها وتوانيهم فتفسد بغير قصد منهم لفسادها فيكون الضرر الداخل علىٰ المريض في علاجه وعلىٰ الطبيب في عمله عظيماً لايُستقال فلذلك يجب علىٰ الطبيب ان يتيقظ لذلك ولايعول اذا وصف دواء علىٰ ان يأخذه من الصيدناني من أتفق ممن يخدم المريض بل يجب علىٰ الطبيب ان ينظر اليه قبل استعماله. واما مايجري من فساد الأدوية بتعمد وقصد فهو اعظم ضرراً مما يجري بغير قصد وذلك ان من الصيادنة القليلي الأمانة ممن يخلط الدواء العزيز الثمن دواء يشبهه قليل الثمن كالذين يغشون الأفيون بدقيق

٢٩٦ب) الخشخاش ـ نبت ينفع طبيخه من عرق النسا، والسعال ونفث الدم، ويقطع الاسهال، والحقنة بطبيخه تنفع للدسانطريا (ابن هبل ج٢/ ص٢٠١).

٢٩٧) بزر الكتان ـ منضج للاورام، يعقل البطن، والجلوس في ابخرته نافع من قروح الامعاء، ودخانه من الزكام (ابن هبل ج٢/ ص٤٦).

٢٩٨) الفجل ـ محل للارياح، وورقه يحد البصر وترياق من اكل الفطر، ومجشئ (ابن هيل ج٢/ ١٦٢)

الشعير وعصارة الخس والمحمودة بالعنزروت[٢٩٩] والزنجار بالملح والكافور بالرخام وبالأرز واشباه ذلك كثير. ومنهم من يستحل ان يعطي بدل الدواء دواء يشبهه في المنظر وان ضاده في الفعل فيقتلون المرضىٰ كالذي أعطى ممن دق ورق الدفلىٰ لانسان طلب منه شيئاً فقتل مريضه وللدهماء القليلي الدين منهم حيل في عمل ادوية تشبه ادوية بضروب من الحيل والتركيب لاأحصيها ولايصلح ذكر مايعرفه منها لئلا يتعلمه الأشرار. ولقد جاءني بعضهم بطباشير[٣٠٠] عرضه علي وقد كان باع منه لجماعة من الصيادنة فتأملته وشككت فيه فلما ذقته وجدته معمولاً من الشب وعرفت بالحيلة فيه فتكلمت به ومنعته من بيعه وانذرت من أشترىٰ بالقصة. ومن هذا النوع من يعمل القرنفل والزعفران والمسك[٣٠١] واشباه هذه من اصناف العطر فاذا استعمله الطبيب علىٰ سبيل الدواء دخل علىٰ المريض منه الضرر مالا يدخل مثله من جهة العطر ولذلك لاينبغي لطبيب لم يكن خدم في الصيدنة بين يدي حذاقهم ومشايخهم ان يتولىٰ شراء دواء من صيدلاني او عطار ولا يعالج به مريضاً فكم من صيدناني قد طمع في اطباء فدفع اليهم بدل دواء دواء آخر ولم يعلم ذلك الطبيب كما رأيت منهم من دفع الىٰ طبيب بدل كمون كرماني بزورخس وحب البان بدل الفلفل الأبيض[٣٠٢] فلم يعلم الطبيب بذلك وبينهما تضاد عظيم في القوة والفعل وكذلك رأيت من أعطىٰ ميو يزج[٣٠٣] بدل قطرا ساليون[٣٠٤].

واما اعطاؤهم العصارات والصموغ بعضها بدل بعض فكثير لاتحصىٰ لما بينها من التشابه فكم من مريض قد هلك فيما بين عمىٰ الطبيب وقلة دين الصيدلاني فهذا وأمثاله يجري من أمر الأدوية المفردة فيجب علىٰ الطبيب الأحتراز من انواع فسادها واما فساد

---

٢٩٩) العنزوت (الانزروت) ـ صمغ ملصق للجراحات وينقي القروح ويدملها وشربه يسهل البلغم وينفع من وجع الورك والمفاصل (ابن هبل ج٢/ ص٢٣)

٣٠٠) الطباشير ـ هو اصل (جذور) القصب حين يتخلل عند نشره، ينفع من القلاع ويقوي القلب، كما ينفع من الحميات (ابن هبل ج٢/ ١٠٢)

٣٠١) المسك ـ هو المادة الدموية في سرة نوع من الظباء تعرف بظباء المسك، وهو من الادوية المقوية (ابن البيطار ج١/ ص١٥٥).

٣٠٢) الفلفل ـ مضغه يفيد السعال ونفخ البطن، وامساك البطن، وآلام الامعاء (ابن البيطار ج٣/ ص١٦٧.)

٣٠٣) ميويزج ـ نبت له خاصية سامة ويسميه ابن البيطار زبيب الجبل (ابن سينا ج٣/ ج٢٢٥).

٣٠٤) قطرساليون ـ لم اجد تعريفاً بهذه المادة

الادوية المركبة فأكثر وأعظم لأن اصناف تراكيب الأدوية كثيرة جداً ولكل نوع من التركيب غرضاً قصد نحوه وبه يقع النفع فان تغير عن صورته ونوعه بقصد او باتفاق دخل الضرر منه بحسب خروجه عن الغرض من ذلك ان ماعمل من الحبوب المسهلة معجوناً بعسل او بغيره من الحلاوة فقد أفسد وصار يضر ضرراً عظيماً لان بالحبوب ركبت حبوب[٣٠٥] معجونه بمياه فقط ليمكن جفافها وعملت حباً لتبقىٰ في المعدة فتجذب اليها بقواها الاخلاط ولاتتخذ وهي حارة الىٰ الاعضاء فتنهكها ولهذه العلة لم يخلط بها شيء[٣٠٦] من الحلاوة لان الاعضاء لميلها واستلذاذها للحلاوة تجذبها اليها فتجذب معها الأدوية الحارة التي تقع في هذه الحبوب. وهذه الحبوب هي حب الاسطمنحون[٣٠٧] وحب القوقايا[٣٠٨] وحب المفاصل[٣٠٩] وماجانس هذه مما يقع فيه المحمودة وشحم الحنظل[٣١٠] والشبرم وماسوىٰ هذه الادوية المسهلة الحارة من التغير لصور أدوية مركبة ايضاً الداخل منه الضرر العظيم ماعمل من الحبوب المسهلة حباً صغاراً كصغار الفلفل لينحل بسهولة وتنقىٰ منه المعدة والأحشاء بسرعة فان جهل الطبيب علم هذه العلة فعمله حباً كباراً طال مكثه ولم ينحل بسرعة وحل فوق مقدار الحاجة وربما أفسد بجذبه الاعضاء التي يطول مكثه فيها. وبضد ذلك ما عمل من الحبوب التي أمر الأطباء بعملها كباراً كالحمص ليطول مكثها ولتبقىٰ فتصل قواها الىٰ الدماغ التي قصد لتنقيته بها وهذه هي حب الشنبار وحب الذهب والأيارج[٣١٢] فان الذي لايعلم لم عملت كذلك متىٰ عملها صغاراً لم تبلغ له ما اراده وقصرت عن عملها. وكذلك مجرىٰ الأمر فيما عمل من الأدوية ناعماً وقد أمر الأطباء بعمله جريشاً في السفوفات والجوارشنات فان جالينوس يذكر انه اشار علىٰ انسان يشكو وجعاً مابجوارشن[٣١٣] الكمون

---

٣٠٥) وردت في الاصل (حبوباً) والصحيح ما اثبتناه.

٣٠٦) وردت في الاصل ((شيئاً) والصحيح ما اثبتناه.

٣٠٧) الاسطمخون ـ لم اجد تعريفاً بهذه المادة.

٣٠٨) حب القوقايا ـ لم اجد تعريفاً بهذه المادة.

٣٠٩) حب المفاصل ـ لم اجد تعريفاً بهذه المادة.

٣١٠) شحم الحنظل ـ نبت صحراوي زاحف، مسهل قوي للبلغم، نافع من امراض المفاصل والقولنج والطين والربو والاستسقاء (ابن هيل ج٢/ ص٨٦)

٣١١) شبرم ـ عشبة نافعة من القولنج والاستقاء (ابن البيطار ج٣/ ص٥١).

٣١٢) الايارج ـ ادوية مركبة مسهلة.

٣١٣) الجوارشنات ـ ادوية مركبة تفيد لاضطراب المعدة، وتعديل الهضم منها الجوارشن الكموني وجوارشن السفرجل.

فعاد اليه وذكر انه قد عمله هو لنفسه على النسخة التي رسمها له جالينوس وانه زاده وجعاً. قال جالينوس فوجدت الفساد من جهة إصلاح الدواء في دقه لانه جعل دقّه ناعماً ثم عجنه فأمرته ان يعيد عمل النسخة بعينها وينخلها بمنخل واسع لينحدر جريشها ثم يعجنه ويأخذ منه مارسمته له فلما فعل ذلك ووجد نفعه جاءني فعجب من ذلك فأخبرته بالسبب وانه من جهة الاصلاح والتركيب. فهذا وامثاله من تغير صورالادوية المركبة كلها تجري هذا المجرى من الفساد واما الضرر من جهة مواد الأدوية المركبة فهو ماأقول. أقول ان الفساد الداخل على الأدوية المركبة من جهة موادها اعني الأدوية المفردة التي عنها يكون التركيب يدخل عليها من عدة أوجه احدها ان تبدل الأدوية وتغير جواهرها كالذي رأيناه من قوم يجعلون من الطريفل[٣١٤] بدل الهليلج[٣١٥] الكابلي أصفر لرخصه وبين جوهريهما وفعليهما فرق عظيم واعظم من ذلك من لم يقنع بالأصفر حتى جعل بدل الأصغر قشور رمان وحسبك بهذا شر وفساد.

والوجه الثاني من الفساد هو اسقاط دواء او اكثر من دواء من الدواء المركب لغلائه او لقلة وجوده ولعل ذلك الدواء الذي اسقطه بشره وجهله هو عمدة الدواء وهو لايعلم. والوجه الثالث هو الزيادة في الدواء مالم يذكر فيه ظناً من المركب له انه يزيده نفعاً بذلك او قصد للزيادة في كميته وان قصد ايضاً ان يبدل الأدوية ويزيد أدوية وينقص أُخر كان اعظم للآفة وأقوى للفساد. والوجه الرابع من الفساد هو الداخل من جهة كمية الأدوية المفردة في الوزن وذلك كالأيارج الفيقرا فان كمية ادويته من جهة عددها تسعة ومن جهة وزن كل دواء من هذه التسعة هو ان يكون ثمنيه منها بالسوي في الوزن والصبر بوزن الثمانية الأدوية الباقية فيكون للدواء المركب صنفين من الكمية متى خرجا من مقاديرهما فسد الدواء والدواء المركب ايضاً من جهة الزمان نوع[٣١٦] آخر من الكمية يلزم للطبيب النظر فيه وهو مدته وزمانه فان من الأدوية المركبة مالايصلح استعماله دون بلوغها ونضجها وذلك

---

٣١٤) طريفل - لم اجد تعريفاً بهذه المادة

٣١٥) هليلج - او إهليلج، اجوده الكابلي وينفع من الحميات المزمنة والخفقان ووجع الطحال واسهال المرة السوداء (ابن هبل ج٢/ ص٦٧)

٣١٦) وردت في الاصل (نوعاً) والصحيح ما اثبتناه.

(كالاقلوبية)[٣١٧] مثلاً فان القدماء وخاصة (أول)[٣١٨] مركبها يأمرون بتركيبها ستة اشهر ودفنها في الشعير على ماذكر قوم ثم حينئذ تستعمل. ومنها ماله زمان تكون قوته فيه مبقاة عليه فان جاوز ذلك الزمان ضعف فعله وقصر عمله وكان كالشيخ وان افرط في البعد عن ذلك الزمان ماتت قوته وبطلت وذلك كالدرواق[٣١٩] فانه ان جازثلاثين سنة ضعف فعله وكلما بعد عنها كان اضعف لفعله الى ان يعطل. وكذلك يجب ان ينظر الطبيب في الفروق بين التركيب فان ماعجن من الادوية بالعسل كانت مدته وعمره اطول لان العسل يحفظ قوى الأدوية ويعين الأدوية بايصاله لها وانضاجه وحلاه مالايوجد ذلك في ادوية أُخر من الأدوية الحافظة وهذه الحافظة هي العسل والخل والملح والثلج ايضاً يحفظ ما يجعل فيه فأما ماعجن من الأدوية بالمياه كالحبوب والأقراص فان أعمارها قصيرة لان قواهـا وافعالها تضعف سريعاً فلذلك يجب ان يفتقد الطبيب امثال هذه الأشياء من النظر في أمر الأدوية ومع ما ينظر في أمر الأدوية وجواهرها وكمياتها وكيفياتها وازمانها كما قدمنا فعليه ان ينظر ايضاً الى من هي منسوبة في عملها فان من صناع الأدوية من هو مشهور بالثقة والأمانة، واعظم. نظراً للطبيب بعد جميع ماقدمنا ذكره من أمر الأدوية المفردة والمركبة هو بحثه عن افعال الأدوية فان افعال الدواء الواحد قد تكون كثيرة وذلك بحسب ماقد اجتمع فيه من القوى وذلك كالصبر مثلاً الذي يفعل الانضاج والجلي والتقوية والاسهال وذلك بما فيه من القوى التي بها يفعل كل واحد من هذه الأفعال. واذا كان الدواء المفرد له افعال كثيرة لما جعلت الطبيعة فيه من القوى التي بها يفعل كل واحد من هذه الأفعال واذا كان الدواء المفرد له افعال كثيرة لما جعلت الطبيعة فيه من القوى بحسب ماله من جهة مزاجه فأحرى وأجدر ان تكون افعال الأدوية المركبة اكثر بكثير لما قد اجتمع فيها من الأدوية المفردة ذوات القوى الكثيرة. وبغير شك ان الدواء المركب انما سميّ مركباً لفعلنا فيه التركيب بالصنعة من الادوية المفردة التي لم تكن لنا نحن فيها تركيب فليس يشك في ان الأدوية المفردة مركبة

---

٣١٧) الاقلوبية ـ لم اقف على ماهية هذه المادة.

٣١٨) وردت في الاصل (اولا) والصحيح ما اثبتناه.

٣١٩) الدرواق ـ والاصح درياق، وهودواء مركب من ادوية كثيرة، وله انواع منها الدرياق الكبير (الفاروقي) والدرياق الخمسيني، ودرياق الملح وغيرها، وفي كثير منها لحم الافعى، واول من ركبها اندروماخوس اليوناني. وتستعمل مضادة للسموم.

ايضاً ولكن تركيبها هو من فعل الطبيعة ومع نظر الطبيب من امر الأدوية وأمر باعتها وخزّانها ماقدمناه فان علىٰ الطبيب ان يحذر الصيدناني من اعطاء النساء أدوية تسقط الأجنة وتدر الحيض مهما لم يأمره الطبيب بذلك وينبغي للصيدناني ان يحذر اعطاء السمائم لأحد غير الطبيب الثقة ايضاً كالذراريخ [٣١٩ب] والأفيون والأفربيون[٣٢٠] والسقمونيا[٣٢١] ولبن الشبرم، وماشاكل هذه . وفيما ذكرناه في هذا الباب كفايه لمن اهتدىٰ وقصد العدل .

٣١٩ب) الذراريح ـ حشرات شبيهة بالخنفساء، لونها احمر، والمسحوق منها سام مميت (ابن سينا ج٢/ ٢٣١ ادوارد غالب ج٣/ ص٤٣٢).

٣٢٠) فربيون ـ مادة سامة وتوصف بمقدار لحالات القولنج واوجاع الظهر وعرق النسا والفالج والخدر (ابن هبل ج٢/ ص١٦٠).

٣٢١) سقمونيا ـ وهي المحمودة، عصارة نبت تسهل الصفراء بقوة، وزيادتها قاتلة، وطلاؤها نافع من وجع المفاصل، ومع العسل ضماداً للجراحات (ابن هبل ج٢/ ص١٣٩).

الباب السابع

فيما ينبغي للطبيب ان يسأل عنه المريض وغيـره ممن يتولىٰ خدمته

وينبغي للطبيب ان يكون ماهراً بالعلامات والأدلة التي بها يستـدل علىٰ حـالات الأصحاء اذا كان قد تقدم بعلم علامات الصحة فهو عليه أسهل من إستدلاله علىٰ حالات كثيرة من المرضىٰ اذ كان كثير من المرضىٰ يحول بينهم وبين إخبار الطبيب بما يجدونه أصناف من الموانع غير ان هذه الموانع وان كثرت تنضم الىٰ جنسين احدهما جهل المريض بما يسائله عنه الطبيب والآخر بما يعوقه عن الجواب. ولأن من العلامات ماهي مدركة حساً ومنها معلومة إستدلالاًوكان الاستدلال خاص بالطبيب . ومعرفة مايدركه الحس من علامات الامراض وأعراضها مشتركاً عاماً للطبيب والمريض فكان الطبيب مضطراً الىٰ بعض هذه الاسباب والاعراض في تعرفه الأمراض من المريض او من خدمه وجب لذلك ان يكون الطبيب قد تقدم فعلم اجناس العلامات والأسباب والأمراض وبالجملة اجناس سـاير حالات الأبدان وأنواعها وفصولها ليعلم بكل واحدة من حواسه مالتلك الحاسة من هذه الأمور ولا يسأل المريض عما هو بيِّن ظاهر لحسه لأن ذلك من الطبيب[٣٢٢] عجز وجهل[٣٢٣] وليستعمل مايخصه من طرق الاستدلال والقياس فيعلم بذلك مالايمكنه علمه من جهة المريض واما مالم يكن للحواس ظاهر[٣٢٤] ولابينّ[٣٢٥] والحاجة اليه ماسة في اعمال الطب

٣٢٢) وردت في الاصل (عجزاً) والصحيح ما اثبتناه.

٣٢٣) وردت في الاصل (جهلًا) والصحيح ما اثبتناه.

٣٢٤) وردت في الاصل (ظاهراً) والصحيح ما اثبتناه.

٣٢٥) وردت في الاصل (بيناً) والصحيح ما اثبتناه.

لضرورة تدعو الطبيب الىٰ تعرفه بمساءلة[٣٢٦] المريض عنه او من يخدم المريض.

ومثال ذلك ان طبيباً دخل الىٰ المريض فوجده يسعل ونفسه عليه ضيقاً وحس شريانه فدلّ علىٰ انه محموم[٣٢٧] وقد كان معلوماً عند الطبيب ان العلامات الخاصة بمرض ذات الجنب[٣٢٨] هي اربعة، هذه الثلاثة التي وجدها بهذا المريض والرابعة هي لحس يجده المريض في جنبه ولأن الحس ليس يظهر بالجس ولا يجوز له ان يقطع علىٰ وجوده من جهة العلامات الثلاثة المقدم ذكرها ان كان هذا عرض قد تعرض لغير ذات الجنب فلذلك وجب ضرورة ان يسأل الطبيب لذلك المريض هل يجد نخساً ام لا فان اجتمع وجود نخس الجنب مع السعال وضيق النفس والحمىٰ فقد صحّ ان المرض ذات الجنب فحينئذ ينبغي للطبيب ان يأخذ في البحث عن السبب المحدث لهذا المرض ليصح له اي شئ من انواع ذات الجنب هو وبعد ذلك يأخذ في علاجه. وهذا المسلك ينبغي للطبيب ان يسلك من تعرف ساير حالات الأبدان ليثق الأصحاء والمرضىٰ بتدبيره ويستسلمون في يديه وماذكرناه وان كان بيّناً فان قول الجليل بقراط يزيده بياناً. قال بقراط: أني أرىٰ انه من افضل الأمور ان يستعمل سابق النظر، فقوله سابق النظر يدخل تحت تقدمة المعرفة بجميع مايحتاج اليه الطبيب من اعمال الطب وبتقدمه معرفته بذلك يبين فضله وحذاقته ولأن تقدمة المعرفة تضم ثلاثة أصول وهي معرفة ماتقدم ومعرفة ماهو حاضر ومعرفة ماهو كائن فلذلك قال بقراط ايضاً في المقالة الاولىٰ من كتابه الذي عنونه بأبيذيميا هذا القول، قال: وينبغي ان يخبر بما تقدم ويعلم ماهو حاضر وينذر بما هو كائن. قال: وينبغي ان يدرس هذه الاشياء كما سيتبين ذلك في الباب الذي يصف فيه محنة الطبيب. وبعدما قدمته مما لابد للطبيب من علمه في استخراج علم الحالات فاني أتبع ذلك بتعريف الطبيب المداخل والمبدأالذي منه ينبغي ان يبدأ في تعرف الحالات وأجعل الكلام في تعرف حالات المرض ليكون أبين وانفع فأقول ان بعد معرفة الظاهر من العلامات والأعراض للحواس ينبغي للطبيب ان يجعل له مبدأ ثانياً وهو مايتشكاه المريض او مايذكره من يخدمه من شكاواه وأوجاعه او يتخذ ذلك أصلاً للمساءلة ومتىٰ لم يفعل ذلك بقي مدهوشاً متحيراً لانه لايدري عما يسأل عنه. ومثال

---

٣٢٦) وردت في الاصل (مسائلة) والصحيح ما اثبتناه.

٣٢٧) وردت في الاصل (محموماً) والصحيح ما اثبتناه.

٣٢٨) ذات الجنب ـ هو التهاب غلاف الرئة، والسعال اهم اعراضه.

ذلك طبيباً رأىٰ مريضاً به إسهالاً قوياً ولم يكن عنده علم بأسباب الاسهال فان منه ماينبغي ان يقطع ومنه مالاينبغي ان يقطع بل منه مايجب معاونة الطبع علىٰ دفعه فبغير شك ان ذلك الطبيب يبقىٰ حائراً دهشاً فأما إن كان حاذقاً فسينظر الىٰ لون البراز وقوامه ومايجده من روائحه فان وجده مثلاً أصفر استدل بأن صفراء قد اندفعت مع البراز فيحضر خاطره أسباب اندفاع الصفراء ويسمع من المريض او من خدمه مايقولونه من شكاوىٰ المريض فان وجدهم يذكرون اسباباً للاسهال غير تلك فيقولون مثلاً ان الذي أحدث الاسهال أكل اشياء حاره حريفة او ادمان شرب شراب حرف او ماشابه ذلك تعلق بما سمعه منهم مع ما وجده من لون البراز وغيره وجعل جميع ذلك مبدأ يبحث منه عن السبب فما بان لحسه لم يسأل عنه ومالم يبن لحواسه سأل عنه بعد ان يستعمل الاستدلال فإن سأل المريض هل هذا الاسهال البحران مثلاً ضحك منه وهزئ به فقس علىٰ ماذكرناه واجعله لك اصلاً وقانوناً تستدل منه وتستخرج علم ماتسائل عنه المريض والصحيح في تعرف حالاتهم وبغير شك ان من كان له ذكاء وفطنة سينتفع بما ذكرناه نفعاً عظيماً وذلك بما يحثه ويبعثه الىٰ تعلم طرق الاستدلال ومعرفة اصناف العلامات فيصير بذلك ماهراً بالمساءلة[329] للمرضى والتعرف لحالات الأبدان وكثيراً من حالات النفوس فقد اتضح اذاً نفع هذا المبدأ الثاني اعني ما يتشكاه وينطق به المريض من شكواه[330] وصار هذا المبدأ تابعاً للمبدأ الاول المقدم قبله وهو معرفة الطبيب لما تقع عليه حواسه وصارا متقدمين في المرتبة والطبع لما يريد ان يسأل عنه الطبيب للمريض اذ كانت المساءلة للمريض انما تجب بعد ان يشاهد حاله او يشتكي المريض حالة ما الىٰ الطبيب فحينئذ يأخذ الطبيب في تعرف تلك الحال ويبدأ بعلمها من جنسها ويقسم انواع ذلك الجنس بفصوله القاسمة للأنواع والمحدثة لها فيستدل من تلك الفصول والخواص الملازمة للانواع علىٰ صورها وبعد ذلك يأخذ في البحث عن اسبابها وعللها الموجبة لحدوثها ليتم له بذلك إزالتها وحسمها ومساءلة الطبيب للمريض هاهنا يقع الاضطرار اليها في مواضع كثيرة وذلك ان مالا يدركه حس الطبيب من الأسباب ولا أخبره به المريض ولانقل اليه خبره من خدم المريض او غيرهم من المخبرين الثقات فبغير شك انه هو يحتاج ان يسأل عنه المريض او لمن يخدمه ويقدر علىٰ الجواب. ومثال ذلك ان طبيباً

---

٣٢٩) وردت في الاصل (بالمسائلة) والصحيح ما اثبتناه.

٣٣٠) وردت في الاصل (شكلانه) والصحيح ما اثبتناه.

استدعي الىٰ مريض به اسهال فرأىٰ صورة المريض وتعرف من لون برازه انه عن صفراء مفرطة وكذلك استدل ايضاً من سنه ومن الزمان الحاضر ومن سحنة المريض وعمله علىٰ ان جميع هذه قد اوجبت كثرة الصفراء في بدنه اذ كان سنه سن الشباب والزمان زمان القيظ وسحنته تدل علىٰ ان مزاجه حار يابس وكان مع ذلك عمله بعض اعمال النار فقد صح للطبيب من جهة الحواس معرفة بعض اسباب المرض ولانه لم يشاهد هذا المرض قبل ذلك الوقت فبغير شك لابد له من مساءلة المريض او من يخدمه عن اشياء كثيرة لم يقدر عليها من جهة الحس منها معرفة زمان ابتداء المرض ليعلم من ذلك كم قد مضىٰ من الزمان منذ ابتدأ والىٰ ذلك الوقت فيعلم كم مقدار مانقصت وكم بقي بحسب قوة المرض وضعفه من الثبات ومنها ايضاً معرفة مقادير المجالس وتواترها وهل تختلف في الكثرة والقلة ليلاً او نهاراً ومنها معرفة بقية الاسباب التي يظهر له الحس من ذلك مساءلته عن اغذية ذلك المريض ماكانت وكم كان مقدارها واوقاتها وترتيبها وكذلك اشربته ومنها هل سقي دواء او كان له تدبير اوجب ذلك مما يعلمه المريض واشباه هذه الاشياء فاذا هو وجد الاسباب الموجبة لذلك الاسهال الصفراوي قد تشابهت صح عنده علم سبب المرض وايضاً فاذا كان المرض مثلاً حمىٰ غبّ قد اوجب كونها هذه الاسباب علىٰ ماقلناه قبل ووجد الاسهال قد حدث في وقت بحران المريض فقد اتضح له ان الاسهال هو لبحران ذلك المريض من مرضه . وقد يضطر الطبيب في اوقات الىٰ مساءلة من يخدم المريض لا الىٰ المريض، وذلك لأسباب تقطع المريض عن الجواب اما لانه قد أسكت او ناله غشىٰ او ماشاكل ذلك وايضاً فقد يحتاج الطبيب في اوقات الىٰ معرفة اشياء يضطر الىٰ معرفتها في علاج المريض من غير اهل المريض وذلك كطبيب غريب دخل الىٰ بلد لم يكن عنده معرفة بوضع ذلك البلد ولا بهوائه ولا بمياهه وأشباه هذه الأمور فدعي لعلاج مريض فبغير شك ان الضرورة تدعوه الىٰ تعرف هذه الأشياء من أطباء البلد واهل الخبرة بها اذ كان علمها لايصح ولا يمكنه الا بعد زمان طويل (وتقصي شافي) اذ كان من الامراض امراض بلديّة وامراض وافدة وامراض شخصية ومما يضطر الطبيب الىٰ مساءلة[٣٣١] من هم أبعد من اهل البلد في بعض الأحايين من اصابه في حرب بينهما مثلاً او من استأمن او غيرهم ممن يميز هل سهامهم مسمومه ام لافيعمل بحسب ذلك. فقد بان ان هذه المساءلة للمرضىٰ والأصحاء وامثالها واجبة ضرورية لنفعها في

---

٣٣١) وردت في الاصل (مسائلة) والصحيح ما اثبتناه.

حفظ الصحة و في علاج الأمراض، ولما كانت مسائل الطبيب لمن يتولىٰ تدبيره وعلاجه يجب ان تكون علىٰ ترتيب طبيعي لانها داخلة في جمل اجناس المسائل الأربعة التي بعضها يتقدم بعضاً بالطبع وهي هل الشئ موجود او غير موجود؟ ثم ماالشئ؟ ثم كيف حاله؟ ثم لِمَ هو، وبغير شك انه من قدم أحد هذه المسائل علىٰ ماقبله فقد جهل طريق المسائل وأفسد البحث. ومن ترتيب الطبيب المسائل يُعلم حذقه بما ذكرنا وتقدمه في صناعته، ولما كنا موفون علىٰ أفراد باب للقول في محنة الطبيب وكان هذا القول متعلقاً بذلك الباب وجب ألا نطيل هاهنا في الكلام في المسائل وكيف يتقدم بعضها بعضاً بالطبع خاصة وقد تقصينا الكلام في المسائل وانواعها وترتيبها في مقالة مفردة لذلك جعلتها مدخلاً الىٰ علم الجدل انت تعرف منها جميع ماتحتاج اليه من ذلك لكن نقطع هذا الباب هاهنا وبه نختم المقالة الاولىٰ ولله الحمد والمنة.

المقالة الثانية

والباب الثامن

فيما للاصحاء والمرضىٰ جميعاً يفتقده ويضمروه للطبيب في وقت الصحة ووقت المرض

اذا كانت أبدان اناس دائمة الاستحالة والتغير لامتزاجها من متضادات يغالب بعضها بعضاً. ولما طبعت عليه ايضاً من قبولها للتأثير من المؤثرات العلوية فلذلك هي محتاجة الىٰ تعديل مايفرط عليها من الزيادة والنقصان والىٰ مقابلة كل كيفية قوية بما ضادها ليعتدل بذلك المزاج الاعتدال الذي يخص كل مزاج ويتم لكل بدن ان يعمل اعماله الصحيحة التامة. وهذا التعديل وساير ماانظم اليه من اصلاح مافسد من نظم تركيب الأعضاء ومن ردّ ماخرج منها في كمية عظيمة او تغير شكله او موضعه عن حالته الطبيعية هو اعظم اصول الطب والعالم به وبما يتبعه هو الطبيب. وايضاً لما كانت الابدان الصحيحة هي التي يجب حفظها علىٰ صحتها ولا يتم للبدن حفظه علىٰ صحته الا بما شابهه ولا يقدر علىٰ ماشابه الجسم الا من عرف مزاجه ومقادير أخلاطه وصورة اعتداله الخاص به ومايخص عضواً عضواً* من المزاج والهيئة والتركيب فالاتصال والوضع المبني عليه ومعرفة النسب والمقادير التي بها يتم للشبه حفظ شبهه وذلك بأسره مع مايتبعه من لواحقه هي جملة اجزاء الطب والقيم بعلمها هو الطبيب وهو الذي يقدر بذلك علىٰ حفظ الصحة وعلىٰ اجتلابها اذا فقدت فبواجب اذن ان الاصحاء والمرضىٰ محتاجون الىٰ الطبيب في حال الصحة وحال المرض. وايضاً لما كانت ذات الانسان يجب ان تكون عنده أشرف املاكه واشرف مايملكه ويقتنيه لذاته هي الصحة والصحة لاتثبت وتحفظ الا بصناعة الطب وجب لذلك ان يكون

×) وردت في الاصل (عضو عضو) والصحيح ما اثبتناه.

مقتني صناعة الطب عن العقلاء الافاضل مؤثري الصلاح لذواتهم هوأشد الناس عندهم تقدماً وارفعهم منزلة واجلّهم قدراً وأصدقهم قولاً ولست أشير الىٰ من يتسمىٰ بالطب وهو عادم لمعناه اذ كانوا هؤلاء بالهوان أحق من الإكرام لاستحسانهم الكذب ورضاهم لنفوسهم بالمحال لكني أرىٰ ان الكرامة واجبة لمن عرف قدر ماوهبه الله جلّ وعزّ له من جزيل النعمة وعلّو القدر أعني ماتفضل به علىٰ نوع الانسان من علم صناعة الطب لعنايته ورحمته له. ولما من بهذه الصناعة علىٰ نوع الانسان ولم يكن جملة اشخاصه يصلحون لتعلمها خصّ به آحاداً افاضل، عقولهم صافية وقرائحهم حادة، محبون للخير رأوفون بأبناء نوعهم ذوي رحمة وعفة ولذلك وجب علىٰ من خصّه الله بهذه النعمة ان يدمن بشكره ويحسن عبادته يخلص له المحبة. وبغير شك ان أخيار الناس وأفاضلهم يوجبون علىٰ نفوسهم لهذه الطائفة من الأطباء الاكرام والاعظام. وان من ازرىٰ علىٰ هؤلاء ووضع منهم وجحدهم حقوقهم فقد جحد نعم الله وأحلّ منّته واستخف بإحسانه ولم يشك عاقل[1] في ان فاعل ذلك بنفسه استخف وعلىٰ جمله يأس[2] ومن اول دليل علىٰ جملة مانراه عن المريض كيف لايلتفت الىٰ والد ولا الىٰ ولد ولايرجو الصلاح من صديق ولا حميم لكنه يستغيث بالله وبالطبيب فاذا خلص من مرضه نسيّ الطبيب واستهان بحقه وليس ذلك فعل من ينبغي ان يعد في عداد المذكورين بالعقل بل بالبهيمية فبهذا اشبه واوصافها به اولىٰ وكم من ناس قد بغضوا الأطباء وكرهوا قربهم فضلاً عن ان يحبوهم ويكرموهم لاجل منعهم لهم من شهواتهم وتحذيرهم لهم من اتباعهم للذاتهم فلذلك يكرهون اجتماعهم معهم ويسبونهم ويكرمون دائماً من تابعهم الىٰ شهواتهم وفضل عندهم لذاتهم واستعمل معهم الملق فاكثر الترداد الىٰ منازلهم ومايلهم بالخدمة لهم فيما يهوونه والمحادثة بما يستحسنونه. ولما علم اهل الخداع والحيل من الاطباء بما ينفق علىٰ كل صنف من اهل اليسار والرئاسة من هذه الخدع يعملوا لصيدهم بذلك المعنىٰ فكانت هذه الحيلة لهم بمنزلة الشبكة للصياد.

واذا كان الأمر علىٰ ماذكرنا وامتحان ذلك سهل علىٰ من أراد تفقده وتأمل ماقد نصب من الفخاخ والشباك وأنواع المصايد أعني بذلك مايتزيا به اهل الحيل من الزّي ومايعظمون لنفوسهم المجالس ويتخذون من الالات والامتعة في الدكاكين التي قد كبرّوها وزخرفوها

---

[1] وردت في الاصل (عاقلا) والصحيح ما اثبتناه.

[2] وردت في الاصل (يئس) والصحيح ما اثبتناه.

فليس ينبغي للعاقل ان تغره امثال هذه الحيل بل ينبغي له ان يفتقد من الطبيب مايحسنه وما منزلته من صناعة الطب وينظر في ماذا أفنى عمره وكيف سيرته وبالجملة يجب ان يتأمل ساير ماتذكره من الباب الذي تذكر فيه محنة الطبيب فاذا رآه من اهل صناعة الطب بالحقيقة فليعتقد فيه انه من أولياء الله ومن المكرمين عنده ولذلك وهب له هذه الصناعة وخصه بفضيلة سياسة أبناء نوعه[٣] وجعله مصلحاً لنفوسهم ومقوماً لاخلاقهم ومعدلاً لأبدانهم وحافظاً عليهم صحتهم هذا اذا كان طبيباً بالحقيقة اعني فيلسوفاً واذا اعتقد العاقل في الطبيب الفاضل انه من خواص الباري تبارك وتعالىٰ فقد وجب عليه اكرامه في الظاهر والمحبة له في الباطن واشراكه في نعمه والمسارعة لقضاء حوائجه، اذ كان بصلاح حالاته تصفو نفسه وتصح له افكاره ويتوفر علىٰ درس علم الطب ويواظب علىٰ خدمتك في صحتك ومرضك ولأنك ايها العاقل من الناس دائماً تحتاج الىٰ حفظ صحتك اذ كانت الأسباب المغيرة لها دائمة التأثير فيك وأنت ايضاً غير آمن من حدوث الامراض بك فانت دائماً تحتاج الىٰ من يعرفك كيف تحفظ صحتك وبماذا تحفظها وكيف تتدبر في مرضك وبماذا تعالجه فاذن[٤] واجب ضرورة عليك ان تجعل أفضل اطباء بلدك لك وأنك لتوجب علىٰ نفسك بذلك قبول أوامره وصديق[٥] لتلتزم نفسك الحياء منه والانصاف له ومعلم[٦] لتستفيد منه وتحفظ إذن[٧] بصناعة الطب والنافع لك من علمها ويوجب عليه لك حقاً يخص التلميذ من معلمه وصلته اعظم من وصلة النسب والصداقة وهي وصلة العلم والأدب اللذين بهما يصير الانسان بالحقيقة انساناً. واعلم انه كما تجد الحسن التدبير بمنزلة يعدّله القوت والكسوة ويصلح المسكن له ولعائلته قبل موافاة الشتاء فكذلك يرىٰ ايضاً ملّاح السفينة يعدّ مصالحها قبل موافاة الريح والشدة لتكون مصالحه ومابه يرجو الخلاص من الشدة عتيداً عنده فكذلك عدّ لنفسك طبيباً موافقاً واحفظه علىٰ نفسك بحسن العشرة والسيرة والكرم ليكون ذلك عدة لأوقات هي أصعب وأخطر من شدايد البحر والشتاء وفيما ذكرناه كفاية لذوي الألباب

---

٣) وردت في الاصل (ابنا لوعه) والصحيح ما اثبتناه.

٤) وردت في الاصل (فاذاً) والصحيح ما اثبتناه.

٥) وردت في الاصل (صديقاً) والصحيح ما اثبتناه.

٦) وردت في الاصل (معلماً) والصحيح ما اثبتناه.

٧) وردت في الاصل (إذاً) والصحيح ما اثبتناه.

في ان الصحيح والمريض يجب عليهما القبول من الطبيب

وأقول ايضاً لمن قد اختبر طبيبه وصح عنده فضله في صناعة وثقته في امانته واخلاصه الودّ والنصيحة لمن يريد تدبيره انه يجب ان يستسلم في يديه ويثق بقوله وعمله ويتجنب مخالفته ان كان قصوره عن فضله في صناعته دليلاً علىٰ عجزه عن الصواب ومن عجز عن الصواب فيجب ان يتلمسه من القادر عليه ولا يعدل عن ذلك وايضاً فان الامانة مع العلم يدفعان الهوىٰ ويهديان الىٰ الحق فمن بان علمه واتضحت امانته فقد وجب ان يوجد الحق عنده ووجب اتباع امره ونهيه واتخاذه اماماً الىٰ الحق والهدىٰ والمصالح ومن عدل عن اوامره ونواهيه فقد رغب في الباطل والمحال وسريعاً مايقع في المضار والمكاره ولان الحق والصواب قد يدخل الآفة علىٰ طالبهما من وجهين احدهما من قلة خبرته بالصواب وسوء تحصيله للحق فلذلك ربما وجده يظن انه لم يجده بعد وربما توهم انه قد ادركه وهو في الحقيقة لم يجده، والوجه الآخر ان طالب الحق ربما طال عليه الطريق الىٰ الحق واعتورته في طريقه الشكوك وشُبه فناله والضجر والملل فلايصبر حتىٰ يستوفي ساير طريقه لكنه يقطع علىٰ شبهة من الشبه انما هي الحق فيفوته بذلك درك الحق فاذا كان هذان الوجهان هما آفتان علىٰ طالب الحق فيجب ان يحذرهما اما بنفسه ان وثق باختياره او بغيره من اهل الخبرة، واذا كان ماذكرناه متجهاً في كل قول ومعنىً يتلمس حقيقة وكانت حقيقة صناعة الطب وصواب عملها فسيصعب جداً بغير شك انه سيحتاج المختبر لصدق الطبيب في اقاويله ولصوابه في اعماله

الىٰ زمان طويل ودربة قوية وحدس دقيق واذا كان ذلك ممتعاً علىٰ عامة الناس فان من أحد الأمر للعوام والمتوسطين اذ كانت حاجتهم الىٰ الاطباء كحاجة الخواص اليهم ان يسلكوا في اختيارهم هذا الطريق وهو ان ينظروا[٧ب] الىٰ افاضل زمانهم واهل الثقة والعلم من اهل بلدهم بمن يثقون ولمن يمدحون وعلىٰ من يعتمدون فيعتمدون هم ايضاً عليهم فيطيعونهم ولايخالفونهم. ويتبع ذلك ايضاً لمن هو أشهر وأبين لهم مما يختبرون به الاطباء وذلك بأن يفتقدوا مايحكيه الثقات عن ذلك الطبيب في كثرة من عوفي على يديه وحسن الثناء عليه فان في ذلك مادّل علىٰ سعادته في نفسه وبركته علىٰ المرضىٰ وعلمه بما يعمله. واذا بان ذلك بعد الزمان الطويل فقد وجب الا يخالف ذلك الطبيب ولاجل ماينفع من الاغلوطات وسوء الفهم والتحصيل من المرضىٰ ومن يخدمهم فيهلك بذلك كل من المرضىٰ فلذلك يجب ان يحترز الكل من ذلك اعني الطبيب والمشاور له ولأن في ذكر ماشاهدناه من ذلك دلائل علىٰ صدق ماقلناه وفيه ايضاً تنبيه الىٰ الصواب وتحذير من الخطأ فلذلك أنا أذكر من ذلك عيوناً.

فمن ذلك أنني شاهدت طبيباً بمدينة حلب حاذقاً بالطب وقد أشار علىٰ مريض بكبده مرض ان يأخذ دانق راوند[٨] مع ماء الرازيانج[٩] الرطب وسكنجبين فاشتبه علىٰ خادم المريض اسم الراوند فظنه زراوند[١٠] فاشترىٰ بدانق زراوند واعطاه للمريض كرهاً فمات آخر النهار لان كان مقدار ماسقاه كثيراً فلما يجب عن ذلك الغلط برئ منه الطبيب والرسول والصيدناني لانه جرىٰ بغير قصد، وهلك الرجل. وكذلك رأيت من غلط في الأسم بين أفيون وأفتيمون[١١] وامثال ذلك كثيراً، فلاجل ذلك ينبغي ان يكون الطبيب شديد التفقد لتحصيل المريض او من يخدمه اذا كان يريد ان يلزمه القبول منه والا يخالفه ليصح الأمر ويخلص، وكذلك أقول ايضاً لمن يريد الطاعة للطبيب انه يلزمه ان يفتقد تحصيل الطبيب لان الرغبة والرهبة قد تغيرانه وايضاً هل الطبيب أخذ نفسه بالقبول من أفاضل صناعته وملتزم واجباته ومنتبه عما ينهى عنه فان وجده كذلك فليطعه ويسلم نفسه وجسمه في يديه،

٧ب) وردت في الاصل (ينظرون) والصحيح ما اثبتناه.

٨) راوند ـ دواء نباتي، الاصفر منه هو الجيد، ينفع من امراض الكبد واليرقان (الانطاكي ج١/ ص١٥١)، (ابن هبل ج٢/ ص١٧٧).

٩) الرازيانج ـ نبت عطري، ينفع من الخفقان والغثي (الانطاكي ج١/ ص١٥١).

١٠) زراوند ـ او ارسطو لوخيا، نبت نافع للنفساء، طيب الرائحة كما ينفع حالات الربو (ابن هبل ج١/ ص٧٤)

١١) افتيمون ـ نبات يشبه الجزر، نافع من حالات المانيخوليا والجنون (الانطاكي ج١/ ص٢٤٨

وان وجده يأمر بما لا يفعله فلست أشير عليه بالاستسلام اليه ولابالطاعة له . اذ كره طاعة الحق وأطاع لذاته وهواه فلذلك سقطت طاعته ، ومن الوصايا التي ينبغي ان يحفظها ويعمل بها من وثق بطبيب واعتمد علىٰ عمله لايجوز في رأيه وذلك بأن يشاور طبيباً غيره سراً منه لانه لايخلو الطبيبان من ان يكونا في صناعتيهما بمنزلة واحدة او احدهما افضل من الآخر فان اعتمد علىٰ الأدون فقد أخطأ اذ ترك الاعتماد علىٰ الافضل وان اعتمد عليه ثم اراد رأياً مع رأيه ممن هو دونه فذلك اشنع واقبح اذ جعل الناقص عياراً للتمام . ولست أمنع من مشاورة طبيبين وثلاثة ومافوق ذلك لمن أحب مشاورتهم ولكن يفعل ذلك من حيث يجمع بينهم ليبحثوا[12] عن الحق بعضهم بعض ويشيروا[13] بما يرونه صواباً علىٰ اتفاق منهم فبذلك يسهل درك الحق . واعلم ان مما يؤمن معه الاشتباه والنسيان وتكون العاقبة فيه محمودة ليستشير الطبيب والطبيب جميعاً وان يكتب عن الطبيب مايشير به من الدواء ثم اوثق من ذلك ان ينظر الىٰ ماشار به ويعاينه وأشد ثقة من الجميع ان يتولى هو اصلاح الدواء او يصلحه من يثق بحضرته وهو يقدر كميته ويشاهد دقه ونخله او عجنه او طبخه او غير ذلك من الاصلاح فلست أحصي كم ضرر دخل علىٰ الطبيب وعلىٰ مرضاه ومن يديرهم من اتكاله في اصلاح الادوية علىٰ حرم في المنزل وخدمه وذلك ان المريض يسيُ حاله والطبيب يسيُ ذكره ولقد رأيت مراراً من فساد ماء الشعير في قشره ، وفي طبخه ، وفي تقدير مائه وتارة انواعاً[14] من الفساد لايمكن احصاؤها جرت من خدم المريض والطبيب لايعلم فأضرت بالمريض وأفسدت علىٰ الطبيب تدبيره علىٰ ان ماء الشعير هو من الاشياء الذي قد ألف الناس اصلاحه في منازلهم كأصناف الحبوب والمعاجين وغير ذلك من التي لها شروط في صنعتها كتحبيب بعض الحبوب صغاراً وبعضها كباراً وكذلك بعض الأدوية ناعمة وبعضها جريشة فهي كبعض المطبوخات التي يقع بعض حوائجها في حال طبخها وبعضها بعد طبخها فاني لاأحصي كم رأيت من الخطأ الجاري فيها فلذلك ليس ينبغي لأحد ان يثق علىٰ صنعتها بأحد ممن في منزله ولامن يخدمه غير طبيبه او من يرتضيه الطبيب من تلاميذه او الصيادنة الموثوق بهم عنده . واذ قد ذكرت في هذا الباب جملاً من الوصايا التي ينتفع بها

---

١٢) وردت في الاصل (ليبحثون) والصحيح ما اثبتناه.

١٣) وردت في الاصل (يشيرون) والصحيح ما اثبتناه.

١٤) وردت في الاصل (انواعاً) والصحيح ما اثبتناه.

الاصحاء والمرضىٰ عند قبولهم من اطبائهم فاني الحق ذلك بوصية عظيمة كثيرة النفع وكثيراً يتجاسر عليها الناس والخطأ الواقع من جهتها ليس بالصغير وهي كتمان المرضىٰ وخدمهم عن الطبيب مايحدث ومايصنع من الخطأ وفي كشف ذلك للطبيب فوائد ومنافع كثيرة لانه يسارع الىٰ تلافي ماوقع فيه التفريط ولصلاح ما حذره من الفساد فيجب علىٰ كل عاقل الا يكتم طبيبه شيئاً من الحوادث التي تحدث عن الطبع ولا فعلاً اتاه هو بقصد او اتفق عليه بعرض.

فيما ينبغي للمريض ان يتقدم به الىٰ أهله وخدمه

ولما كان الصحيح من الناس يمكنه ان يتولىٰ تدبير نفسه لحفظ صحته ويشاهد ايضاً مايتولىٰ تدبيره من ذلك أهله وخدمه وكان المريض لايمكنه ذلك حال مرضه وجب لذلك الىٰ كل عاقل من الناس إذ كان يعلم ان الامراض قد تعرض للأصحاء ان يتقدم في حال صحته بإعداد انواع مصالحه لمرضه كالذي يفعله حكماء الناس من اعدادهم مصالح شتائهم قبل وروده. وكالذي يفعله ايضاً الحاذق بتدبير السفينة في حال سكون البحر من اعداد جميع مصالحها قبل هيجان الريح ليكون ذلك عتيداً لديه عند الحاجة اليه ولان انواع مصالح المريض كثيرة مختلفة وتعديد اشخاصها ممتنع فلذلك يجب ان يذكر منها هل هي انواع لتلك الاشخاص ومن العلم بتلك الجمل يمكن المريض يدرك علم مايحتاج الىٰ التقدم به والوصية الىٰ أهله وخدمه في حال صحته لحال مرضه. واول هذه الوصايا هي تقدم الانسان مع ابتداء مرضه الىٰ أهله وخدمه بقبوله من طبيبه مايأمرهم به من سائر تدابير مرضه ويحذرهم من مخالفته. وبغير شك ان القائل للأمر والطائع للأمر انما يقبل ويطيع رهبة او رغبة او لهما جميعاً والطايع رهبة فقط قد تفسد طاعته سريعاً وذلك يكون مع عدم عليه كانت الرهبة. ومثال ذلك ان يكون الخدم والأهل طائعون قابلون فزعاً ورهبه فاذا اتفق للأمر المطاع مرضاً يصرعه او يغير تمييزه زالت هيبتة عن خدمه وفسدت طاعتهم له وامكنهم بذلك ان يصنعوا[١٤ب] به مايشاؤون. فأما الخدم والأهل الطائعون محبة فطاعتهم ثابتة لاتتغير

١٤ب) وردت في الاصل (يصنعون)والصحيح ما اثبتناه.

فالثقة بهم دائمة لدوام المحبة منهم وان انضاف الىٰ المحبة هيبة أكدت دوامها وأيدّت قوتها واذا كان الأمر كذلك فيجب علىٰ كل عاقل ان يبدأ اولاً في حال صحته بالأفضال والاحسان الىٰ اهله وخدمه لتصح له منهم المحبة والشفقة وليثق منهم بالقبول منه والطاعة له والنصيحة وعنه مرض ان عرض له فغير تمييزه وأزال هيبته عنهم وبعد ذلك فليأمرهم بالقبول من طبيبه وليثق منهم بالطاعة له والشفقة عليه، ومن فروع هذا الباب المقدم ذكره ان الانسان اذا استعمل العدل مع اهله وخدمه علمهم استعمال العدل معه عند حاجته اليهم واذا أفضل عليهم وأحسن اليهم وظهر لهم منه المحبة والشفقة دعاهم ذلك الىٰ الشفقة عليه والمحبة له وتعلموا من افعاله بهم مايعملونه معه.ومثال ذلك من أعتل له خادم فدعا له بطبيب حاذق ليدبره فلم يثق في إصلاح أدوية مريضه ذلك بأحد من سائر أهله وخدمه بل تولىٰ تدبيره هو بيده او من يثق به بحضرته واقبل علىٰ الاستفهام من الطبيب جميع مايحتاج ان يفهمه منه من أمر الدواء والغذاء وجعل يواظب علىٰ تعرف مصالح المريض ويقوم بها أتم قيام حتىٰ يبرئ خادمه من مرضه فليس يشك عاقل في ان فاعل ذلك مع خادمه مع ما[١٥] قد اكدّ له من الحمد والثناء والشكر فانه قد علّم خادمه كيف يخدم المرضىٰ في امراضهم واول من يحظى بذلك منه هو نفسه ان مرض او من يعنيه أمره ممن في منزله لانه ان كان ذلك الخادم ذا نفس زكية، وطبع محمود كانت منزلته فيما عومل به منزلة مابذر في الارض النقية الزكية التي لايضيع فيها بزر فهو لذلك يحفظ ماعلمه ويتذكر ماعومل به ليقابل الجميل بمثله والمحبة بمثلها بل بأكثر منها ويستعمل من الخدمة مايعلمه. فأما من رام الكفاية والقيام بالخدمة الموافقة التامة من اهله وخدمه من دون الكفاية لهم والقيام بمصالحهم الموافقة الكاملة والتبصر لهم علماً وعملاً فقد رام المحال والتمس الممتنع ومامثاله الا كمن رام الحظ الجيد من (. . . .) فلم يقدم باصلاحه. ولقد رأيت من الناس اناساً دخل عليهم اصناف[١٦] من الضرر من خدمهم وأهلهم بسبب جهلهم بما ذكرناه فمن ذلك أني رأيت رجلاً كان به ذات الجنب فصّح مرضه ونفث جميع ماكان في صدره وزال حمله واستقام نَفَسه فأمرته بصب الماء ومنعته من بعض الاغذية فلما رأيته من غد وجدته قد حمّ وقد جدت به أعراض رديئة فلما بحثت عن سبب ذلك عرفني بعض من يهمه أمره أنّ ام ولده اطعمته مانهيته عنه فعند

---

١٥) وردت في الاصل (معما) والصحيح ما ابتناه.

١٦) وردت في الاصل (اصنافاً) والصحيح ما ابتناه.

انكاري ذلك قالت كأنكم تريدون من هذا وهو رجل شيخ يعيش، هذا الا يبرأ، وبان من كلامها انها تريد الراحه منه. واما قوم كان اهلهم وخدمهم يتمنون موتهم ويسرون بأمراضهم لما كانوا عليه من الشح وقبح المعاملة لهم فلا أحصيتهم كثرة حتىٰ ان بعض خدم هؤلاء وأهلهم كانوا يتعمدونهم بالمكاره ولايطيعون اطبائهم بل يتعملون لضد مايقوله الطبيب ويشير به. واذا كان البلاء والفساد الداخل علىٰ هؤلاء المرضىٰ هو من سوء عقولهم وتدابيرهم فما عسىٰ للطبيب ان يعمله وكيف له برء العليل والعليل أحد اسباب البرء. وذلك ان اسباب البرء الذي لايتم أمره الا بها ثلاثة علىٰ ماحكاه حنين عن بقراط وجالينوس وهي الطبيب والمرض والمريض والطبيب والمرض ضدان لان الطبيب خادم للطبيعة والمرض عدو الطبيعة.

واما المريض فهو لامحالة اما ان يوالي الطبيب فيعاونه علىٰ برئه واما ان يوالي المرض فيعينه علىٰ نفسه فان هو والى الطبيب فأطاعه في جميع مايأمر به رجوت له العافية لانه يجتمع علىٰ محاربة واحد محاربان واذ والىٰ المرض باتباعه الشهوات التي يجلبهاعليه مرضه جنىٰ علىٰ الطبيب جنايتين احداهما انه يتركه منفرداً بالحرب وقد كان يجب عليه ان يكون معه ثاني اثنين والأخرىٰ ان يصير مع مرضه محارباً ثاني اثنين وقد كان يجب عليه ان يتركه مفرداً، وجميع ماقيل في هذا القول مجمل من فصل أتىٰ به بقراط في المقالة الأولىٰ من ابيديميا وهذا قوله بلفظه، قال بقراط: قوام الصناعة بثلاثة اشياء المرض والمريض والطبيب[١٧]، والطبيب خادم الطبيعة وينبغي للمريض ان يقاوم المرض مع الطبيب وبغير شك انه قد يخفي كثير من ذلك فيؤول الأمر الىٰ هلاك المريض وسوء ذكر الطبيب ولاجل ذلك ينبغي للطبيب ان لايفعل ذلك بل يهتم بتفقده وينبه عليه وفيما ذكرناه في هذا الباب من ذلك كفاية لأهل الفطن.

---

١٧) ابن ابي اصيبعة ص٥١.

فيما ينبغي ان يعمله المريض مع عوّاده

اما ماينبغي ان يعمله العوّاد مع المريض فقد ذكرنا جملة فيما تقدم في الباب الذي أفردناه لذلك، فاما ماينبغي للمريض ان يعمله وعن اي المسائل يجب ان يجيب وعن ايها لايجيب فنحن نذكر من جمل ذلك أصولاً يستدل منها علىٰ فروعها فنقول ان العادات التي قد ألف الناس استعمالها منها محمودة مستحسنة ومنها غير محمودة وان استحسنها مستعملها وانما يُفرق بين هذين الصنفين من العادات أهل العلم والفضل. فمن العادات المذمومة ماقد جرت عليه عادات كثير من الناس عند مساءلتهم للمرضىٰ اذا عادوهم عن احوالهم وان يتبعوا ذلك بالمساءلة[18] عن امراضهم حتىٰ ان من العواد للمريض من يبحث ويستخبر عن علامات المرض واسبابه كأنه طبيب ذلك المريض وليس ذلك لانه طبيب ولا لأنه يعلم من الطب شيئ ولكن ليوهم من حضر انه عالم لايخفىٰ عليه شيئ ولعمري ان من حضر من العقلاء بذلك يستدل علىٰ جهله وسوء عقله اذا سأل عما لايعنيه أمره وبحث عما لا يصل بفكره واقبح من هذه المساءلة للمريض والبحث عن مرضه من عائده مارأيته من مسارعة كثير من العواد الىٰ وصف أدوية المرضىٰ واغذية وأنواع من التدابير يسمونها ويرتبونها لهم حتىٰ لايكون بينهم في ذلك وبين الطبيب في الظاهر فرقاً بتّة كالذي حكيته من خبر ذلك الشيخ العائد لبعض المرضىٰ في الباب الخامس في أدب عواد المريض وانما ذكرت هذا الخبر من جملة اخبار مستظرفة كثيره جرت للعوّاد مع المرضىٰ لئلا أطيل بذكر امثاله وانقطع بذلك

18) وردت في الاصل (المسائلة) والصحيح ما اثبتناه.

عن غرضي. وايضاً فلعلمي بنفع المرضىٰ عوادهم بذلك وجب ايضاً احضاره. فلنعد الآن الىٰ غرضنا فنقول ان المريض اذا عاده عائد فليس يجب ان يجيبه عن كل سؤال يسأله كما لايجب ان يجيب كل مسائل عن كل سؤال وذلك ان من سأل عن مسألة هي محال فانه لاجواب له غير إفساد السؤال ومثال ذلك سائل سأل طبيباً لِمَ صارت حمىٰ الغب الخالصة تحدث عن عفن البلغم ولِمَ صارت الحمىٰ النايبة في كل يوم تحدث عن عفن الصفراء ولِمَ صارت حمىٰ سونوخس[١٩] تحدث عن عفن السوداء وامثال هذه من المسائل المحالات فان الطبيب اذا سمع هذه وامثالها وعلم انها محالات لاتستحق اجوبة فانه علىٰ المكان يعلم المسائل انه قد سأل عما لاحقيقة له وسقط جوابه. وكذلك ايضاً ماورد من المسائل في غير موضعه لم يلزم الجواب عنه ولان مواضع المسـائل تختلف بحسب السـائل والمسؤول في اعراضهما ومواضعهما من العلم وبحسب المكان والزمان ومرتبة السؤال في جنسه ونوعه وشخصه فلذلك يجب تفقد وضعها ولماكان التمثيل علىٰ جميع ذلك وتقصي شرحه قد اتىٰ عليه اهل الجدل وقد ذكرت اصوله في المدخل الذي الفته للمبتدئين بعلم الجدل ولايمكننا احضار الاسئلة علىٰ صنف منها لئلا نبعد عن غرضنا وقصدنا فلذلك نكتفي بما لوحنا به فقط لكن ليكون ماقلنا هاهنا أوضح فنحن نمثل علىٰ ذلك بأمر هو مشهور بين اهل الأدب وهو ان الملوك تستثقل من عامتها وحاشيتها مساءلتهم[٢٠] لهم عن احوالهم وأثقل من ذلك علىٰ الملوك تكلفهم الجواب عن ذلك وانما صار ذلك ثقيلاً علىٰ الملك لعلمه بأن السؤال له في غير موضعه اذ كان الملك يعلم ان السائل له عن حاله وهو غير قادر علىٰ نفعه في حفظ حالاته المحمودة او اصلاح المذمومة لاوجه لسؤالـه فلذلك ومـا اشبهه وجب الا يجيب المريض عواده عن كل سؤال يسألونه ولايشرح حال مرضه ولاشئ من شكاواه الا لطبيبه لانه لايرجو دفع ضرر ولا اجتلاب نفع الا من جهته وكذلك يجب ان يفعل خدم المريض وأهله ولذلك ينبغي للمريض ان أحس من نفسه بأضطراب وخشي سوء تمييزه ان يوصي خدمه بكتمان حالاته الا عن طبيبه لان كشفها لمن لايعلم حالات مرضه ومع ما قدمت ذكره من عادات العواد والعوام من الناس التي قد جرت بغير احتشام وهي مبادرة كل واحد

---

١٩) حمىٰ سنوخس.

٢٠) وردت في الاصل (مسائلتهم) والصحيح ما اثبتناه.

منهم بوصف دواء وتدبير يفسد على الطبيب تدبيره وكثير مايضر بالمريض وربما كان ذلك بسبب هلاكه واذا كان الامر على ماوصفناه فقد ينبغي للاصحاء ان يتيقظوا لما قلناه ويكون منهم ببال ويتقدمون به الى اهلهم وخدمهم لتكون الوصيّة بذلك عتيدة لديهم ومعلومة عندهم لوقت المرض. ولان من الأمراض امراضاً لايصلح للمريض فيها استماع الكلام الكثير كالصداع والشقيقة ونظايرهما من امراض الدماغ وكالاسهال وما ماثله، فلذلك ينبغي للمريض وأهله ان ينفرد والموضع لتدبيره وان لايتشاغلوا[٢١] عن تدبيره بمخاطبة عواده اذ كانت اوقات عيادة العواد وهي بعينها اوقات تدبير المريض وخاصة في ادويته ومشروباته ويجب ان لايكتموا[٢٢] الطبيب حادثة من الحوادث كبرت ام صغرت حسنت ام قبحت كما يجب ان لايكشفوا ذلك لغير طبيبه وايضاً فان من المعلوم ان المرضى كثيراً تسيئ اخلاقهم فيكثر ضجرهم ويسرع حردهم وخاصة اذا طالت بهم أمراضهم فلذلك يلحق خدمهم وأهلهم منهم الضجر فيستثقلون ويقصرون في تدابيرهم فربما آل ذلك الى الفساد على الطبيب في علاجه والى هلاك المريض جملة، فالدواء لهذه البلية والخلاص منها هو أخذ الانسان لنفسه في حال صحته بضبطه لنفسه من الحرد والغيظ ليألف الاحتمال ويقتني حسن الخلق فيجد ذلك على نفسه في وقت المرض سهلاً واحتماله قريباً. وكذلك القول في من[٢٣] عوّد نفسه الا يتبع لذاته ولايواتي شهواته في حال صحته فان احتماله لما ينهى عنه في حال مرضه من الاغذية والأشربة يكون اسهل عليه وأخف فلنكتفِ[٢٤] بما ذكرناه من هذا الباب.

---

٢١) وردت في الاصل (يتشاغلون) والصحيح ما اثبتناه.

٢٢) وردت في الاصل (يكشفون) والصحيح ما اثبتناه.

٢٣) وردت في الاصل (فيمن) والصحيح ما اثبتناه.

٢٤) وردت في الاصل (فلنكتفي) والصحيح ما اثبتناه.

في شرف صناعة الطب

ولما كان ذكرنا لشرف صناعة الطب وتقدمها في المرتبة علىٰ ساير الصنايع والمهن يبعث اهل العقول والآداب علىٰ اقتنائها او ماتهيأ منها ويرغبهم في اتباع أوامرها والبعد عن نواهيها ويحثهم علىٰ تشريف أهلها وجب لذلك ان اذكر وجوهاً من شـرفها وعيـوناً من فضايلها فأقول ان سائر المهن والصنائع لايتم ذكرها ولا توصل الىٰ غاياتها الا بعد تصور النفس العلم بها. ولما كان العلم للنفس الناطقة والعمل للبدن وكانت النفس انما يتم لها العلم بالبدن اذا كان صحيحاً والصحة لما تحفظ وتدوم او تجلب وتقوم بصناعة الطب وجب لذلك ان تكون صناعة الطب هي أشرف الصنايع والعلم بها هو أقدم العلوم وايضاً فان الآلات التي بها تستخرج المهن والصنائع آلتان احداهما القياس والآخر التجربة وغير ممكن من كل واحدة منها ولا من اجتماعهما ان يقدروا علىٰ استخراج أصول صناعة الطب اذا كان الحس لايصل الىٰ ذلك وذلك لما نذكره وهو انا ندل أول شخص من المخلوقين حين خلق محتاجاً الىٰ الغذاء ولم يعرف الغذاء من الدواء وكانا كلاهما من نوع النبات فانه ان تناول احدهما علىٰ انه غذاء فقد خاطر بنفسه وغرر بخبرته لانه ان عمد الىٰ حشيشة السقمونيا مثلاً او غيرها من الحشائش القاتلة فأكلها هلك واذا كان الحس لايفي بعلم ذلك والعقل فلا سبيل له الىٰ علم الأمور المحسوسة ولا الىٰ تمييزها الا من جهة الحس فغير ممكن اذن ان يعلم اصول صناعة الطب بطريق الاستدلال والقياس.

فأما فروع هذه الأصول فبغير شك ان استخراج ماستخرج منهـا هاتـان الآليان استخرجته ولا يوجد طريق آخر لاستخراجه اللّهم الا ان يقول قائل ان الحكم والتكهن قد

عرف أدوية الامراض وتدابير وعلاج كان الشفاء من تلك الامراض بها وحفظت واتخذت اصولاً كالذي حكاه جالينوس انه رأىٰ في منامه قائلاً يقول له افصد العرق الذي في ظهر كفك بين السبابة والبنصر فانك تبرأ من المرض الذي تجده وكان يجد مرضاً قد أعياه علاجه ففصد ذلك العرق وبرئ من مرضه. فانا نقول لهذا القائل ان ماذكرته من أمر الأشياء التي علمت من جهة الحكم والتكهن لسنا ننكره لكنا نقول انه من نوع مابه علمت اصول صناعة الطب الذي ذكره قصدنا وهو أحد الاسباب لشرفها وهذا النوع من التعليم الذي منه علمت اصول هذه الصناعة هو الذي ذكره جالينوس في تفسيره لكتاب عهد بقراط وايمانه، فانا نقول ان صناعة الطب تعليم[٢٥] من الله تعالىٰ وهبة وتفضيل[٢٦] علىٰ نوع الانسان ولأنا قد ذكرنا بعض ماقاله في هذا المعنىٰ في صدر كتابنا هذا فلذلك نستغني بما قيل هنالك عن اعادته هاهنا واذا كان الأمر علىٰ ماقلناه فقد وجب ان تسمىٰ صناعة الطب الٰهيّة وان يسمىٰ من اقتناها بالحقيقة او اخذ نفسه باقتنائها وسلك طرقاً الهية وكيف لايستحق هذا الاسم الشريف وهو حريص مجتهد في التشبه بأفعال الباري جلّ وعزّ اذ الكافة تعلم ان الخالق تقدست اسماؤه جواد كريم رؤوف رحيم شاف معاف[٢٧] واهب الصحة للاصحاء وحافظها عليهم وشافي المرضىٰ من امراضهم وبلطفه يكفيهم فهو بالحقيقة القادر القدرة التامة على حفظ صحة الاصحاء وعلىٰ شفاء المرضىٰ. والطبيب ايضاً فمعلوم ايضاً ان قصده التماس الصحة وغايته احترازها ولايقدر علىٰ ذلك الا بصناعة الطب الذي هذا قصدها وغايتها وهي موهوبة من الله تعالىٰ والطبيب فمعلوم ان قصده التماس الصحة لخواص من خلقه بأفعاله يقتدون ومن حكمته يستمدون فبذلك يجب علىٰ كل عامل يعرف قدر نفسه ويؤثر الصحة لجسمه ان يشرف الصناعة الالٰهية المصلحة للبدن المقوية لأخلاق النفس اذ اخلاق النفس تابعة لمزاج البدن. ومما يوضح شرف الصناعة الطبية ايضاً ماتثمره للناس كافة من المنافع التي تؤديهم علىٰ مقادير افعالها افهامهم اليها فأول نفع يصل اليه الفهم بها هو الإقرار بتوحيد الباري والمعرفة للطيف حكمته وعلو قدرته وحسن عنايته لساير خلائقه وذلك عند تأمله مزج الممتزجات وتركيب المركبات من ساير المحسوسات الجامدات علىٰ اختلاف اصنافها والناميات علىٰ كثرة فنونها والحيوانات مع تباين انواعها ثم مايختص به

٢٥) وردت في الاصل (تعليماً) والصحيح ما اثبتناه.

٢٦) وردت في الاصل (تفضيلاً) والصحيح ما اثبتناه.

٢٧) وردت في الاصل (شافي معافي) والصحيح ما اثبتناه.

كل نوع من ذلك وخاصة نوع الانسان فان من انصرف من الناس الىٰ معرفة ذاته وتأمل مزاجه وماعضاؤه عليه من أشكالها ومقاديرها ووضعها واتصالها وانفصالها وافعالها ومنافعها واشباه ذلك علم بالحقيقة من حكمة الخالق تبارك وتعالىٰ مايوضح له ويبرهن عنده علىٰ إن له خالقاً واحداً قادراً حكيماً[٢٨] قصد بخلائقه الأحكم والأوثق والأحسن والأصلح ، وحسب العاقل لذاته هذه الثمرة ونفع هذه الفائدة ولها نفعاً ثان وهو انها أعظم معين[٢٩] في القيام بالشرائع لانها اذا صحت الابدان امكن الانسان اقتناء العلم وقدر علىٰ العمل من صوم وصلاة وغير ذلك والىٰ هذا اشار القائل ان العلم علمان علم الابدان وعلم الأديان ، فلشرف الطب عنده قدمه ولنفعه في علم الاديان بدأ به . وحسبك بصناعة هذه حالها شرفاً ونفعاً، ولها نفع ثالث وهو ان من التمسها لذاتها ولنفع الناس بها لا للتكسب اكسبته اللذة الدائمة والمال النافع والذكر الجميل والثواب الجزيل فيا لك شرفاً مما قرب الىٰ الله وأرضاه وأوصل الىٰ دنياه ونعماه أترىٰ مَن مِن العقلاء لايقرّ بصناعته الطب وشرفها، واهل المذاهب المختلفة مجمعون علىٰ صحتها متفقون علىٰ نفعها وايضاً فاهل اللغات المتباينة وسكان البلدان المتباعدة والملوك من هذه الطوائف والرؤساء والعلماء فيهم مع سائر متوسطيهم وعامتهم مذعنون بالاقرار للحاجة الىٰ صناعة الطب والاضطرار اليها والىٰ أهلها، فهم لاجلها مشرفون، وكيف لايقرّ لها بالنفع والشرف من يرىٰ الافاضل من اهلها وهم متقدمون بالانذار بما يكون وخاصة في ايام البحارين[٣٠] من الايام المنذرة وبما يقضون به علىٰ المرض من طوله وقصره وسلامته وخطره وسكونه وحركته وذلك بمعرفتهم بطبيعة المرض منذ أول حدوثه فينذرون بما يحدث من حركات في الازواج والأفراد، حالات النضج والاخبار بسلامة من يسلم وعطب من يعطب. وكيف لايزداد الناس بالطبيب الحاذق عجباً ولصناعته تشريفاً اذا رأوه قد قضىٰ فأصاب وانذر فكان وأخبر بما كان كالذي اخبر جالينوس به لغلوقن[٣١] الفيلسوف لما حدث به حمىٰ ربع فأعطاه اطباؤه درياقاً قبل

---

٢٨) وردت في الاصل (انه له خالقاً واحد قادر) والصحيح ما اثبتناه.

٢٩) وردت في الاصل (معيناً) والصحيح ما اثبتناه.

٣٠) ايام البحارين ـ مفردها بحران، وهي الحالة التي يتطور بها المرض من سيّ الى افضل، وبالعكس. واول من كتب في هذا الموضوع جالينوس، وكتابه بثلاث مقالات ايضاً (ابن ابي اصيبعة ص١٣٧).

٣١) اغلوقن ـ فيلسوف يوناني عاصر جالينوس المتوفى سنة ٢٠١ م وطلب منه ان يصنف له كتاباً في الطب فكتب له كتاب (الى اغلوقن في التاتي لشفاء الامراض) وهو بمقالتين ابن ابي اصيبعة ص١٣٤)

النضج ان حماه تتركب فتركبت فتعجبوا من حكمه حتىٰ قالوا ليس هذا من صناعة الطب بل من جنس النبوة. وكذلك ايضاً ماحكاه من قصة الجارية العاشقة، التي أخذ نبضها فأخبرها بحالها فذلك وكثير من امثاله قد حكاه جالينوس في مقالة له مفردة عنونها بنوادر تقدمة المعرفة يقدر أن يقف عليها من أحب علم ذلك من تلك المقالة جمعيه وساير ماجانس لم يقدر عليه الا من قوة هذه الصناعة فبذلك وامثاله استحقت الشرف والتقدم علىٰ غيرها من الصنائع الا ترىٰ الىٰ طاعة اهل المملكة لملكها وطاعة الملك لطبيبه مالا يطيع ابويه ولا أحداً من حشمه وأهله وكشف سره اليه مالايكشفه اليهم لما يرجوه عنده من النفع والمصلحة، ولقد حكي عن جبرائيل[٣٢] طبيب المأمون انه قال له يوماً ياأمير المؤمنين أنا مصلح أدمغة الملوك والقضاة منذ خمسين سنة فكيف أقاس بغيري فاستحسن ذلك منه. وايضاً فانك تخدم حرم الملوك وغيرهم يكشفون للطبيب من اسرارهم مالايستحلون[٣٣] كشفه لرجالهم، فبذلك وأشباهه وجب لصناعة الطب الشرف ولأهلها التقدم علىٰ سائر اهل الصنائع والمهن، ولعل قائلاً يقول ان الفلسفة التي هي مقومة النفوس اشرف من صناعة الطب، فنقول له ان الفلسفة لعمري شريفة لشرف موضوعها غير انك لاتقدر تخرجها عن ان تكون طباً للنفوس فاذن[٣٤] كل فيلسوف طبيب وكل طبيب فاضل فيلسوف فالفيلسوف لايقدر علىٰ اصلاح غير النفس والطبيب [٣٥] الفاضل يقدر علىٰ صلاح النفس والبدن جميعاً فإذن الطبيب يستحق ان يقال فيه انه المتشبه بأفعال الباري تعالىٰ بحسب طاقته وهذا هو بعض حدود الفلسفة وفيما ذكرناه من هذا الباب كفاية.

---

٣٢) هو جبرائيل بن بختيشوع بن جورجيوس، طبيب هارون الرشيد والامين والمامون، وقد حصل من عطايا الرشيد مالم يحصل علىٰ مثله طبيب آخر وكانت وفاته سنة ٢١٣ للهجرية

٣٣) وردت في الاصل (يستحيزون) والصحيح ما اثبتناه.

٣٤) وردت في الاصل (اذاً) والصحيح ما اثبتناه.

٣٥) هذا السطر مشطوب في المخطوطة.

في ان الطبيب يجب له التشريف بحسب مرتبته من صناعة الطب من الناس كافة ولكن تشريفه من الملوك وافاضل الناس ينبغي ان يكون اكثر

ونقول ان من ذم الطبيب في نفسه فمن الفضل كشف جهله لانه من أدون طبقات الناس والدليل علىٰ ذلك انك لاتجده يستغيث اذا عرض مرض بأهل ولابأخوان لكن بالطبيب فقط فعند ذلك يفتضح رأيه هذا ويبين جهله. وايضاً فقد تقدم لنا القول بان اللّه تعالىٰ هو الشافي للمريض الحافظ لصحة الأصحاء فهو الطبيب حقاً وهو تبارك علّم الناس مابه يحفظون صحتهم ومابه يعالجون امراضهم فمن ذمّ صناعة الطب فقد ذمّ افعال الباري عزّ وجلّ. واما من ذمّ من اهل صناعة الطب القوم الذين قد رضوا منها بالاسم والتكسب فقط فأني لاألومه علىٰ ذمهم قد جعلوا رسمهم بها خدعاً[٣٦] ومخاريق وشباكاً ومصايد يصاد بها كثير من الناس ويكتسب بذلك دراهمهم ولعمري انهم للذمّ والسبّ مستحقون لما لم يجهدوا[٣٧] انفسهم في اصابة حقيقة صناعتهم ولما عدموا حقيقتها صاروا يدبرون المرضىٰ بجهل فهم علىٰ المرضىٰ أشد من الأمراض بما يكسبونهم من الآفات والعطب. ولذلك وجب علىٰ اهل العقول اكرام المتحققين[٣٨] بصناعة الطب وقاصدي[٣٩] حقيقتها. ومن

٣٦) وردت في الاصل (خدع) والصحيح ما اثبتناه.

٣٧) وردت في الاصل (يجهدون) والصحيح ما اثبتناه.

٣٨) وردت في الاصل (المتحققون) والصحيح ما اثبتناه.

٣٩) وردت في الاصل (قاصدوا) والصحيح ما اثبتناه.

المعلوم ان هؤلاء هم اصحاب عدل وعفه وشجاعة ورأفة وقناعة (وبصفة) يؤثرون للصدق ويأبون الكذب ويكرهون الآثام ويبعدون من الحرام فكل عادل عفيف منصف رؤوف ذي اخلاق فاضلة فهو يعرف بما فيه من الفضل فضل صناعة الطب وأهلها ولما كان الملوك والرؤساء بما خصّهم الله به من انواع السعادات يؤثرون السعادات ويحبون الفضائل وأهل الفضل اكثر من غيرهم ممن دونهم وجب لذلك ان تكون عنايتهم بتقويم هذه الصناعة اكثر من غيرهم ، لتصح حقيقتها ويظهر نفعها للخاص والعام فبسر شرفها يكون الملوك العانين بتقويمها ويكشف حقيقة مافيها اعظم نفعاً للناس منها مشكورين محمودين من سائر الناس وعند الله مقدمين ومنه مثابين هذا مع ماتخلص لهم من النفع لاجسامهم والفضل لنفوسهم. وحسب من حصلت له هذه الفوائد شرفاً بها ونفعاً منها. وحسباً للطبيب بذلك بهذا الشرف وبهذه المنزلة الجليلة عند الله وعند اوليائه، وسائر ابناء نوعه التي لايفي بها غلاء الجواهر ولاكثير الاموال، فأما من لم يكتف بهذه المرتبة العالية من الاطباء لكنه رغب في منافسة اهل الدنيا عليها فطلب جمع الذهب والفضة وتشاغل بجمعها عن اكتساب فضائل صناعته والبحث عن دقيق معانيها ولطيف أسرارها فقد بان بذلك جهلة بمنزلتها لانه باع النفيس بالخسيس والشريف الباقي الدايم بالحقير الزايل الداثر وانكشف بذلك قلة معرفته بسير افاضل الأطباء وبما يؤول اليه حال من رغب في علم هذه الصناعة وعمل بعلمها من الدنيا والآخرة، فأما جهله بسير افاضل اهلها ومخالفته لآرائهم فيها فيبين مما نذكره من سيرهم في هذا الباب الآن وفيما يأتي بعد في الابواب الآتية من سيرهم واخبارهم مع ملوك اليونانيين وغيرهم، فإن كان مانذكره قليل من كثير من ذلك ماحكاه جالينوس عن بقراط لما وجه بعض الملوك اليه بقناطير كثيرة من الذهب وبذل له كرامات كثيرة ليصير اليه ولم يكن ذلك صواباً عنده لضرب من السياسة وكبرت نفسه عن ذلك ولم يلتفت اليه ومن ذلك ايضاً جالينوس لما سلك طريق صناعة الطب في علاجه برومية لاولاد ديموس الفيلسوف ولابن جارنليس صاحب المراقد ولغيرهما ممن شفاهم الله علىٰ يديه وبان فضله وعرف قدر منزلته من الصناعة فحسده أطباء رومية وأخذوا في عناده لم يرَ[40] مقاومتهم ولاسلوك طرقهم ولا التفت الىٰ مكاسبه ورياسته بل رأىٰ الانصراف الىٰ بلده ليعمل هناك الواجب مع قناعته بأهل بلده الذين كانوا أفاضل علماء أخياراً لان العالم الفاضل يرىٰ ان موته خير له من كونه بين

٤٠) وردت في الاصل (يرىٰ) والصحيح ما اثبتناه.

جهال أشرار وان سعدوا بالجد، وقد حكىٰ جالينوس عن قدماء اليونانيين انهم كانوا يصورون التابعين [٤١] لذاتهم واهل الكسل والتراخي وهم المتكلون على جدهم فقط بصورة تدل علىٰ العجز وقلة الفهم ورداءة الطبع وكثرة الجهل والشر وهي صورة امرأة عمياء قائمة علىٰ كرة بيدها سكّان سفينة تدبر اهل تلك السفينة عند شدة قد لحقتهم فلسوء بختهم اتكلوا في تدبيرهم علىٰ تدبير عاجز شرير فانه عن قريب سيهلكون ولاينفعهم من اتكلوا علىٰ تدبيره شيئاً بل يهزأ بهم ويضحك عليهم وكذلك حال من أتكل علىٰ سعادة (بخته) من الأطباء وغيرهم فانه عند زوال سعادته يبقىٰ صفراً من الفضائل وخاصة عند الشيخوخه.

ويصورون الحريص علىٰ اقتناء الفضائل والعلوم والصنائع الشريفة بصورة تدل علىٰ العفة والعدل والخير وحب الجميل وهي صورة شاب جميل الصورة جمال طبيعي لااكتسابي حسن الهيئة جالس علىٰ جسم ذي ستة سطوح معتدلة ووجهة طلق وحوله تلاميذه وطالبو[٤٢] العلم مطيعين له لاخلاف بين بعضهم وبعض ولايحسد بعضهم بعضاً علىٰ الامور الخسيسة كحسد أهل المراتب الدنيائية وذوي اليسار بعضهم بعضاً قال وذلك ان اللّه تبارك وتعالىٰ ليس يختار الفضيلة في الغنى واليسار لكي يؤثر ويقدم من حسنت سيرته وكان في صناعته متقدماً عالياً وكان تابعاً لوصايا اللّه تعالىٰ لازقاً لها ويعالج صناعته علىٰ المذهب اللازم للسّنة والشريعة فذلك هو الذي يكرمّه اللّه ويحبوه ويؤثره ويقدمه في المرتبة علىٰ سائر من يقف بين يديه ولايزال حافظاً له دائماً. قال وهذا الجمع اذا تفكرت فيه واخطرت ببالك كيف هو دَعَتك نفسك مع مايدعو اليه من التقبل له والامتثال لأثاره الىٰ ان تجد لهم فضلاً عما سوىٰ ذلك نحو سقراطيس وأوميروس وابقراط وفلاطون ومحبي هؤلاء واصدقائهم الذين يكرمهم كما يكرم المتألهين. واما سائر من يتبع اللّه ويلزم سبيله فليس منهم أحد يخذله اللّه لانه ليس يشتمل عنايته من في المدن من الناس المقيمين فقط لكنه يعنىٰ بمن يسير ايضاً في البحر فهذا من كلام جالينوس وأمثاله ممايدل علىٰ ان اهل هذه الصناعة خاصة ينبغي ان يكونوا في الغاية القصوىٰ من هذه الأوصاف المحمودة ولايرغبون في الدنيا ولايتكلمون علىٰ سعادة الجد فقط بل يأخذون نفوسهم باقتناء الفضائل علماً وعملاً كسيرة قدمائهم ليكونوا عند الملوك وسائر الناس بالصورة التي يستحقونها الجليلة الرفيعة وكيف لاتكون منزلتهم

---

٤١) وردت في الاصل (التابعون) والصحيح ما اثبتناه.

٤٢) وردت في الاصل (طالبي) والصحيح ما اثبتناه.

عندهم كذلك وقد ملّك الملك الطبيب نفسه وجسمه واطمأن اليه في روحه ومهجته ووثقه علىٰ حرمه واولاده ولاشيئ أعزّ من ذلك عند الملك، ولذلك يجب علىٰ الملك وعلىٰ جميع من لاذ به ان يعرفوا حق الطبيب وقدر صنعته فيجلونه ويكرمونه ويأنسوا به ولايدخلوا علىٰ قلبه رعباً ولايستقبلوه بما لايجب ولايقبلوا فيه قول واشٍ ولاحاسد ولايتهموه بل يُفعل معه كما فعل الاسكندر لما وجهت اليه أمه تحذّر من طبيبه لئلا يسمه فدعىٰ بالطبيب عند ورود الكتاب بذلك فقال جئني بشربة لاشربها فلما احضر له الطبيب الدواء تناول الاسكندر الشربة من طبيبه بيمينه وناوله الكتاب بيساره وقال له هذه منزلتك عندي وهذه ثقتي بك فازداد ذلك الطبيب من صرف همته وشغله ليله ونهاره بما يصلح شأنه من حفظ صحته وعلاجه.

وكذلك يجب علىٰ الطبيب ان يكون همته ليله ونهاره الدرس والاهتمام بعلم صناعته ليوجد عنده مايفزع اليه فيه وبذلك ينال الرتب عند اللّه وعند الملوك حتىٰ يشركهم في رتبهم وأموالهم كما حكىٰ جالينوس عن ماليقس [٤٣] الطبيب انه عالج بنات اوفروطس [٤٤] اللواتي وسوسن بشرب خربق [٤٥] وغيره وبرءن، انه صار ختناً للملك وشريكا في الملك وكذلك نال قوراليس الطبيب لما حملت الريح السفينة من البحر وصار الىٰ بلد فاريقي وعالج ابنة الملك لذلك البلد أزوجه الملك بابنته وورثه ملكه بعده. وكذلك حكي عن ارسطوطاليس حين دعاه بعض ملوك الروم لعلاج ابنه ولم يكن له سواه فنظر الفتىٰ وجس عرقه ورأىٰ ترتيب مجسته ترتيباً مستوياً بانقباض وانبساط فخمن ان الهه في نفسه لا في بدنه فأمر الطبيب بكراس جلس الملك والفتىٰ والطبيب عليها وأمر باعراض كل غلام وجارية في الدار عليهم ونبض الفتىٰ في يد الطبيب وهو لازم لترتيبه الىٰ ان مرت بعض الجواري فتغيرت المجسة واضطربت وفسد الترتيب وارتعد الفتىٰ وتغير فلما فطن الطبيب لذلك وعلم انه عاشق لها أمسك حتىٰ انقضىٰ المجلس وسأل الطبيب عن تلك الجارية فأخبر بانها محظية الملك التي لايرىٰ الدنيا الا بها، فانصرف ووعد الملك بالعود في غدٍ فلم يعد كراهة ان يلقىٰ الملك

---

٤٣) ماليقس ـ لعله يقصد لوقس، وهو طبيب عاصر جالينوس وقد الف له جالينوس كتاباً في التشريح (ابن ابي اصيبعة ص ١٣٨)

٤٤) افروطس ـ لم اقف له علىٰ ترجمة.

٤٥) الخريق ـ نبت تستعمل عصارته لعلاج الامراض العقلية والعصبية (ابن هبل ج٢/ ٩٤، ابن البيطار ج١/ ص١٥٤).

بذلك فأحضره الملك وسأله عن تأخره وقال له أنت تعلم شغل قلبي بابني وهو وارث الملك بعدي ومحله من نفسي، قال له الطبيب تأخرت حتىٰ وقفت علىٰ دائه، قال وماهو؟ قال عاشق لامرأتي، فأطرق الملك ثم قال للطبيب فماذا ترىٰ؟ قال الرأي للملك لالي، قال أرىٰ لك ان تؤثرني بها، قال له ايها الملك ويستحسن هذا؟ فقال نعم ان الملك يعوضك مكانها ويخلفها عليك ويعطيك أملك، فقال ان كان الملك يرىٰ هذا ويستحسنه فان الفتىٰ انما هو عاشق جارية الملك. فأورد علىٰ الملك من ذلك أمراً عظيماً، فاطرق الملك مفكراً طويلاً، قال له الطبيب أيد اللّه الملك ان من النساء عوض وهن موجودات في كل وقت ووارث الملك ولده المجيب العاقل اللبيب ليس في كل دهر يتهيأ ويوجد وليس فيه عوض، فركن الملك الىٰ قوله وزوج الفتىٰ جاريته فبرئ، فأمر الملك بحمل الطبيب علىٰ مركوب من مراكبة وساق اليه عدة من دوابه ووصله بعشرة أرطال من الذهب وخلع سنية. وحكىٰ عيسىٰ بن ماسه [٤٦] الطبيب انه اخبره يوحنا ابن ماسويه [٤٧] ان الرشيد رحمه اللّه قال لجبرئيل [٤٨] وهو حاج بمكة ياجبرئيل علمت مرتبتك عندي؟ قال ياسيدي وكيف لااعلم، قال له دعوت لك واللّه في الموقف دعاء كثيراً ثم التفت الىٰ بني هاشم فقال عسىٰ انكرتم قولي له فقالوا له ياسيدنا ذمّي، فقال نعم ولكن صلاح بدني وقوامه به وصلاح المسلمين بي فصلاح المسلمين بصلاحه وبقائه، فقالوا صدقت ياأمير المؤمنين [٤٩]. قال واخبرني يوحنا بن ماسويه انه اكتسب من صناعة الطب ألف ألف درهم [٥٠] وعاش بعد قوله هذا ثلاث سنين أُخر وكان الواثق مشغوفاً ظنيناً به فشرب يوماً عنده فسقاه الساقي شراباً غير صافٍ ولا لذيذ علىٰ ماجرت به العادة، وهذا من عادة السقاة اذا قُصّر في بُرهم، فلما شرب القدح الأول قال ياأمير المؤمنين اما المذاقات فقد عرفتها وعدتها ومذاقة هذا الشراب خارجة عن

---

٤٦) عيسىٰ بن ماسة ـ من اطباء بغداد في القرن الثالث للهجرة/ التاسع للميلاد، وله اكثر من ثمانية مؤلفات جميعها في الطب سوىٰ واحداً في الفلك والنجامة (ابن النديم ص٢٩٦، ابن ابي اصيبعة ص٢٥٧، القفطي ص٢٤٦)

٤٧) يوحنا بن ماسويه ـ اشهر اطباء جنديسابور، ودخل بغداد بخدمة المامون والمعتصم والمتوكل بالتعاقب وتوفي سنة ٢٤٣ للهجرة، وله زهاء خمسة وخمسين كتاباً (الفهرست لابن النديم ص٢٩٥ ـ ٢٩٦، ابن جلجل ص٦٥ ـ ٦٦، وابن ابي اصيبعة ص٢٤٦ ـ ٢٥٤)

٤٨) جبرائيل ـ سبقت ترجمته في الباب المتقدم

٤٩) ابن ابي اصيبعة ص١٩٢

٥٠) المصدر المتقدم ص١٩٤ ـ ١٩٥

طبع المذاقات كلها، فوجد أمير المؤمنين على السقاة وقال تسقون اطبائي وفي مجلسي بمثل هذا الشراب، وأمر ليوحنا بهذا السبب وفي ذلك الوقت بمائة ألف درهم ودعا[٥١] بسّمانة الخادم فقال له احمل اليه المال الساعة، فلما كان وقت العصر سأل سمّانة هل حمل مال الطبيب ام لا؟ فقال لابعد، فقال يحمل اليه مائتا ألف درهم الساعة، فلما صلوا العشاء سأل عن حمل المال فقيل له لم يحمل بعد، فدعا سمّانة وقال له احمل اليه ثلثمائة الف درهم، فقال سمّانة لخازن المال احملوا مال يوحنا والا لم يبق في بيت المال شيْ، فحمل اليه من ساعته[٥٢]، قال وأخبرني يوحنا ايضاً عن المعتصم انه قال: سلمويه[٥٣] طبيبي أكبر عندي من قاضي القضاة لان هذا قاضي وهو يحكم في مالي والطبيب عندي يحكم في نفسي ونفسي أشرف من مالي وملكي[٥٤] ولما مرض سلمويه الطبيب امر المعتصم ولده ان يعوده فعاده ثم قال انا أعلم واتيقن ان لاإعيش بعده، ولم يعيش بعده تمام السنة. وحكي عن اسرائيل بن زكريا الطيفوري [٥٥] انه وجد على أمير المؤمنين المتوكل لما احتجم بغير اذنه ولا عن أمره فافتدى غضبه بثلاثة الاف دينار وضيعه تغل في السنه خمسين الف درهم وهبها له وسجل له بها، قال: ورأيت المتوكل وقد عاده يوماً آخر وقدغشي عليه فصيّر بيده تحت رأسه مخدة ديباج ثم قال للوزير ياعبدالله هذا يحبني وحياتي معلقة بحياته ان عدمته لاأعيش[٥٦] ثم اعتل فوجه اليه بسعيد بن صالح حاجبه وموسى بن عبد الملك كاتبه يعودانه قال ورايت بختيشوع بن جبرائيل وقد أعتل فأمر أمير المؤمنين المتوكل المعتز ان يعوده وهو اذ ذاك ولي عهد فعاده ومعه محمد بن عبد الله بن طاهر ووصيف التركي. قال وأخبرني ابراهيم بن محمد المعروف بابن المدبّر ان المتوكل أمر الوزير وقال له شفاها اكتب في ضياع بختيشوع فانها ضياعي وملكي فان محله منا محل ارواحنا من أبداننا. قال ورأيت ابراهيم بن أيوب

---

٥١) وردت في الاصل (دعى) والصحيح ما اثبتناه.

٥٢) ابن ابي اصيبعة ص٢٤٦

٥٣) سلموية بن بنان - طبيب الخليفة المعتصم بسامراء. وكان اعلم زمانه في الطب واكثرهم خطوة من لدن المعتصم. توفي سنة ٢٠٧ هـ (ابن ابي اصيبعة ص٢٣٤ - ٢٤١)

٥٤) ابن ابي اصيبعة ص٢٣٤

٥٥) اسرائيل بن زكريا الطيفوري - طبيب الخليفة المتوكل والفتح بن خاقان (ابن ابي اصيبعة ص٢٢٥).

٥٦) ابن ابي اصيبعة ص٢٢٥

الأبرش [٥٧] وقد عالج اسماعيل أخا المعتز وبرئ فكلمت امه قبيحة المتوكل ان يجيزه فقال لها لاتجيزيه ليس عندك ماتعطيه حتىٰ أعطيه أنا مثله وابراهيم واقف بين ايديهما فأمرت قبيحة فاحضرت بدرة دراهم لابراهيم وأمر المتوكل باحضار مثل ذلك ، فاحضرت قبيحة بدرة أخرى فأمر المتوكل باحضار مثل ذلك ، فاحضرت قبيحة بدرة أخرى ، فأمر المتوكل باحضار مثلها ، فلم يزالا يأمران باحضار بدرة حتى أحضرت ست عشرة بدرة ، فأوصت قبيحة الى جانبها ان تمسك ، فقال ابراهيم سراً الا تقطعى وأنا أرد عليك ، فقالت لـه أملأ الله عـين الآخر ، فقـال لها المتـوكل والله لو اعطيتيه الى الصباح لأعطيته مثل ذلك ، فحملت البدر الى منزل ابـراهيم[٥٧] ، قال وأخبرني يوحنا من ماسويه ان اسرائيل الكبير المعروف بابي قريش [٥٨] كان صيدلانياً يعقد على باب قصر الخليفة ، وكان ديناً صالحاً في نفسه ، وان الخيزران جارية المهدى وجهت بمائها [٥٩] مع جارية لها الى طبيب فخرجت الجارية من القصر فأرت اسرائيل الماء فقال لها (. . .) هذا ماء إمراة حبلى بغلام ، فرجعت جارية الخيزران بالبشارة [٦٠] فقالت لها ارجعي اليه واستقصى المسألة عليه ، فرجعت فقال لها ماقلت حق ، ولكن ماعليك ، البشرى ؟ قالت كم تريد ؟ فقال جام فالوذج ، وخلعه سرية فقالت لو ان كان هذا حقاً فقد سُقت الى نفسك خير الدنيا ونعيمها وانصرفت، فلما كان بعد اربعين يوما احست الخيزران بالحبل فوجهت اليه ببدرة دراهم وكتمت الخبر عن المهدي ، فلما مضت الأيام ولدت موسى[٦١] أخا هرون الرشيد، فعند ذلك أعلمت المهدي وقالت له ان طبيباً

---

[٥٧] ابراهيم بن ايوب الابرش ـ طبيب اسماعيل اخي المعتز، وقد حصل من ابيه الخليفة المهدي وامه قبيحة علىٰ هدايا سنية ضخمة (ابن ابي اصيبعة ص٢٤١)

[٥٨] في عيون الانباء لابن ابي اصيبعة ان ابا قريش اسمه عيسىٰ لا إسرائيل كما هو وارد في هذا الكتاب، وإذ ان اسحاق بن علي الرهاوي هو مصدر لابن ابي اصيبعة في هذه الاخبار فقد يكون الاصح ان اسم ابا قريش هو اسرائيل لاعيسىٰ.

[٥٩] الماء في هذا التعبير هو البول

[٦٠] وردت هذه الحكاية في كتاب عيون الانباء لابن ابي اصيبعة ص٢١٥.

[٦١] موسىٰ ـ هو موسىٰ الهادي كبير ابني هارون الرشيد، وكنيته ابو محمد، ولي الخلافة سنة وبضعة اشهر وتوفي سنة ١٧٠ للهجرة

علىٰ الباب اخبرني بهذا منذ تسعة أشهر، وبلغ الخبر جورجس بن جبرئيل[٦٢] فقال كذب ومخرفة، فغضبت له الخيزران وأمرت فاتخذ له بين يديها وهي قائمة مشدودة الوسط مائة خوان فالوذج وجهت بذلك اليه مع مائة ثوب وفرس بسرجه ولجامه ومامضىٰ بعد ذلك الا قليل حتىٰ حبلت بأخيه هرون الرشيد، فقال جورجس للمهدي جرّب انت هذا الطبيب، فوجه اليه بالماء فلما نظر اليه قال هذا ماء ابنتي ام موسىٰ وهي حبلىٰ بغلام آخر، فرجعت الرسالة بذلك الىٰ المهدي واثبت اليوم عنده، فلما مضت الايام ولدت هرون فوجه المهدي الىٰ اسرائيل فأحضره واقيم بين يديه فلم يزل يطرح عليه الخلع وبدر الدنانير والدراهم حتىٰ علت رأسه وصير هرون وموسىٰ في حجره وكنّاه ابا قريش اي ابا العرب فقال لجورجس هذا شئ انا بنفسي جربته فصار ابا قريش نظير جورجس وجبريل بل اكثر منه حتىٰ تقدمه في المرتبة وتوفي المهدي واستخلف هرون الرشيد وتوفي جورجس وصار جبرئيل ابنه[٦٣] يتبع ابي قريش في خدمة الرشيد فخلف اثنين وعشرين الف دينار مع نعمة سنية وكان تلميذاً في بيمار ستان جندي سابور ثلاثين سنة، فلما ارتفع جبرئيل قال ماسويه[٦٤] يوماً من ذلك هذا جبرئيل قد بلغ (الصكاك) ونحن في البيمارستان[٦٥] فبلغ ذلك جبريل فوجه واخرجه من البيمارستان فبقي منقطعاً به فصار الىٰ بغداد ليعتذر الىٰ جبريل ويخضع فلم يزل علىٰ بابه دهراً طويلاً فلم يأذن له ويتراءىٰ له اذا ركب فلم يكلمه، فلما ضاق به الأمر ولم يبقَ معه نفقة صار الىٰ دار الروميين التي في الجانب الشرقي فقال لقس البيعة اكرز لي لعل يقع لي شئ وانصرف فان ابا عيسىٰ[٦٦] ليس يرضىٰ عني ولايكلمني فقال له القس كنت في البيمارستان ثلاثين سنة ولست تحسن شيئاً من الطب؟ قال بلىٰ انا كحال واعالج الجراحات. فاتخذ له

---

٦٢) جورجس بن جبرائيل ـ لانعلم ان لجبرائيل ولد باسم جورجيس، ولكن ذلك لاينفي رواية اسحاق بن علي الرهاوي، وجورجيس علىٰ اي حال هو اسم جده الاعلىٰ الذي دخل بغداد ليطبب الخليفة المنصور فلا يستبعد ان يكون لجبرائيل ولد باسم جورجيس.

٦٣) جبرائيل الذي خدم هارون الرشيد اثنتين وعشرين سنة هو ابن بختيشوع بن جورجيوس، فلابد ان يكون ثمة خطا في هذه الرواية

٦٤) ماسويه هو ابو يوحنا، وقد خدم هارون الرشيد والمامون، ولم يكن عالماً بالطب كابنه يوحنا (ابن ابي اصيبعة ص٢٤٢ ـ ٢٤٦)

٦٥) البيمارستان ـ تعبير فارسي معناه (مرضىٰ/ دار) دار المرضىٰ اي مستشفىٰ.

٦٦) ابو عيسىٰ هو جبرائيل بن بختيشوع.

صندوقاً واعطاه لبداً وأجلسه علىٰ باب المحرم علىٰ باب الفضل بن الربيع[٦٧] الوزير فلم يزل يكسب الخمسة والعشرة الدراهم والأقل والأكثر الىٰ ان حسنت حاله قليلاً فاشتكت عين خادم الفضل بن الربيع وكان يعزّه فوجه اليه جبريل بالكحالين فعالجوه بكل صنف من العلاج فلم ينتفع به واشتد وجعه حتىٰ طار النوم عن رأسه واصابه أرق شديد فخرج من القصر هائماً على وجهه من الضجر فرأى ماسويه فقال له ياشيخ ماتصنع ها هنا، ان كنت تحسن شيئاً من الكحل عالجني والا فقم من ها هنا، فقال ياسيدي أحسن وأجيد، فقال داوني، فدخل اليه وقلب جفنه وكحله وسكب على رأسه وسعطه فنام الخادم وهدأ فلما اصبح وجه الى ماسويه بساف خبز سمين وجام حلوى وجدي ودجاجة وديناران وعشرة دراهم، فقال هذا لك في كل يوم والديناران والدراهم في كل شهر فبكا ماسويه فرحاً وتوهم الرسول انه قد استقله فقال لاتغتم فانا نزيدك فقال ياسيدي رضيت منك ان تدر علي هذا ولا اريد منك الزيادة، فلما رجع الفضل اخبره خادمه بما كان فكان بين مصدق ومكذب فلم تمضِ الايام والليالي حتى اشتكت عين الفضل بن الربيع نفسه فوجه اليه جبرئيل الكحالين فلم يزالوا يعالجوه فلم ينتفع بشيء من ذلك فأدخل الخادم ماسويه اليه ليلاً فلم يزل يكحله الى ثلث الليل ثم سقاه .حب الايارج فحركه خمس مجالس واصبح وقد برأت عينه فحضر جبرئيل فقال الفضل ياابا عيسىٰ هاهنا رجل طبيب يقال له ماسويه من افره الناس بالكحل فقال جبرئيل ومن هذا، هو الذي يجلس على الباب قال نعم، فقال هذا كان اكاراً لي فلم يصلح للأكاريين[٧١] فطردته وماعالج الطب قط فان شئت فأحضره وانا حاضر، وتوهم جبرئيل حين يدخل يسجد ويقف بين يديه، وأمر فاحضر ماسويه، فدخل وسلّم وجلس بحذاه، فقال له جبرئيل: ماسويه صرت طبيباً فقال له ألم أزل طبيباً، انا خادم في البيمارستان منذ اربعين سنة تقول لي هذا القول؟ فانصرف جبرئيل وهو خجل وأجرىٰ الفضل علىٰ ماسويه ثلثمائة درهم[٧١] في كل شهر وعلوفه دابتين ونزل

---

٦٧) الفضل بن الربيع ـ وزير هارون الرشيد ثم ابنه الامين ثم اخيه المامون توفي سنة ٢٠٩ للهجرة.

٦٨) وردت في الاصل (رجلاً طيباً) والصحيح ما اثبتناه.

٦٩) الاكار ـ هو التابع في الخدمة.

٧٠) وردت في الاصل (للاكارون) والصحيح ما اثبتناه.

٧١) وردت في الاصل (درهماً) والصحيح ما اثبتناه.

خمسة أنفس ووجه فحمل عياله من جنديسابور [٧٢] ويوحنا معهم صنبياً فما مضت الأيام والليالي حتىٰ اشتكت عين الرشيد فقال له الفضل ياأمير المؤمنين طبيبي ماسويه ليس له نظير وخبر قصته في نفسه وبقصة غلامه، فأمر الرشيد فأحضر ماسويه، فقال له تحسن شيئاً من الطب سوىٰ الكحل؟ قال له ياأمير المؤمنين وكيف لاأحسن وانا اخدم المرضىٰ في البيمارستان منذ اربعين سنة؟ فقال أدن مني، فدنا ونظر الىٰ عينيه فقال: الحجّام ياأمير المؤمنين فحجمه علىٰ ساقيه، وكحله، وقطر في عينيه فبرئ بعد يومين فأجرىٰ له الفي درهم في كل شهر وعلوفة ومنزلاً والزمه الخدمة، فصار نظير جبرئيل في الدار ويحضر بحضوره ويصل حيث يصل الا ان ارزاق جبرئيل كانت في ذلك الوقت خمسة آلاف ومعونة خمسين ألف درهم وانزاله ضعف ما أجري لماسويه. واعتلت (بانو[٧٣]) أخت الرشيد فلم يزل جبرئيل يعالجها بأنواع العلاج فلم تنتفع به فأغتم الرشيد بعلتها، فقال ذات يوم ان ماسويه الكحال قال لنا انه خدم في البيمارستان للمرضىٰ أربعين سنة فليدخل علىٰ عليلتنا فلعل عنده من أمرها حيلة، فأحضر جبرئيل وماسويه فقال ماسويه لجبرئيل بماذا عالجتها منذ اول يوم أعتلت الىٰ هذا اليوم، فلم يزل جبرئيل يصف ماعالجها به، فقال ماسويه: اما العلاج فصالح والتدبير مستقيم[٧٤] ولكني احتاج أراها، فأدخل اليها، فلما نظر اليها وتأملها وجس عرقها قال لأمير المؤمنين: طول البقاء لك ياأمير المؤمنين هذه تفضي بعد غدٍ مابين ثلاث ساعات الىٰ نصف الليل، فقال جبرئيل تعيش وتبرأ، فأمر الرشيد ان يجلس ماسويه في بعض دوره في القصر، فقال والله (لاغرقن) ذلك ولأسرته فوالله مارأينا بعلم الشيخ بأساً، فما حضر الوقت الذي حدده توفيت[٧٥] فلم يكن للرشيد همة حين دفنها حتىٰ جلس وأحضر ماسويه فساءله واعجب به، وكان اعجمي اللسان ولكن كثير التجارب، فصيّره نظير جبرئيل بن بختيشوع في الرزق والمعونة والإنزال والمرتبة وغير ذلك، ثم اتخذ ماسويه علماء وحكماء يعلمون ابنه يوحنا فخرج فاضلاً في اهل عصره في العلم وكذلك جبرئيل ايضاً علم بختيشوع ابنه فخرج أديباً فاضل النفس، فلما توفي الرشيد وتوفي ماسويه وافضت الخلافة

---

٧٢) جنديسابور - هي العاصمة العلمية للساسانيين بالاهواز، وقد بناها سابور الاول واسس فيها كسرىٰ انو شروان مستشفىٰ ومدرسة طبية

٧٣) وردت في الاصل (بانوا) والصحيح ما اثبتناه.

٧٤) وردت في الاصل (مستوىٰ) والصحيح ما اثبتناه.

٧٥) نقل ابن ابي اصيبعة هذه الحكاية الىٰ كتابه العيون ص٢٤٤.

الى المأمون صار يوحنا طبيب المملكة وأقرّ الناس انه ماخدم ولد العباس قبله مثله. فما ذكرته من هذه الأخبار في هذا الباب كفاية في الدلالة على منزلة الأطباء بحسب مراتبهم من صناعة الطب عند الملوك وافاضل الناس.

في نوادر جرت لبعض الأطباء بعضها من جنس تقدمة المعرفة وهي تحث الطبيب علىٰ تعرف طرق الانذار وبعضها مستظرفة تحث الطبيب على اختبار تحصيل مستطبه لئلا ينسب الفساد الىٰ الطبيب

ان اعظم آفات الطبيب والمريض جميعاً سوء تحصيل المريض ومن يخدمه اذ كان من الناس من هم قليلو [٧٦] التحصيل في حال صحتهم لايفهمون مايخاطبون به ولايعون مايشار به عليهم فكيف في حال المرض، فلذلك يجب علىٰ الطبيب قبل ان يشير علىٰ المريض بمشورة ان يختبر عقله وتحصيله وعقل خادمه المتولي لخدمته فان وثق بجودتهما أشار بما يراه من الأدوية والتدابير وان لم يثق بصحتهما أمسك لئلا يقع التصحيف والاشتباه في أسماء الأدوية وفي مقاديرها وفي اصلاحها وفي اوقات استعمالها فيهلك بذلك المريض وينساق الىٰ الطبيب التهمة وسوء الذكر مع ما[٧٧] يضيع من تعبه كالذي يعرض لمن بذر بذراً جيداً نقياً في ارض ردية فأن بزره يهلك وتعبه يضيع وماذكرناه من هذا المعنىٰ هو داخل في قول بقراط الذي أمر به الطبيب ان لايقتصر علىٰ ان يعمل ماينبغي ان يعمله الطبيب من المشورة بما يجب فقط علىٰ القوانين التي رسمها له ابقراط وغيره ويهمل مايحتاج اليه المريض من الأمور النافعة في علاجه فان ذلك غير كافٍ في علاج المريض ولايصدق حينئذ القوانين ولاتصح الاحكام الا مع إحكام جميع تلك الأشياء التي احدها ماذكرناه من تحصيل المريض وخدمه مع ثقتهم علىٰ المريض ومحبتهم لصلاح حاله، وهذا قول بقراط بلفظه، قال بقراط: وقد

---

٧٦) وردت في الاصل (قليلي) والصحيح ما اثبتناه.

٧٧) وردت في الاصل (معما) والصحيح ما اثبتناه.

ينبغي لك الاّ تقصر على توخي فعل ماينبغي دون ان يكون المريض ومن يحضره كذلك، والاشياء التي من خارج. يشك من يفهم ان قوله المريض ومن يحضره انه الى ما قلناه (أشار) ولما كانت هذه المشورة التي أشار بها بقراط قد أهملها كثير من المتوسمين بصناعة الطب اما لجهل بها او لتغافل عنها بقصد لتسوغ لهم الحيلة على التكسب والانتفاع بالعامة وساعدهم على ذلك تركهم وما يعملونه من انواع الخطأ المفسد لمحاسنها الملوك ومن اليه النظر في مصالح الناس فانهم لما أهملوا النظر في هذه الصناعة الجليلة المصلحة لنفوس الناس وأجسامهم، اتسعت الحيلة لأهل الشر بها وقلت المبالاة بالفساد الداخل من جهة إفساد الداخلين فيها، من ذلك مايشاهد من مشورة الاطباء بغير توقف ولابحث ولا قانون صناعي علىٰ كل من جاءهم من اي اصناف الناس كان قد جرت عادات كثير من الناس ان يوجهوا بقارورة الماء الىٰ الطبيب مع أدون خدم المنزل اما صبي او عجوز او مملوك اعجمي وقصدهم بذلك ان يفهم عن الطبيب كلما يحتاج اليه المريض بغير شك ان الطبيب لايمكنه ان يشير بشيئ او يفهم جميع حالات المريض، افترىٰ ليت شعري من يفهم ذلك ؟ الصبي ام العجوز ام الاعجمي؟ فما يتمالك الطبيب ان ينظر في القارورة حتىٰ قد بادر بالصفة وأمر ايضاً غلامه بدفعها الىٰ الرسول ان كان ممن يرجي اخذ فضته فأقسم بالله ان كثيراً من هؤلاء الأطباء لو ساءله سائل ماالذي علمته من العلامات من هذا الماء الذي رأيته ولمَ وصفت ماوصفته؟ لما وجد عنده جواباً يقنع به السائل له. ولا فيهم من يتوقف الىٰ ان يجد من فيه تحصيل لئلا تفوته الفضة ولامن يخشىٰ من عتب عاتب ولا من يخاف لوم لائم، ولذلك قد فشا فيهم الكسل وسهل عليهم التواني فلا ناظر في علم ولا قارئ لكتاب ولايجد منهم من يسأل عن تعلم شيئ من الصناعة ولا من يذاكر صاحبه في مسألة او في أمر دواء أو غيره، لكنه من يفرغ من كسب الدراهم تشاغل لشرب الاقداح الكبار واللعب بالشطرنج وأشباه ذلك. واذا كان الأمر علىٰ ماحكيناه، فلذلك يكون الاطباء مسرورين[٧٨] بقلة فهم من يشاورهم فرحون بسوء تحصيلهم، فأما ان جاءهم[٧٩] احديستفهمهم أمر مرض من الأمراض او امر سبب علامة او يناظرهم في دواء من الادوية او بعض اجزاء الطب هربوا من كلامه واجتهدوا في ان لايجمعوا[٨٠] معه في موضع من المواضع لئلا يتكشف بذلك جهلهم عند

---

٧٨) وردت في الاصل (مسرورون) والصحيح ما اثبتناه.

٧٩) وردت في الاصل (جائهم) والصحيح ما اثبتناه.

٨٠) وردت في الاصل (يجتمعون) والصحيح ما اثبتناه.

العامة ويفتضح وهمهم وكيف لايهرب هؤلاء الاطباء من الاحاد المناظرين لهم علىٰ صناعتهم وهم يخدمون ألوفاً من الناس لايعرفون من خطأهم شيئاً يتصورونه صورة الصواب، ويعتقدون في اطبائهم انهم حذاق بسبب صناعة الطب والسبب في ذلك مع جهلهم وقلة انتقادهم انهم يجدونهم يتولون لهم ويكثرون الترداد الىٰ منازلهم ويرخصون عليهم الادوية وكثير منها يأخذونها بغير ثمن، فهم لذلك أفاضل عندهم ولايفكرون في ان يهلكون عند امراضهم بتدبير هؤلاء الاطباء لهم. وكيف لايكون بهذا الجهل وسوء العقل والبحث قوم لم يتأدبوا[٨١] ولاعرفوا من امور الدنيا شيئاً الىٰ مباكرتهم الىٰ التكسب بالصنائع وتشاغلهم نهارهم اجمع بالحيلة علىٰ جمع الدراهم ثم اذا انصرفوا الىٰ منازلهم نعسوا وناموا، كذلك يجري امرهم طول زمانهم، اترىٰ من اين يقتني امثال هؤلاء ادباً او علماً[٨٢] وهل منزلة هؤلاء ومن هم بصورتهم من الاطباء الا بصورة البهايم التي هي سائرة مع طبعها.
ولقد سألني شيخ من ابناء السبعين سنة وفوقها يوماً وقد كنت أشرت عليه بأن يغذي مريضاً كان له كنت اعوده بمزورة[٨٣] وهو واقف بين يدي قصاب قد ذبح شاة مسنة هرمة فقال لي: هل اخذ من هذا اللحم؟ فقلت: ولِمَ تسألني عن ذلك؟ فقال اردت هل يصلح للمزورة التي اشرت بها؟ فنظرت اليه متعجباً منه، فقال لي: أراك تنظر الي ولاتجيبني، قلت: نظري اليك تعجباً منك وانت شيخ لك فوق السبعين سنة ولاتعلم ان المزورة لاتكون بلحم، ولو صلح ان تكون بلحم هل كان يجوز أن يكون من هذا اللحم، ليس العجب منك، العجب ممن يدبّر مريضاً لك. ولم أعد الىٰ مريضه خوفاً ان يجني ماهو أعظم من هذا فينسب اليّ. ومثل ذلك ايضاً جرىٰ لي مع آخر من السوقة بحلب كان به إسهال دفعت اليه سفوفاً وأشرت عليه ان يغتذي بمزورة (نيرباخ)[٨٤] فلما جاءني في الغد شكا وقوف حاله فأمرته بمعاودة تدبيره بعينه فأخذ يذم المزورة ويحلف انه لاعاودها، فقلت لأي سبب؟ فقال لانها لم تكن طيبة، فعلمت انه لم يهتد[٨٥] الىٰ جودة عملها لانه لم يكن خبيراً بالطبيخ وكان عازباً،

---

٨١) وردت في الاصل (يتادبون) والصحيح ما ابتناه.

٨٢) وردت في الاصل (ادب وعلم) والصحيح ما ابتناه.

٨٣) الطعام المزوّر هو الذي يخلو من اللحم، ويزوّر ليظهر فيه وكانه يحتوي عليه.

٨٤) مزوّرة نيرباج ـ لم اقف علىٰ تعريف هذه المزورة.

٨٥) وردت في الاصل (يهتدي) والصحيح ما ابتناه.

فقلت: صف لي كيف عملتها؟ فقال أتراني لاأحسن اصلح مزورة؟ فقلت ومايضرك ان تعرض عليّ ماعملته، قال: دققت الزبيب والحب رمان وعزلتهما ثم وضعت الماء علىٰ النار وثردت الخبز وقطعت البصلة وطرحتها مع قليل ملح وذلك الزبيب والحب رمان علىٰ الخبز المثرود، وصببت عليه الماء الحار وغطيته قليلاً وأكلته[٨٦]، فما كان طيّب أحب الا تصف لي شيئاً آخر مزورة فاني ماأصبر علىٰ عملها. ولقدحكىٰ الثقات من افاضل من بالرقة عن طبيب كان يقال له موسىٰ انه أمر يوماً لعليل شكا اليه مرضاً وجده فأمره ان يحبس ماءه ويجيء به باكراً، فلما كان في السحر واذا بصائح من باب داره يصيح ياابا عمرو ان الحقني الله الله فيّ اغثني. فقال لغلامه: بادر فان بعض الاهل استقضىٰ وخرج وتبع هو غلامه فاذا بذلك الانسان أحليله في يديه وهو يصيح ويضج، فقال له موسىٰ الطبيب: ياهذا الرجل ماشأنك؟ قال: قلت لي إحبس الماء ولي من الثلث الأخير حابسه وهو ذا أموت، فقال له: بادر ياهذا بُلْ. فلما بال وفرج عنه واستراح قال ياهذا انما قلت تبول في اناء وتحبس ماءك ليس هكذا. فقال: ماعلمت، أجيك غداً به، فلما كان من الغد جاء بالماء في كوز من خزف. فمن هذه مقادير (افهامهم) هل يجوز للطبيب ان يعوّل علىٰ تحصيلهم في أمور أدوية المرضىٰ وتدابيرهم. واعجب ماذكرته ماجرىٰ ليهودا بن ابي البقاء[٨٧] الطبيب مع امرأة جاءته بماء في قدح فنظر اليه فأشار بما رأىٰ في الوقت فانحرفت المرأة الىٰ ورائه قليلاً ثم اخرجت القدح ثانية فانكر أمرها، ثم قال أليس قد رأيت هذا واشرت؟ فقالت ليس هذا ذاك، فأشار بما رأىٰ ايضاً. ثم انتظرت قليلاً وعاودته بالقدح فزاد انكاره في الأمور وأخذ في تقصي أمرها، فقالت: ياسيدي لاتنكر امري فان لي جماعة من جيراني أعلام فلما علموا أني اريد ان ابكر الىٰ الطبيب حمّلوني قواريرهم فلم أطق حملها فجعلتها كلها في هذه القنينة ومنها هوذا أصب من القدح وأريك اياه، فلما سمع ذلك قال لمن حضر عنده يلومني اذا امتنعت من الوصف لكل من جاءني ولعله ان ينسب ذلك مني الىٰ بخل او اسف، ايجوز للطبيب مع ماهو ذا يرون ان يصف لكل واحد؟ وحكىٰ في الوقت انه امتحن فهم انسان جاءه يتشكىٰ في الوقت وجعاً[٨٨] به فأشار عليه بقرص يأخذ منه يومه ذلك نصفه، ولغده

---

٨٦) وردت في الاصل (قليل) والصحيح ما اثبتناه.

٨٧) يهودا بن ابي البقاء

٨٨) وردت في الاصل (وجع) والصحيح ما اثبتناه.

نصفه، وبعد غده نصفه، فسمع ذلك الانسان قوله ولم ينكر منه شيئاً[٨٩] ومضىٰ فقال ياقوم كيف اشير علىٰ من لايعلم ان القرص لايجوز يكون له ثلاثة انصاف. ومن النوادر التي جرت لبعض الاطباء ببغداد مع بعض الناس انه جاء ذلك الانسان الىٰ الطبيب فشكا اليه انه يجد مغساً فسأله الطبيب اي شئ اكلت فقال أكلت خبزاً محترقاً، فاخرج الطبيب من (داوروانه) مكحلة وميلاً وتقدم ليكحله فقال له ياهذا وماالذي ينفع الكحل للمغس؟ قال قصدي اعالج عينيك. قال عيني صحيحة لاعلّة بها قال له الطبيب لو كان الأمر كما ذكرت لكنت حين رأيت الخبز محترقاً لم تأكله. ومن طرائف مايجري علىٰ الاطباء من العامة الجهال مع كثرتها وامتناع أحصائها ماحكاه لي من أثق بقوله انه جرىٰ بالموصل لرجل من المياسير مع طبيب كان له، قال: أصلح له طبيبه شربه مطبوخة ووجه بها اليه في قدح مسدودة وتقدم اليه ان يشربها نصف الليل ولايتحرك بعد شربها بل يضطجع علىٰ فراشه، فتقدم الىٰ جاريته ان تضع القدح في كوة في البيت الذي هو نائم فيه ليقوم نصف الليل ويشرب الدواء. فاتفق انه قام وتشاغل ونسي ان يشربها وعاد الىٰ نومه وأصبح وهو يظن انه قد شربها، فلما أصبح النهار ولم يقم شئ[٩٠] وجه الىٰ الطبيب ان الشربة لم تعمل شيئاً فما الذي تراه؟ فأمره بالمشي والانتظار، فلما انتصف النهار جاءه الطبيب فوجده عاتباً عليه ويقول انك قد قصرت في إصلاح الشربة، فحلف له الطبيب انه لم يقصر فيها، ولكن أدفعوا الىٰ الغلام (قدحاً لاوجد فيه مايحرك فعل الدواء)، فلما طلبوا القدح وجدوه والشربة فيه بحالتها فقال: أنسيت شربها. فهذه الاشياء وأمثالها مماتدل علىٰ قلة التحصيل وهي توجب علىٰ الطبيب التوقي والتحرز، ولذلك ذكرناها هاهنا، فيجب ان يتأدب بها وبامثالها عقلاء[٩١] الاطباء ولايستهينوا بها.

٨٩) وردت في الاصل (شئ) والصحيح ما ابتناه.

٩٠) وردت في الاصل (شيئاً) والصحيح ما ابتناه.

٩١) وردت في الاصل (عقالاً) والصحيح ما ابتناه.

في أن صناعة الطب لايصلح ان يعملها كل من التمسها لكن اللائقة بهم في خلقهم واخلاقهم

وكما ان الخمرة الفائقة في الجودة ايها الحبيب لايصلح ان تحفظ في أي أناء اتفق لكن الحافظ عليها لذيذ مذاقها وصفاء لونها وطيب رائحتها وبالجملة سائر حالاتها المحمودة انما هو أناء موافق محمود وكذلك الحال في سائر العلوم واصناف الحكم فانه ليس يصلح ان تودع في سائر النفوس لكن من النفوس الموافقة لها. ولأن النفوس في قواها وافعالها تتبع امزجة ابدانها، فلذلك ينبغي للمعلم ان يختبر من المتعلم حالات نفسه قبل ان يعلّمه فان وجدها موافقة للتعليم أخذ في تعليمه وأن وجدها غير موافقة رام أصلاحها فان تهيأ صلاحها والا صان العلم كالذي يعمله الزراع الحاذق الشفقة علىٰ الحب فانه متىٰ لم يجد الأرض نقية ولم يطمع في تنقيتها حفظ حبه ولم يضيعه. ولان الاسباب التي تعوق المعلم عن التعليم خاصة لصناعة الطب هي عدة اسباب والعلم بها ضروري، فلذلك ينبغي ان تضم الىٰ الأصول التي هي ضامة لها لكي تسهل معرفتها وهذه الأصول هي ثلاثة احدها خروج مزاج البدن عن الاعتدال واعني بخروج المزاج عن الاعتدال الى الخروج الذي معه تتغير افعال النفس واخلاقها. والثاني ألف العادات المذمومة في مصاحبة الأشرار ومؤانسة الجهال واتباع افعالهم واستحسان اخلاقهم. والثالث هو اجتماع الأمرين جميعاً وذلك هو اعظم فساداً وأعسر صلاحاً وان ينضاف الىٰ ذلك ان يكون طالب تعلم صناعة الطب خاصة ليس قصده تعلمها لشرفها من نفسها ولاحلاوة منافعها لذاته ولجسمه ولأجسام ابناء نوعه لكن

قصده لتعلمها انما هو لاسباب دنيائية من مال وسلطان او غير ذلك فانه في الاحرىٰ الا ينال منها كثير منال ولايحظىٰ بما رجاه. بل لايؤمن عليه ضد ذلك مما أقل لانه دائماً يخجل بين العلماء ويفتضح في اعماله عند الأدباء والرؤساء واذا عُلم منه انه معرض لما لايقوم به تيقن علمه كان تحت اخطار تقوده الىٰ الهلاك. ومن المشهور ان اليسير من علم صناعة الطب تضر ولاتنفع، وذلك لان أصغر فروعها متشبث باعظم اصولها بل مشتبك بجملة أصولها وليست كسائر الصنائع التي من تعلق عنها بأصل او فرع لم يتعلق ذلك بغيره، فهو لذلك ينتفع وينفع الناس بما تعلمه ولايلحقهم مما جهله ضرراً، ومثال ذلك صائغ علم من الصياغة عمل خاتم فهو دائماً يعمل خواتيم ولايضره ولغيره جهله بعمل الأسوره والخانات مثلاً فلذلك قال بقراط الصناعة طويلة[٩١ب]. ولذلك يجب ان يكون الملتمس علىٰ هذه الصناعة من اولاد أهلها قد عني ابويه بتقويم مزاجه وأخذه بالعادات المحمودة في تدابيره وأصلاح أخلاقه وبتلقينه وتبصره ليكون بذلك معداً للتعليم بأيسر سعي.

فأما ملتمس هذه الصناعة من ابناء اهل الصنايع الأُخر فيكد ومايتنجح من تعلمها لان النجار والحداد والدباغ والحائك مثلاً كل واحد منهم منصرفاً الىٰ صناعته لاخبرة له بصناعة الطب فيلقن ولده من اصولها مايلقنه الطبيب لولده ليله ونهاره، فاذاً المقومين الذين قد راضهم آباؤهم من اهل صناعة الطب هم الذين يصلحون لتعلمها لاكل من التمس تعلمها كما قال جالينوس فانه قال كما لايصلح اتخاذ التمثال من كل حجر ولاينتفع بكل كلبٍ في محاربة السباع كذلك ايضاً لايجد كل انسان يصلح لقبول صناعة الطب لكنه ينبغي ان يكون البدن والنفس ملائمين لقبولها.

وايضاً فقد بين ابقراط كيف ينبغي ان يكون البدن من ذلك قوله في شكل الأصابع فأن شكل الأصابع ممن يعنىٰ بصناعة الطب يجب ان يكون الذي فيما بينهما واسعة وان يكون الابهام مقابلة للسبابة. واما النفس التي لاتليق بقبول الطب فانه جعل المحنة لها بما أمر به من الايمان فمتىٰ وجد الانسان تمكنه حفظ ما أمر به من كتاب الايمان علم أنه ملائم لقبول الصناعة ومتىٰ كان ممن لايمكنه حفظ وافي ذلك الكتاب لم يدنو الىٰ تعلمها. قال جالينوس ان أحد الاسباب التي وضع أبقراط كتاب الايمان[٩٢] هو ماذكرناه من امتحان الانسان

٩١ب) ابن ابي اصيبعة ص٥١.

٩٢) كتاب الايمان لابقراط ـ ويعرف ايضاً بكتاب العهد (ابن ابي اصيبعة ص٥٥) وقد يكون منحولاً عليه.

المريد تعلم صناعة الطب في جسمه وفي نفسه ولأنا قد قدمنا في الباب الأول من كتابنا هد اوصاف الجسم المحمود والنفس الفاضلة فلذلك يستغنى عن اعادته هاهنا. واما السبب الثاني فهو ان كثيراً من الصناعات لايمكن فيها أشياء يمكن ان تضر من يستعملها واما صناعة الطب فممكن فيها تلك الاشياء بأعيانها التي ينتفع بها ان تضرّ ايضاً والى الطبيب في اكثر الأمراض التي تخلص المرضى ان شاء او تقتلهم. فلان لايدني الطبيب في وقت من الاوقات فسبب منفعة من المنافع ينالها على غير الواجب مكان الأشياء التي ينتفع بها اشياء تضر، تقدم بقراط فعقد في عنقه هذه الايمان فاحلفه ان يكون دخوله الى المرضى طلباً لمنفعتهم لا الاضرار بهم. من ذلك انه قال بهذا السبب في ذلك الكتاب هذا القول قال بقراط وجميع المنازل التي أدخلها لمنفعة المرضى وانا بحال خارجة عن كل جور وفساد. ثم ذكر جالينوس سبباً ثالثاً لوضع بقراط لكتاب العهود والأيمان وهو هذا يقول، قال جالينوس ان الذي قد كان فيما تقدم من معلم الطب الى اسقليوس عهود وأيمان يمنعهم من تعليم صناعة الطب أحداً خلا أولادهم وكانت المواضع التي يتعلم فيها الطب ثلاثة أحدها في مدينة رودس والآخر بمدينة قو والثالث بمدينة قندس [٩٢ب] الا ان التعليم الذي كان بمدينة رودس وبمدينة قندس باد بسرعة لأنه لم يكن لابنائهم نظر وذلك لان الوارثين له كانوا نفراً يسيراً واما الذي بمدينة قو نمت منه بقايا يسيره لبنات الوارثين له فلما نظر بقراط الى صناعة الطب قد قربت من التلف بسبب هذه الاجناس الثلاثة ونقصاتهم، أحب ان يذيعها في جميع الناس كيلا تبدو ولئلا يُظن انه قد اخطأ فيما بينه وبين ربه جعل المتعلمين للطب أمانة بما عقد في رقابهم من الأيمان وبيان ذلك في قوله في كتاب الايمان هذا القول. قال بقراط: وارى ان المعلم لهذه الصناعة بمنزله أبي والجنس المتناسل منه مساوى لأخوتي [٩٣] قال جالينوس فبعد ان جعل المعلمين للصناعة انما علمهم أياها من غير ان يكون في ذلك على ذم وخطأ فيما بينه وبين اللّه تعالى. . واذ قد أتضح بما حكيناه عن القدماء كيف كان شرف صناعة الطب في الدهور السالفة

٩٢ب) رودس، قو، قنديس ـ اسماء جزر صغيرة يونانية قريبة من ساحل آسيا الصغرى من جهتها الغربية الجنوبية، ولكل منهما تاريخ في الطب اليوناني.

٩٣) هذه فقرة صغيرة من قسم ابقراط الذي نشره ابن ابي اصيبعة (عيون الانباء ص٤٥)

فلنقل بعد ذلك ماالاسباب التي قد اوجبت في هذا الزمان سقوطها فنقول لذلك اسباب نذكر جملتها احدها هو ماقد تداخل الداخل فيها من الطمع والثقة بانه لايفتقد عليهم منها علماً ولا عملاً فسهلوا على نفوسهم فتركوا النظر والقراءة والخدمة ومالوا الى الملق والمخرقة والتغلغل في انواع الحيل فضاعت الحقائق اوقف الناس على علاج ذلك الملوك ومن لهم القدر على افتقاد ذلك وصلاحه. والسبب الثاني استهانة الناس بحقوق الأطباء في ضروب الاكرام والمكافأة فاحتاج الاطباء أن يحتالون لهم مع الطب معاش آخر من تجارة ودكان وحيلة فعرض من ذلك استهانة بالصنائع لماحسب ثمرتها ولمافعلوا ذلك خسوا واسقطوا الصناعة فكان الأمر في ذلك شبيه بالشيء الدائر على ذاته بالعكس أعنى أنهم كلما هربوا هانوا وكلما هانوا هربوا. والسبب الثالث دخول من لايليق بها وليس من أهلها فيها فلقلة معرفتهم باصولها ويقدرها وحقوقها افسدوا محاسنها فخست بهم ولطمع اهل الشره في صنعتهم ماانصرفوا اليهم رغبة في استخدامهم مجاناً وأخذ جوائجهم بأيسر ثمن ولما علم أولئك الاطباء المحتالون ان ذلك يجر اليهم من غير أولئك نفع ويوقع في شباكهم المرأة والضعيف والقريب سمحوا لهم ليتخذونهم باب الحيلة ومحوى للصيد فكان ذلك سبباً لهلاك الضعفاء وسقوط أهل هذا الشأن وتركهم الاهتمام بقراءة او تعليم وايضاً فلألف الناس لهذا الطمع صار من خرج عن هذه الطبقة المحتالة وقصد لتوفيه الصناعة حقها مذموماً مسبوباً اذا لم يواتي الجهال الى مايريدونه والسبب الأعظم الذي قد سهل في هذا الوقت على كل أحد الدخول في صناعة الطب الجسارة عليها هو الراي الذايع المشهور ان كل مايفعله الانسان من الافعال المحموده والمذمومه فذلك الفعل عن اللّه تبارك لاعن الانسان فلما سمع الاشرار واصحاب الحيل ان من سرق او قتل اوزنا او فعل أي فعل كان ذلك منسوباً الى اللّه تعالى اذ هو فاعل وداع لذلك وثق الداخلون في صناعة الطب بذلك واطمأنوا فجسر كل أحد على الدخول فيها والتعرض لسقي الأدوية والفصد والبزل وغير ذلك بغير معرفة لعلمهم بأن الناس عند هلاك من يهلك على ايدى الأطباء يقدرونهم ويردون ذلك الى قضاء الباري. ولو كان الأمر جاز على القوانين المتقدمة من قديم في زمان اليونانين بأن لايطلق لاحد الدخول في صناعة الطب الاعلى ماقدمنا ذكره اذا دخل فيها داخل لم يؤذن له في التصرف بها الابعد محنته (٩٣ب) بطرق المحن التي نذكر جملها في الباب

٩٣ب) محنته اي امتحانه

الذي يلي هذه الباب وهو الذي يصف فيه محنة الأطباء لما جسر على الدخول فيها الامن يصلح لها وبعد ايضاً محنة الطبيب ومعرفة ماقرأه ومقدار خدمته فقد كان يوضع له قانوناً يعمله مع المرض بين منه صوابه من خطائه عظم قدره ونفعه انت تعلمه من الباب الذي بعد هذا فتدبره واكتف في هذا الباب بما قد اثبتناه ففيه كفاية لمن تدبره

الباب السادس عشر

في امتحان الأطباء

أما بعد ماقدمته من الأقاويل النافعة للاطباء ولسائر الناس فأني قائل في محنة الطبيب قولاً ليس بدون نفع الاقاويل المتقدمة وذلك ان محنة الطبيب واجبة لاسباب أقدمها شرف الموضوع لصناعة الطب والموضوع هو الانسان المحتاج الىٰ استعمال الطب فان الغلط من الطبيب اذا وقع بالانسان كان اعظم كثيراً من أغلاط اصحاب الصنائع الأُخر لان النجار والصائغ وغيرهما من اهل الصنايع والمهن لاتبلغ مقادير اغلاطهم مقدار غلط الطبيب، كما لايبلغ قدر موضوعاتهم قدر موضوعه وهو نفس الانسان وجسمه وايضاً فان الصائغ مثلاً متىٰ غلط في صناعة الخاتم امكنه كسره وأعادته وكذلك النجار في عمل السرير والاسكافي في عمل الخف. فأما غلط الطبيب فليس كذلك وخاصة ان كان غلطه مهلكاً فاليأس من الصلاح واقع. فلذلك وجب تمييز الأطباء بالمحنة وانتقادهم بالنظر والبحث ليظهر فضل الافاضل فتسلم اليهم النفوس ويظهر جهل المدعين لها فيحذر علىٰ النفوس منهم، ومن الاسباب الموجبة لمحنة الطبيب صعوبة الصناعة وطولها، اما صعوبتها فلكثرة اصولها ومن الأحرىٰ ان تكون فروعها اكبر كثيراً وايضاً فلاشتباك أصولها وفروعها بعضها ببعض فلذلك أتسعت الاقاويل فيها ووضع أهلها في علمها اصنافاً من الكتب فاستصعب لذلك دركها وخاصة علىٰ أهل الكسل والتواني وعلىٰ من غلظت قريحته وقنع منها بالتكسب بأسمها وبالحيل التي قد نصبها الاشرار واصحاب الحيل للناس كالشباك والافخاخ لصيد الحيوانات فلذلك يجب ان يفتش عمن أدعاها لينظر هل هو من اهلها بالحقيقة لانه قد افنىٰ زمانه في درس كتبها وفي صحبة أهلها وفي خدمة المرضىٰ وعانىٰ من امرها مايستحق معه ان

يوثق معه في تدبير الأبدان والنفوس او هو ممن ينبغي ان يحذر على النفوس منه وايضاً فان من اسباب المحنة للأطباء مايظهر من نفعها للاطباء خاصة ولسائر الناس عامة، اما للاطباء فلينبه من كان ساهياً ويحث من كان متشاغلاً بغيرها ويحركة على اقتنائها.

واما لمن كان قاصداً للحيلة فيها على الناس فيما يفضحه المحنة ويظهر خزيه فيكون بذلك النفع لسائر الناس شاملاً عاماً ولولا ان محنة الأطباء واجبة ونفعها ظاهر لم يضع القدماء فيها كتباً يحثون فيها اهل القدر والسلاطين على الناس وافاضلهم على تعليم اولادهم هذه الصناعة ليقدروا ان يفرقوا بين أهلها والمدعين لها لكي لايسلموا نفوسهم الى من لايستحق ذلك كالذي وضعه جالينوس من طرق محنته للاطباء في كتابه الذي ألفه وقد الف غير جالينوس في ذلك كتباً لولا أني قد تضمنت اثبات جمل ذلك في باب من هذا الكتاب لقد كان ارشادي الى تلك الكتب أعني من التمس ذلك وخاصة وقد كتبت انا رسالة الى بعض من تولى أمور بلد الرقة بألزام الزاميته في ذلك وصفت له فيها كيف ينبغي ان يمتحن الطبيب غير اني أذكر من ذلك هاهنا جملاً ليكون ماتضمنته قد وفيت به وليكون غرضي تاماً كاملاً.

فأقول اما بعد ماقد وضح من الاسباب الموجبه لامتحان الاطباء فانه ينبغي ان ينظر كيف ينبغي ان يمتحن الاطباء واول ماينبغي ان يمتحن به المدعي لصناعة الطب هو ان يسأل على رأي اي فرقة هو من فرق الأطباء[٩٤] فان من جوابه يبين هل يعلم كم اجناس فرق الاطباء أم لا وماالذي تراه كل فرقة ومالفروق التي بين الفرق ومن ذلك يبين ايضاً منه هل علم الى كم نوع ينقسم كل جنس من اجناس الفرق وفيما اتفقت الفرق وفيما ذا اختلفت ولان الطبيب لايسعه جهل ذلك ولايجوز له الخروج عنه فلذلك صنف جميع ذلك الفاضل جالينوس في كتاب عنونه بكتاب فرق الأطباء وجعلها أول مايقرأ من كتبه ثم اذا وقع الجواب منه بتحصيل وانفرد برأي فرقة من الفرق اما برأي اصحاب التجارب وبمذهب من مذاهبهم الخمسة واما برأي اصحاب الحيل. واما برأي اصحاب القياس فيجب ان يسأل لأي اجزاء الصناعة ينتحل اذ كانت الصناعة اعظم مقداراً من ان ينالها الانسان في مدة عمره كما قال الجليل بقراط العمر قصير والصناعة طويلة ولذلك يكون من ادعى جملها

---

٩٤) فرق الطب ثلاثة: من يعمل بالتجربة، ومن يعمل بالقياس، ومن يعمل بالحيلة.

من الجهل بحيث لايحتاج ان يمتحن لايفتش عن عمله . فاما اذا أدعىٰ جزءاً منها فيجب ان يسأل عنه اي جزء وهو الذي احكمته وقرأت كتبه وخدمت فيه ولان لصناعة الطب جزآن اولان احدهما علمي والآخر عملي فلذلك ينبغي ان يعلم هل توفره علىٰ احدهما في الجزء الذي يدعيه من صناعة الطب ام يوفره عليها. ولان صناعة الطب بعد هذين الجزئين الكبيرين أجزاء أصغر منهما ولتلك الأجزاء أخرىٰ هي أصغر يحتاج الطبيب الىٰ علمها واحكامها فلذلك وضع جالينوس في اجزاء الطب مقالة مفردة ليحكم علىٰ ذلك منتحل هذه الصناعة فليعلم من ذلك اجزاء الجزء الذي يدعيه من صناعة الطب ومثال ذلك: ان علاج الطبائعي هو جزء علمي وعلاج العين جزء عملي، وكذلك علاج الجبر وعلاج الشق وعلاج جميع اعمال الحديد من بطّ وكيّ وبزل وحقن وفصد وجميع ذلك هي اجزاء عملية مرتبطة بعلم يتقدمها يلزم من أدعىٰ احدها ان يعلم موضوع عمله اي جزء هو من اجزاء الجسم وبماذا هو مركب ووضع اجزائه واتصالها وكم اجناس الامراض العارضة لذلك الجزء، وكم الأسباب المحدثة لتلك الامراض والعلامات الدالة عليها واجناس الأدوية الموافقة في امراض ذلك العضو وبالجملة يلزمه معرفة سائر التدابير التي تلائم علاج امراضه وحفظ صحته واوقات ذلك وماشبهه مما لأبد من علمه فلذلك اجمع يجب ان يمتحن منتحل كل جزء من الصناعة بمساءلته عما يخصه وغيره من اجزاء أُخر اذا كان لهم بأسرهم اموراً تعمهم ثم يسائل كل واحد منهم عما يخصه عمله ومثال ذلك انه حضر من يدعي علاج العين فيجب ان يسأل من اي الاعضاء البسيطة ركبت العين ولم احتيج الىٰ جزء جزء من اجزائها في تركيبها فانه ان لم يعلم ذلك لم يعلم باي الاجزاء يكون الابصار ولا بأي الأجزاء تكون الصورة والستر ولا بأيها يكون الحفظ والتغذية وبالجملة ساير الافعال والمنافع ومن لم يعلم مزاج عضو عضو من اجزاء العين البسيطة مع ما ذكرنا، وكيف وضع تلك الاجزاء واتصالها لم يمكنه ان يعلم انواع جنس جنس من اجناس امراضها واذا لم يعلم ذلك لم يعلم العلامات الدالة علىٰ نوع نوع . واذا فاته علم العلامات فاته ايضاً علم الاسباب، واذا فاته علم الأسباب لم يعلم الدالة علىٰ نوع نوع، واذا فاته علم العلامات فاته ماذا يعالج ولا بماذا يعالج . وبعد ماذكرناه واحكام عمله فيجب ان يعلم في معالجتها قوىٰ الأدوية المفردة والمركبة المستعملة في علاج امراض العين ومايبلغ قوىٰ الدواء الواحد اذ كانت كل قوة تفعل فعلاً فيصير بذلك للدواء الواحد المفرد أفعالاً مختلفة، ولذلك يكون الدواء المركب

افعالاً اكثر كثيراً من ذلك وذلك بحسب مافيه من الأدوية المفردة والكثرة والقلة، ومع ان معالج العين لايسعه جهل شيْ من ذلك فانه مضطر ايضاً الىٰ علم اصلاح الأدوية المعدنية منها والنباتية والحيوانية، مامنها يصلح بالغسل، ومامنها يصلح بالحرق، ومامنها يصلح بخلطه بعضه مع بعض وبالجملة فهو شديد الحاجة الىٰ معرفة تراكيب أدوية العين، ماعمل منها شيافاً وماعمل[٩٤ب] منها كحلاً وماعمل منها عطوراً وضماداً وغير ذلك من ادويتها .

واذا كان معالجاً بالحديد لعلل العين المحتاجه الى ذلك فيلزمه ان يعلم صور الآلات التي يعالج بها ولم صَورت ، واختبر ذلك الشكل كالمهت [٩٥] المستعمل في قدح العين من الماء النازل اليها ، فانه مع علمه بذلك فقد علم موضع الماء وكيف يسهل نقيه لجهة [٩٦] الثلاثة ونفوذه في الطبقة القرنيه ، وكيف ينحدر بتلك القرنية الماء ويستقصى أحداره مالم يتم ذلك بما له قرنين أو أربعة أو اكثر من ذلك وهكذا ينبغي ان يعلم ذلك في آلة آلة فليكف[٩٧] ذو الفطنة بماذكرته من ذكر هذه الجمل والمسائل .

وليعلم ان بمثل هذه الطرق يقدر علىٰ محنة صنف صنف من اصناف الاطباء، ومن ذلك ان المجبّر يلزمه ان يعلم مافي كل عضو من العظام، وشكل عظم عظم ووضعه وبأي صنف من اصناف التركيب هو مقارن لقرينه او لقرنائه من عظام ذلك العضو، وما الذي يحيط بتلك العظام من العضل، ولأي الحركات هي محركة، وكم مبلغ عددها وكيفية اشكالها، فان المجبّر اذا فاته معرفة ماذكرناه عجز عن أمر علاج الجبر بحسب مافاته من ذلك. وكذلك ان جهل صورة شد كل عضو وانواع رفائده[٩٨] واضمدته ولطوخاته[٩٩] لم يتم له علاجه وكذلك ماسوىٰ ذلك مما ذكرناه. وكذلك القول في الفصد[١٠٠] فانه من اجزاء

٩٤ب) الشياف: نوع من الادوية علىٰ شكل مراهم تستعمل في علاج امراض العيون

٩٥) المهن ـ هو المقداح الذي يستعمل لقدح العين في مرض السلد (الكاتا ـ اكت)

٩٦) وردت في الاصل نقيا والصحيح مااثبتاه

٩٧ وردت في الاصل (فليكتفي) والصحيح مااثبتناه.

٩٨) الرفائد ـ الضمادات والاربطة.

٩٩) اللطوخات ـ هي المواد التي يطلى بها جلد المريض

١٠٠) الفصد ـ هو قطع متعمد في احد اوردة الجسم ليهدر منه قدر من الدم يقدّر مقداره الطبيب المعالج . وكان احدى العلاجات الشائعة وفيه مصنفات كثيرة .

الطب جزء قد اكثر الناس استعماله وتعاطاه كل احد من اهل صناعة الطب حتىٰ أحداثهم ومن ليس له خبرة بواجباته قد اعدوا لهم مواضعاً يقصدهم اليها كل أحد من صلح له ومن لايصلح ، فيفصد كل من أتاه بغير توقف ولا حذر بسبب العوض الحقير، ولو كان الفاصد[١٠١] بغير علم يعرف قدر مايستخرجه من جسم الانسان من الدم وعظم نفعه. ويعلم ان قوام بدن الانسان هو بالدم اكثر من ساير اخلاطه ، وان الطبيعة لم تعمل ماعليه من الدم الذي قد استخرجه هو في ساعة واحدة الا في زمان طويل وبعمل طويل لشفق من أخراجه ، ولم يسارع الىٰ اخراج مثل هذا الجوهر النفيس بذلك العوض الخسيس، لان النفع بالفصد اذا وضع موضعه عظيماً جداً حتىٰ انه يخلّص من التلف ومن الوقوع في امراض طويلة ، فلذلك يجب ان يكون الفاصد عارفاً بعدة أمور: اولها هل يفصد الفاصد ام لا ، والثاني ماالمرض الذي يصلح فيه الفصد ، والثالث كيف ينبغي ان يكون ، والرابع لم يفصد الفاصد؟ . . وهذه الأصول الاربعة هي مسائل تتفرع عنها مسائل كثيرة ، ويلزم الفاصد معرفة جملتها ومتىٰ لم يكن عارفاً بجملتها فينبغي له ان لايفصد احداً الا برأي من هو خبير بها ، من ذلك ان الفاصد اذا علم هل يصلح الفصد لمرض ام لا لم يقنعه ذلك دون ان يعلم من حال السن والمزاج والبلد وحال الهواء في الوقت الحاضر ، وحال الفصل من السنة ، وحال العمل والعادة والتدبير والسحنة هل يوجب كل واحد من هذه الأمور الفصد . كما اوجب ذلك المرض ام يمنعه . وبعلم هذه الامور يقدر ان يغلب بعضها ، ويتبع الاغلب من هذه الفروع . واما مايضطره الأمر الىٰ عمله من فروع الأصل الثاني . وهو العلم بما الحالة التي توجب الفصد ، فان من فروعها ان يعلم ماالحال الطبيعية للبدن ، وماحال حال من الحالات غير الطبيعية ، وما الحالات منها التي توجب الفصد ، وما المقدار الذي ينبغي ان يخرجه الفاصد من الدم ، وماتبع ذلك من فروع هذه الأصل الثاني.

فأما فروع الاصل الثالث فيلزمه ان يعلم منها كيف ينبغي ان يكون الفصد عند شق العرق طولاً ام عرضاً ام ورابا وكيف ينبغي ان يخرج الدم ادفعة ام اثنين ام ثلاثة وكيف ينبغي ان يدبر ويساس من فُصد بحسب مرض مرض . ويجب ان يعلم كيف الدم من لونه وكيف هو في قوامه ، وكيف هو في رائحته ، وكيف حركته في خروجه ، فانه متىٰ تيقن علم

---

١٠١) في الاصل (الفاضل) والصحيح ماأثبتاه

ماذكرناه لم يقدر ان يفرق بين مايخرج من الدم من عرق الىٰ مايخرج من (شريان)[١٠٢] واذا كان مايخرج من (الشريان)[١٠٣] يخرج بحركة مختلفة تشبه حركة (الشريان) في الانبساط والانقباض ودم (الشريان)[١٠٤] اصفىٰ واشرق وارق واحمىٰ من دم العروق. واما فروع المسألة الرابعة وهي معرفة كميات الفصد فهي كثيرة جداً لتعلق هذه الفروع بجميع المسائل المقدم ذكرها. ولئلا يطول هذا الكتاب والباب، نحن نذكر منها جملاً لاتغني معرفتها عن احضار الكل لان من علم أجوبة مايحضره من المسائل الآن وأقام بشرحها، علم بذلك منه انه يقوم بفروعها واول هذه المسألة، لِمَ إحتيج الىٰ الفصد في صناعة الطب، ثم لم صار الفصد مخصوصاً بعروق وشرايين دون أُخر، ولم صار علم (. . .) اشياء المقدم ذكرها ضروري في استعمال الفصد، ولم أمر القدماء باخراج الدم من بعض الناس في أعلى البدن وفي بعضهم من أسفله، وفي بعضهم من ناحية اليسار، وفي بعضهم من ناحية اليمين. ثم لم صارت العروق النوابض[١٠٥] التي في الرأس دون التي في البدن تفصد وهي عرق اليافوخ[١٠٦] وعرق الجبهة وعرقا الصدغين[١٠٧] وعرقا المآقين[١٠٨]، وعرق الارنبة، وعرق الشفة السفلىٰ، وعرق الشفة العليا، وعرقا اللسان وعرقا الوداجين[١٠٩]، ومما (يبين) به فضل الفاصد هو ان يعلم لم صار فصد هذه العروق تشفىٰ من امراض باعيانها، وايما هي الامراض، ولم صار الخطأ اذا وقع بها احدث مضار مختلفة وامراض متباينة كالذي يحدث من الخطأ في فصد عرق الجبهة، فانه يحدث تارة دوار[١١٠] وتارة شقيقة، وتارة غشاوة البصر وضعف الأجفان وتارة الصمم. ومثل ذلك نجد اذا وقعت ضربة الفاصد لعرقي الصدغين في غير موضعها من الامراض المختلفة فانه ان اصاب الحديد العصب بطل بذلك حركة

---

١٠٢) في الأصل (شاريان) والصحيح ماأثبتناه

١٠٣) كما في الفقرة المتقدمة

١٠٤) كما في الفقرة المتقدمة

١٠٥) العروق النوابض وتسمى ايضاً الضوارب وهي الشرايين

١٠٦) اليافوخ ـ الحيز في الرأس الذي بين عظامه العليا قبل تكلسها التام

١٠٧) الصدغ ـ هو القسم الجانبي من الرأس بين العين و الجبهة والاذن والخد

١٠٨) المآق ـ هو طرف العين ممايلي الانف ، وهو مجرى الدمع منها

١٠٩) الوداجان ـ هما عرق الرقبة يقطعها الذابح

١١٠) في الاصل (دوران) والاصح ماأثبتناه

الشفتين، وان اصاب العظم اورث ورم الوجه، وان اصاب الليت[111] اضر ذلك بالسمع، فان اصاب العضل احدث الخدر وقلة الصياح وهكذا ينبغي ان يعلم مايحدث خطأه في عرق عرق، وفي اي الأجسام المجاورة للعروق وقعت الضربة ليعلم بماذا يصلح ذلك الخطأ ويتلافاه، وايّ المواضع يفصد. ولو ذهبت الىٰ ذكر مايحدث من اصناف المضار عند الخطأ في جملة العروق المفصودة ومبلغها خمسة عشر زوجاً وثلاثة مفردة لطال بذلك الكلام، لكنه شديد الاضطرار الى ان يعلم لم يفصد هذه الخمسة عشر زوجاً ، وفي اي الامراض، وفي اي المواضع يجذب اذ كانت هي التي يقع الفصد دائما باكثرها ويجب ان تعدها لتكون معروفة عند من قصد لمحنة الفصّاد ليسألهم عن موضع واحد منها، وموضعه ومبلغ منافعه، ولان قد تقدم تعديد الشرايين المقصودة التي في الرأس وهي جملة ما يفصد فلنذكر الآن الباقية وهي القفالين[112] والباسليقين[113] والأبطين والاكحلين[114] والحبينين والأسيلمين[115] والمابضين[116] والصافنين[117] والنسائين[118] . فاذا كان ماقد ذكرناه من هذه المسائل كافٍ في هذا الباب فقد ينبغي ان يتبع ذلك بالوصايا التي ذكرها قدماء الأطباء ليستوصي بها الفاصد وينبغي ان يتفقد عليه، ويجعل بعض محنه فأن التزمها وثق به وبعلمه وان أطرحها لم يوثق بعلمه. فأولها ان يكون خبيراً لمعرفة التشريح وخاصة تشريح العروق الضوارب وغير الضوارب ليعلم من علم التشريح ماحول كل عرق من العظام والغضاريف والأعصاب والاوتار والعضل، ويجب ان يكون قد درس كتب التشريح وكتاب الأسطقسات [119] وكتاب المزاج [120] وكتاب الفصد [121] وأشير بذلك الىٰ كتب جالينوس

---

111) في الاصل (الليف) والصحيح ماثبتناه . والليت صفحة العنق

112) القفالين ـ عرقان في الراس

113) الباسليقين ـ عرقان في العضد

114) الاكحلين ـ عرقان في الرقبة

115) الاسيلمين ـ عرقان في الذراع

116) المابضين ـ عرقان في الوجه الخلفي لمفصل الركبة

117) الصافنين ـ عرقان في الوجه الراسي للفخذين

118) النسائين ـ عرقان بمحاذاة عرق النسا

119) ويقصد به كتاب جالينوس ، وقد سبق التعريف به

120) ويقصد به كتاب جالينوس ، وقد سبق التعريف به

121) ويقصد به كتاب جالينوس ، وقد سبق التعريف به

خاصة فيما ذكرته، وان يكون قد شاهد أسلافه يعانون الفصد، وان يكون ورعاً عن الكسب الا في حقه، وعن النظر لايجوز له النظر (اليه) الا لمقدار مايحتاج اليه عمله. وان يكون حافظاً للأسرار. متعاهداً لحديد[١٢٢] بالسقي والسّن. لايفصد في موضع مظلم ولاموضع ريح، ولالمملوك الا عن رأي مولاه ولالغيره بالغ الا عن أذن والديه[١٢٣] ويتجنب الاغذية المبخرة بخاراً رديئاً والمضعفة لنور البصر كأكل البصل والاكثار من شرب الشراب، متفقداً[١٢٤] بعض بدنه من فضوله وفي اوقات (التنقية) فبهذه الاشياء وماجانسها يمتحن الفاصد. وايضاً من تعاطى الشق والبزل والكي وساير اعمال الحديد[١٢٥] فبمثل هذه المسائل يمتحن وبمثل المسائل له عن الآلات المصنوعة لاعمال العلاج كالقثاطير[١٢٦] وكيف يبول به، والمهبت و(الفانهان) والمراود[١٢٧] والفأس وغير ذلك من آلات الاعمال. ويسأل عن مواضع الكي لمرض مرض واشباه ذلك. فاكتفِ بما ذكرته ففيه غنىٰ ومقنع[١٢٨] وقد تبقىٰ علىٰ ذكر مابه يمتحن من ادعىٰ علم الطبائع اذ ذلك أشرف أجزاء صناعة الطب وبكمال ذلك يكمل هذا الباب بعون اللّه تعالىٰ. فأقول: ان أول مايسأل عنه الطبائعي[١٢٩] من الاطباء ماالمعنىٰ الذي يقع عليه اسم الطبيعة ان كان واحد وان كان يقع علىٰ اكثر من واحد فكم هي وماهي فأنا نجدك ايها الطبيعي تسأل دائماً عن افعال الطبيعة فتقول: كيف طبع هذا المريض ومالذي كان منه وماذا فعل، وتقول ايضاً طبع بهذا الغذاء وطبع بهذا الدواء ومن المعلوم ان من جهل من الاطباء ماالطبيعة فاحرىٰ ان يجهل قواها ولذلك يكون بافعالها أجهل، ومن جهل افعالها لم يقدر ان ينذر بشيءٍ منها قبل حدوثه لانه لايعلم العلامات المنذرة بافعالها. ومن كان كذلك لم يستحق ان يسمىٰ باسم الطبيعة ولايجب ان

---

١٢٢) يقصد بذلك آلات الحديد

١٢٣) وردت هذه الشروط في كتب الحسبة في الفصل الخاص بالحسبة على الفصّادين ، ومصدرها على اكثر الاحتمال هذا الكتاب الذي بين ايدينا (الشيزرى ص٨٩ ، ابن الاخوة ص ١٥٩)

١٢٤) في الاصل (متفقد) والصحيح مااثبتناه

١٢٥) اعمال الحديد هي العمليات الجراحية

١٢٦) القثاطير ـ ومفردها قثطرة؛ وهي آلة معدنية مطاطية مجوفة تستعمل لتبويل المريض اذا عسر او انحبس بوله

١٢٧) المراود ـ اداة لسبر الجروح ، وكذلك الآلة التي تستعمل في كحل العين .

١٢٨) في الاصل (مقنعاً) والصحيح مااثبتناه

١٢٩) الطبائعي ـ هو الطبيب الذي يمارس الامراض الباطنة

يوثق به في علاج المرضى ولذلك قال بقراط ان الطبيب اذا تقدم فعلم وسبق فأخبر المرضىٰ بالشيئ الحاضر ممابهم، ومامضىٰ وغيره عن المريض كلما تصير عن صفته وثق منه بخبره وبصيرته في امر المرض ودعىٰ ذلك المرضىٰ الىٰ سكون انفسهم الىٰ الاستسلام في يديه، وكان علاجه لهم علىٰ أفضل الوجوه اذ كان يتقدم فيعلم من العلل الحاضرة وماسيكون من امرهم[129ب]. قال جالينوس وليس يشك أحد أن الذي يعلم امور المرضىٰ علىٰ ماينبغي هو اولىٰ الناس بأن يثق به المرضىٰ وليس بأمورهم فقط لكن لانه مع ذلك ايضاً حري ان يستعد للشيئ المزمع بأن يحدث بهم قبل وقت حدوثه بزمان طويل. وكما ان الحاذق بتدبير السفن في البحر عندنا ليس الذي يجهد نفسه في تدبير السفينة اذا عرض للبحر اضطراب وذلك انه لايؤمن عليه ان تغلبه شدة قوة الرياح وحركة البحر، يكون حاذقاً عندنا القادر علىٰ ان يعلم كون تلك الحركة قبل وقت حدوثها بمدة طويلة بالمحايل الدالة عليه، فان وجد مرسىٰ قريب بادر فارسى اليه، وان منعه من ذلك عظم اللجة احتال بكل حيلة لاجرار سفينته وحياطتها من الآفات وهو في مهلة قبل ان يقع الهول والاضطراب. كذلك افضل الأطباء من علم ماسيحدث بالمريض فاستعد له قبل ذلك بمدة طويلة وتأهب وهيأ مايحتاج اليه لشيئ شيئ ممايحدث. فقد أتضح مما قاله جالينوس ومما قاله بقراط انه لايتم للطبيب التقدم بالانذار الا من بعد علمه بطبيعة المرض ولايتم له ذلك الابعلم كم اجناس الأمراض وانواع كل جنس وفصوله وعلاماته واسبابه، ولايتم له احكام علم ذلك او يعلم ماالامور الطبيعية وكم هي ويقسمها بفصولها ويخصها بخواصها لان بعلم هذه الامور الطبيعية يعلم الامور الخارجة عن الطبيعة اذا علم الضدين معاً من المضاف، فلذلك من جهل احدهما جهل الآخر وبغير شك ان المرض ضد الصحة، والصحة طبيعية[130] وكذلك اسبابها وعلاماتها فالمرض وأسبابه وعلاماته اذن[131] غير طبيعية وليس عمل الطبائعي خاصة غير حفظ الصحة اذا وجدها لبدن الانسان، والتماسها اذا وجد المرض قد نفاها وأعدمها، ولذلك قال جالينوس ان قصد الطب التماس الصحة وغايته احرازها، واذا كان الأمر علىٰ

---

١٢٩ ب) يقصد المؤلف بذلك تقدمة المعرفة ، والتكهن بما ستؤل اليه حالة المريض . واول من كتب في هذا الموضوع هو ابقراط ، وكتابه بثلاث مقالات (ابن اصيبعة ص٢٥٤ وفسّر جالينوس هذا الكتاب باسم مقدمة الانذار لجالينوس ، وترجم فريق حنين بن اسحاق الكتاب الاصل الى العربية (ابن ابي اصيبعه ص٢٧٢)

١٣٠) يقصد بذلك ان الصحة هي الحالة الطبيعية ، وان المرض حالة طارئة غير طبيعية .

١٣١) في الاصل (إذاً) والصحيح ماثبتناه

هذا فقد بان ان من لم يعلم قوى الطبيعة وافعالها على الاطلاق لم يكن طبيعياً[١٣٢] لانه لايعلم امزجة انواع الحيوان والنبات والجماد[١٣٣] وكيف يستحيل ويغتذي بعضه ببعض. واذا كان ذلك عند الطبيعي مجهولاً فاحذر ان تكون هذه الاجناس من الاسطقسات واستحالة بعض الاسطقسات الى بعض، وتولد ماتولد من امتزاجها من الأجسام ومايعرض لجواهرها من الأمراض. واذا جهل ذلك كان من الواجب الايعلم هذه الاشياء المقدم ذكرها في بدن الانسان لان الانسان جزئي لهذه الكائنات، والجزئيات المتشابهة الأجزاء ابداً تابـ لكلياتها. ولماعلم معلمنا الفاضل جالينوس ان ذلك واجب ضرورة وان بقراط وسائر قدماء الاطباء بهذه الاصول تمسكوا، وعليها بنوا كتبهم، وبفروعها تعلقوا في حفظ الصحة و شفاء الأمراض اللذين هما غرض صناعة الطب ومقصده، عمد جالينوس الى أصل هذه الاصول الطبيعية التي لاقوام لعلم حالات بدن الانسان الابعلمها فميّزها ووضع من كل اصل منها كتاباً ونسبه الى ذلك الأصل وسماه لانه يشتمل على ذلك الاصل وفروعه ولم يزل يفعل في اصل اصل كذلك حتى اتى على اصول الطب باسرها ولما رأى الاسكندرانيون وهم افاضل علماء من اهل هذه الصناعة حين كانوا يجتمعون ويجمعون المتعلمين لصناعة الطب ان احداث زمانهم لاتبلغ بأكثرهم هممهم الى قراءة جميع تلك الكتب وخاصة التي وضعها جالينوس، وأرادوا تقريب صناعة الطب من المتعلمين لها رتبوا من كتب جالينوس ستة عشر كتاباً وجمعوهم ايضا معاً لاكثرها طلباً منهم للأيجاز والاختصار وكانوا يقرؤنها في الاسكول[١٣٤] أعني موضعاً كان لهم للتعليم ولذلك يجب الآن على من ادعى علم طبيعة بدن الانسان وانه قيّم بحفظ صحته وبعلاج إسقامه ان يكون خبيراً بهذه الكتب على ترتيبها، وان يكون قد قرأها على استاذ عالم بها، ومن ادعى علم ذلك فيجب ان يبدأ معه بالبحث والمساءلة من اولها واولها كتاب فرق الاطباء [١٣٥] لجالينوس فيسأل عن غرض جالينوس في هذا الكتاب الذي يدعى قراءته وعن عنوانه وعن مرتبته وعن منفعته وعن قسمته وعن صحة نسبته وعن اي أجزاء علم صناعة الطب منه واي انحاء التعاليم

---

١٣٢) في الاصل (طبيعي) والصحيح ماثبتناه

١٣٣) في الاصل (بالجماد) والصحيح ماثبتناه

١٣٤) الاسكول ـ تعبير لاتيني ومعناه وكان الدراسة ، اي المدرسة ،

١٣٥) كتاب فرق الاطباء ـ او كتاب الفرق اختصاراً ، وهو بمقالة واحدة ، وقد فسّره يحيى النحوي ـ(ابن ابي اصيبعة ص١٣٤ ، ١٥٤) وترجمة الى العربية حنين بن اسحاق ، وحققه وعلق عليه محمد سليم سالم سنة ١٩٧٧

سلك فيه فأنه ان أجاب عن هذه الثمانية الأوجه بالصواب علم منه أنه قد قرأ ذلك الكتاب، وان لم يعلم ذلك لم يتعب معه في السؤال عمّا داخل الكتاب وأحرىٰ وأجدر الا يعلم مابعده من الكتب. وكذلك يجب ان يمتحن من أدعىٰ قراءة باقي الكتب في واحد واحد منها فليسمي هذه الكتب ويعددها اذا كانت الضرورة قائده الىٰ ذلك فيقول ان اولها كتاب الفرق لجالينوس والثاني كتابه الذي عنونه الصناعة الصغيرة[١٣٦] والثالث كتابه في النبض الىٰ طوثرن[١٣٧] والرابع كتابه الىٰ غلوقن[١٣٨] في جمل علاج الامراض. ولأن هذه الاربعة كتب تشتمل علىٰ كثير من أصول صناعة الطب رأيت جميعها نافعاً جداً علىٰ الطريق الذي سلكته في جمعها لي اولا ثم لبعض الراغبين في علم هذه الصناعة فجعلتها فصولاً بدأت في أول كل فصل من فصول الكتاب الأول بحرف ألف، وفي فصول الكتاب الثاني بحرف باء، وفي فصول الكتاب الثالث بحرف جيم، وفي فصول الكتاب الرابع بحرف دال لئلا تختلط فصول الكتاب الأول بالثاني اذا لم افصلها مقالات. وايضاً لئلا تختلط بغيرها من جوامع هذه الكتب فأن الاسكندرانيين قد جمعوها بطريق سلكوه غير هذا وقد جمعها ايضاً حنين[١٣٩] وثابت[١٤٠] فلكي يسهل حفظها فيكون للمتعلمين اصولاً باعثة ومشوقة لهم الىٰ قراءة الكتب، وليكون للعلماء ولمن قرأ الأصول مذكرة جعلتها فصولاً، فمن احب ان يمتحن طبيباً بشيءٍ من فصولها فهو يستغني عن كل محنه لان كل فصل مسألة بنفسها، ولذلك ذكرتها في هذا الباب. والكتاب الخامس من كتب جالينوس الستة عشر

---

١٣٦) كتاب الصناعة الصغيرة ـ من مؤلفات جالينوس ، وهو بمقالة واحدة لخصّ فيها ماضمن كتبه الاخرى (ابن ابى اصيبعة ص١٣٤)

١٣٧) كتاب النبض الصغير ـ وقد كتبه الى طوشرل وسماه باسمه ، وهو بمقالة واحدة ضمنها مايحتاجه الطبيب عن معرفة نبض المريض ، (ابن ابي اصيبعة ص١٥٤) وقد حققه وعلق عليه محمد سليم سالم سنة ١٩٨٥

١٣٨) كتاب الى إغلوقن ـ واغلوقن فيلسوف يونانى زامن جالينوس وطلب منه ان يصنع له كتاب في الطب فوضع له كتاب (التاتى لشفاء الامراض) وهو بمقالتين في علاج الحميات والاروام (ابن ابي اصيبعة ص ١٣٤) وقد ترجم الكتاب وشرحه محمد سليم سالم سنة ١٩٨٥

١٣٩) حنين ـ يقصد به حنيناً بن اسحاق العبادى ، طبيب المتوكل وشيخ المترجمين من اليونانية الى العربية والسريانية . وكانت وفاته حوالى سنة ٢٦٠ للهجرة

١٤٠) ثابت ـ يقصد به ثابت بن قرة الحرانى ، فلكى وحكيم وطبيب الخليفة المعتضد بالله ، وكانت وفاته بحدود سنة ٢٨٨ للهجرة (ابن ابي اصيبعه ص٢٩٥ ـ ٣٠٤)

كتاب الاسطقسات[١٤١] والسادس من كتابه في المزاج[١٤٢] والسابع من كتابه في القوى الطبيعية والثامن كتابه في التشريح[١٤٣] والتاسع كتابه في منافع الأعضاء[١٤٤] والعاشر كتابه في البحران[١٤٥] والحادي عشر كتابه في أيام البحران[١٤٦] والثاني عشر كتابه في النبض الكبير[١٤٧] والثالث عشر كتابه في الادوية المفردة[١٤٨]، والرابع عشر كتابه في الادوية المركبة[١٤٩]، والخامس عشر كتابه في حيلة البرء[١٥٠] والسادس عشر كتابه في البرهان[١٥١] وقد رأى قوم تقديم بعض هذه الأدوية لاسباب ليس هذا موضع ذكرها، فمن أراد محنة طبيب فليخبر امره هل قرأ هذه الكتب ان كان فاضلاً فيلسوفاً او جلها او اكثرها؛ بل لاغنى له بتة

---

١٤١) كتاب الاسطقسات ـ بمقالة واحدة على رأى ايقراط، وفيه يذكر بان المخلوقات ذوات الدم والنباتات مركبة من الاركان (الاسطقسات) الاربعة التي هي الهواء والنار والماء والتراب التي تتحول موادها في داخل الجسم الى الاخلاط الاربعة؛ وهي الدم والبلغم والمرتين الصفراء والسوداء (ابن ابى اصيبعة ص١٣٩)

١٤٢) كتاب المزاج ـ لجالينوس ايضاً وهو بثلاث مقالات في مزاج ابدان الحيوان وفي مزاج الادوية (ابن ابى اصيبعة ص ١٣٢ ـ ١٣٣)

١٤٣) كتاب التشريح ـ ويقصد به التشريح الكبير او علاج التشريح، وهو بخمس عشرة مقالة ضمنها كل مايحتاج اليه الطبيب من امر التشريح (ابن ابي اصيبعة ص ١٣٨)

١٤٤) كتاب في منافع الاعضاء ـ لجالينوس، بسبع عشرة مقالة في فسلجة اعضاء الجسم بما في ذلك اعضاء التوليد (ابن ابي اصيبعة ص ١٤٠ ـ ١٤١)

١٤٥) كتاب البحران ـ لجالينوس وهو بثلاث مقالات في توقع مايتطور اليه المرض (ابن ابى اصيبعة ص ١٣٧)

١٤٦) كتاب ايام البحران ـ لجالينوس، بثلاث مقالات تبحث في مايحدث ايام تطور حالة المريض الى الافضل او الى الاسوا (ابن ابي اصيبعه ص ١٣٧)

١٤٧) كتاب النبض الكبير ـ لجالينوس بست عشرة مقالة في اصناف النبض وتعريف كل نوع منه وتفريقه بجس النبض (ابن ابي اصيبعة ص١٣٦ ـ ١٣٧)

١٤٨) كتاب الادوية المفردة ـ لجالينوس باحدى عشرة مقالة، ضمنها قوى الادوية وافاعيلها في البدن، ومصادرها من النبات والحيوان (ابن ابي اصيبعة ص١٤١)

١٤٩) كتاب الادوية المركبة ـ يذكره ابن ابي اصيبعة باسم كتاب تركيب الادوية، وهو بسبع عشرة مقالة ضمنها اجناس الادوية المركبة بانواعها التي تحلل والادوية التي تدمل وطرق تركيبها (ابن ابي اصيبعة ص١٤٣ ـ ١٤٤)

١٥٠) كتاب حيلة البرء ـ لجالينوس، باربع عشرة مقالة، وفيه يصف معالجة واحد من الامراض بطريقة القياس (ابن ابي اصيبعة ١٣٧)

١٥١) كتاب البرهان ـ لجالينوس في خمس عشرة مقالة، وهو من الكتب النادرة حتى القرن الثالث عشر الهجري، وجله في المنطق (ابن ابي اصيبعة ص١٤٦ ـ ١٤٧).

عن علم الخمسة عشر ان كان طبيباً طبيعياً بالحقيقة، وانما فردنا كتاب البرهان من جملة الستة عشر لانه لايقوم بقراءته ولا يفهم جل مافيه الا من قد تفلسف وقرأ المنطق والهندسة[١٥٢]، واذا علم منه القيام بفهم اصول صناعة الطب التي تتضمنها هذه الكتب فقد صح انه عالم باصوله وبقي عليه القيام بالخدمة والمحنة له في ذلك هو ان يسأل كيف تركّب الأدوية المركبة، وأي شيئ يدق مع أي شيئ، واي شيئ يخلط بأي شيئ، وكيف تعجن؟ وما يعجن؟ وكيف تُحبّب وتُقرّص مارسم عمله كذلك ولِمَ عجن بعض المركبات بمياه وبعضها بعسل، ولم عمل بعض الحبوب كباراً وبعضها صغاراً، ولم عملت بعض الجوارشنات جريشة وبعضها دقيقة ناعمة. ولم لُتّ بعض الأدوية بدهن وبعضها لا وأمثال هذه الاعمال التي يضطر الطبائعي الىٰ عملها فانه متىٰ جهل علم ذلك وعمل مثلاً الحب الكبار صغاراً والجريش من الجوارشنات ناعماً ضر ضرراً عظيماً. ولجهله بذلك ايضاً لايقدر علىٰ إصلاح ما أفسده، فهذه الاشياء التي ذكرناها في هذا الباب انما ينبغي ان يمتحن بها من التبس امره فان الحال فيمن أدعىٰ علم صناعة الطب وليس من اهلها كحال الدرهم المزيف الذي لايمكن صاحبه ان يظهره بين النقاد ولا ينفقه الا ليلاً او علىٰ من ضعف بصره عن النقد واما ان جهل وتجاسر واظهره وخلطه بالدراهم الجياد النقية فانه سريعاً يطهره النقاد ويبين فضيحته. وفيما ذكرته من هذا المثال كفاية لمن لم يقدر ان يمتحن من تزيّا بزي الاطباء وليس منهم لكنه جعل زيّه وزينته كالشبكة للصياد بما اذكره من ظاهر أمره فانها محنة كافية وذلك بأن ينظر في افعاله بنفسه وبجسمه وبافعاله مع غيره، فان ذلك كاف والدلالة علىٰ عقله وفهمه، فاما في نفسه فهل أخذ لنفسه منذ صباه بالتأدب والتعلّم ومجالسة الأدباء والعلماء ام هو متشاغل بالأكل والشرب واللعب بالشطرنج مثلاً وغيرها من الأمور الشاغلة عن العلم وقراءة الكتب، وبمصاحبة الجهال والسفهاء والرعاع، وهل تراه كثير الدرس للكتب مذاكراً لأهل العلم ومجالستهم ام همته التجارة والاهتمام بكسب الدراهم وطلب اللذات [١٥٢ب] من

---

١٥٢) كان من المبادئ عند الاطباء القدماء ان من يبتغي تعلم صناعة الطب عليه ان يتعلم اولاً المنطق والهندسة ليفهم الطب علىٰ حقيقته (ابن رضوان المصري ـ النافع في كيفية تعلم الطب، المقالة الثانية).

١٥٢ب) تناول هذا الموضوع ابو بكر الرازي المتوفى بحدود ٣٢٠ للهجرة. في كتابه المنصوري في الطب ص٢٣٥ ـ ٢٣٦ تحت عنوان محنة الطبيب (امتحان الطبيب)، وقد يكون اسحاق بن علي الرهاوي المتوفى في آخر القرن الثالث للهجرة في كتابه ادب الطبيب اسبق من الرازي الى تناول هذا الموضوع.

حيث اتجه ذلك فان من كان كذلك فلا خير فيه في هذه الصناعة ولا نفع عنده. واما في امر جسمه فانك تعلم ذلك من أغذيته في اوقاتها وفي توسطها وفي اتخاذه لنفسه الجيد من الأطعمة والأشربة ومن تعاهده لجسمه بتنقيته وغسله واصلاحه وطيبه فان من لم يقدر على صلاح جسمه ونفسه فأجدر ألا يقدر على ذلك في غيره. واما من افعاله مع الناس. ففي وطأة اخلاقه وقلة رغبته في التقدم والترأس وطلب الغلبة واستعمال (المحك) واللجاج.
وايضاً ففي استعماله العدل في معاملاته وان يريد للناس مايريد لنفسه، كثير الرحمة والمعروف لا على طريق البذخ بذلك والتصيّد به لكن يريد الخيرات لذات الخير فيما ذكرناه وامثاله ويجب ان يفرق بين الافاضل وابناء العلم وبين اضدادهم فأن الأفاضل على الاكثر للناس كالغذاء واحياناً كالدواء. والجهال الأدنياء دائماً كالداء واحياناً كالسم فمن وهب الله له سعادة نافعة فقد وجب عليه اخلاص المحبة للواهب له تبارك، والشكر دائماً جعلنا الله وأياكم من الشاكرين النافعين بجوده واحسانه فاذا قد اخذ هذا الباب بحقه فيكمل هاهنا وليتبعه بما بعده بمعونة الله تعالى.

في الوجه الذي ه يقدر الملوك على ازالة الفساد الداخل على الأطباء والمرشد لى صلاح ساير الناس من جهة الطب وكيف كان ذلك قديماً

واما على أثر ماتقدم من القول على شرف صناعة الطب وانتقاد أهلها وتمييزهم بالطرق المنبهة للحق منهم من المبطل، فانه يجب ان يذكر الذي يلزمه من الناس الزام كل واحد من المحقين مرتبته لئلا يدخل على الناس الفساد من بعد بعض المتغطرسين الى غير مرتبته وهم[١٥٣] المدعين لها محالاً ليظهر بذلك العدل ويتبين به الحق ويكون النفع عاماً، والصلاح شاملاً وبالله أستعين؛ فنقول ان الخالق تعالى شرف الانسان بالجزء الألهي وهو العقل على ساير مافي عالم الكون لينال بعقله اذا علم العلوم ورتّب الامور جرايتها على نظام مستقيم الشرف الأكمل، والرئاسة العالية. ولما كان الانسان مخلوقاً من اسطقسات متعادية وكيفيات متضادة، لم يجز بقائه بشخصه مدة بقاء العالم فاوجبت حكمة الصانع تعالى بقائه بنوعه وجعل ذلك بالتناسل ولم يكن التناسل يتم الا بما فرقه الباري تبارك من اللذة بالحركة اليه، ولان الحكمة ايضاً اوجبت بقاء الانسان بشخصه مدة ما وكان الانسان دائماً يتحلل من جسمه ماكان يهلكه بسرعة لولا مالطف له الخالق تقدست اسماؤه من الغذاء فلذلك جعل مغتذياً ولم يكن ليشتاق الى الغذاء لولا لذته، ولهذين السببين العظيمين جُعلت اللذة في الحيوان، فصار الحيوان بطبعه لاجل اللذة، يغتذي ويجامع. ولما لم يكن له عقلاً صار

١٥٣) وردت في الاصل (وهم) والصحيح ماأثبتناه.

يأخذ من ذلك بطبعه حسب الكفاية تارة وحسب ماتهيأ اخرىٰ، وبين الحيوان في ذلك اختلاف وتفاضل. فاما الانسان الفاضل فلا يأخذ من الغذاء ولا من الجماع الا بحسب حاجته فقط، والمقدر لذلك هو العقل، ولاجل ان الطبع يعتبر باللذات فيزيد من الامور اللذيذة اكثر من حاجة الجسم في بقائه وصلاحه والعقل يريه قبح ذلك وفساده وقعت بينهما محادثة ومناظرة (وضرب) لايقدر الانسان العاقل الفاضل علىٰ توسطه وتعديله وطفي ناره الا بقوة عظيمة ثالثة جعلها الباري تعالىٰ كالالة للحرب ليقدر بها المحارب علىٰ مقارعة محاربه، فان بادر العقل اليها واستعان بها علىٰ محاربة الطبع قهره وظهرت رياسته وقدر علىٰ اظهار عدله وامكنه وضع الأمور مواضعها، لان الملك والرئاسة قد حصلت له وحده والحمل الطبع الذي هو ضده وهذه الآلة هي القوة الغضبية التي جُعلت كالسيف للمحارب فمن قوىٰ علىٰ خصمه استعان بها في حربة. ولما كانت حكمة الباري تعالىٰ واحدة لااختلاف فيها شابهت بعضها بعضاً ولذلك يوجد في الانسان من الحكم والنظر مثل مافي العالم بأسره، ولهذه العلة قالت القدماء ان الانسان هو العالم الأصغر[١٥٣ب] ولذلك يجد العاقل من الناس من قدرة الباري تعالىٰ ولطفه بخلقه وجوده عليهم مالايجده الجاهل، فيكون العاقل بذلك في نور دائم ولذة لاتنقطع ونعمة لاتفارقه من فردوس الحكمة التي هو دائماً لها في سره والجاهل في ظلمات وشقاء. فالعاقل لذلك يعلم ان الملك في ملكه والرئيس في رئاسته والعالم في علمه لم يميزهم الباري تعالىٰ من سائر خلقه الا بقوة وسعادة من عنده، خصهّم بها لنفع الرعية[١٥٤] وصلاح الكل كما ميّز العقل من الطبع، ولذلك وجب عليهم ان يقومون للعالم بما نصبوا له فكما ان العقل يجتهد في تقويم الطبع كذلك علىٰ الملك ان يجهد نفسه في صلاح رعيته. وكما ان العقل اذا خالفه الطبع يستعين علىٰ مقاومته بالقوة الغضبية كذلك ينبغي للملك ان يستعين بهذه القوة بعينها عند الخلاف عليه اذا كان سالكاً في تدابيره طرق العدل. وكما ان المحارب لايصلح له تجريده سيفه عند الخوف من العدو وكذلك الملك لايصلح له استعمال الغضب الا عند خوفه علىٰ فساد ملكه، لان له قوىٰ نافذة يمكنه بها تدابيره بغير غضب فأذن أعظم ما أحتيج الىٰ الملك فيه هو حفظ ملكه واستجلاب المنافع له ولرعيته، ولايتم ذلك للملك او يكون متيقظاً مستضيئ بنور العقل

١٥٣ب) هذا هو قول افلاطون وارسطو في كلامهما عن الكواكب وعوالمها.

١٥٤) وردت في الاصل (الرية) والصحيح مااثبتناه.

والشريعة، مستمد الرأي والتدابير من أهلها وبذلك يظهر شرفه ويزين ملكه فيكون اهل العلم والدين في ملكه مشرفين أعزاء واهل الشر والجهل مرفولين اذلاء. واذا كان الأمر على ماقلناه فمن البين ان التواني في كثير من الصغائر واهمال أمرها ربما ادخل الفساد على الامور العظام فان الحقير من شرار الناس أهلك الخطير من المنازل والمدن، فلذلك يجب على القيم برعاية عامة، والمدبر ملك او مدينة الا يهمل من مصالحهم حقيرها فكيف شريفها وعظيمها. ومن المعلوم ان لاشيء من المكونات اشرف من نفس الانسان ومن جسمه، واذا كانت المنافع لهما بطلت ولاشيء انفع من حفظها واصلاحها فالملك اولى الناس بأختيار من عنده هذه المنافع والمصالح الشاملة والعامة ليس في نفسه وجسمه ثم لسائر الناس. وبغير ان الحافظ لصحة الاصحاء والمعالج للمرضى حتى تعود اليهم صحتهم هم الذين وهب الله تبارك وتعالى لهم من حكمته علماً يقدرون به على ذلك مع ارادته وهؤلاء هم الأطباء ولماكان (قوم) قد تغطرسوا على هذه الصناعة فادعوها بغير معرفة بها وجب لذلك على الملك خاصة ازالتهم مما غصبوه اولاً ثم ثانياً لاجل مايدخل على الخاص والعام منهم من الضرر اذا تميز لهم فعل عدوهم فلا يمكن المرأة والسوقي والغريب تمييزهم من غيرهم فيتجنبهم، فلذلك يكون الضرر بل القتل بينهم شائع، وهو بالحقيقة خفي فالملك الى دفع هذه البليّة عن جنده ورعيته عن نفسه ايضاً واجب اذ كان في احايين قد يصير الملك الى من لاخبرة عنده بامور الطب فربما اضطره الأمر الى احضار طبيب[155] ولايعلم بأنه غير موثوق به فيخطئ عليه ويهلك، فيكون اغفاله اعتقاد ذلك في حال صحته سبب هلاكه. وكذلك يتسبب دائماً على خواصه وعوامه. فقد أتضح بما قلناه ان النظر من أمر الطب خاصة والزام الأطباء بعد محنتهم واختبار امورهم واجب على الملوك اولاً ثم على الرؤساء ومن اليهم النظر في مصالح الناس والعلماء واهل العقول. ولما كان من ذكرناهم بعد الملك هم اكثر مشاهدة للأطباء وغيرهم من الملك، ويسمعون من اخبارهم مالا يسمعه الملك وكان في انهاء ذلك وشرحه للملك مصلحة للملك اولاً ولهم ولسائر الناس، وجب عليهم تعريف الملك وحثه على القيام بصلاحه، وبخطر ماذكرنا وشدة الاهتمام به. كان قدماء اليونانيين يسلكون مع الاطباء طرق الاحتياط وشدة التفقد، فلذلك كان اطباؤهم[156] على شدة حذر وتوق[157]

---

١٥٥) وردت في الاصل (طبيباً) والصحيح ماأثبتناه.
١٥٦) وردت في الاصل (اطباءهم) والصحيح ماأثبتناه.
١٥٧) وردت في الاصل (توقى) والصحيح ماأثبتناه.

من الخطأ وتوق شافٍ. من ذلك ماحكاه عنهم الثقات، وذلك ان الطبيب لم يكن ليتمكن من الجلوس للطب الا بعد ماذكرنا جملة من المحنة والاختبار، فاذا كان اطلق له ذلك فقد كان يحمل قدماء الأطباء لهم كرسي يسمىٰ كرسي الحكمة، لما فيه من المنافع وحسن الشكل، فكان لايجلس عليه الا طبيب(١٥٨) والىٰ الآن ذلك الكرسي ينصبه قوم من الاطباء بالشام ويجلسون عليه، فكان قديماً من جلس في ذلك المجلس فقد علم منه انه مرض ممتحن. وكان الطبيب اذا دخل الىٰ مريض ليعوده ويطببه يستدعي اول (وصوله) عليه ورقا ابيضاً فيكتب فيه بعد تأمل حال المريض: دخلت الىٰ المريض الفلاني في اليوم الفلاني وهو اليوم الاول من مرضه او الثاني او الثالث بحسب ماتهيأ فوجدت مرضه المرض الفلاني الذي دلني علىٰ ذلك الحالات الفلانية من حالات قارورته ونبضه والعلامة الفلانية والفلانية، فأشرت عليه من الدواء بكذا وكذا(١٥٩) ومن الغذاء بكذا وكذا. ويدع ماكتبه عند اهل المريض، وعند العودة ينظر ماتغير وحدث فأثبته علىٰ ماذكرناه. وكذلك في كل دخلة وان رأىٰ علامة منذرة ببحران ذكرها. واذا وافىٰ البحران بما انذر به أثبته الىٰ نهاية حال المريض والمرض. فان كان للمريض برؤ أخذ ذلك الدستور(١٦٠) اليه ليكون تذكرة عنده وواصل كمال اخرىٰ ان حدثت بذلك الانسان، وان مات المريض وذكر ذاكر(١٦١) طبيبه بانه قد غلط عليه حضر الطبيب مع اهل البصيرة واظهر ذلك الدستور من عند اهل المريض وافتقد من حضر العلماء بصناعة الطب ماذكره، فان يكن المرض علىٰ ماحكاه والعلامات هي العلامات الخاصة بذلك المرض وبمثلها يعلم، والعلاج والتدبير موافقين، أنصرف مشكوراً وان كان الامر بخلاف ذلك ناله مايستحقه ولم يعاود الىٰ الصناعة ان كان الغلط اوجب القتل(١٦٢) وانما حكيت هذه الحكاية(١٦٣) ليعلم القارئ بها كيف كانت العناية بأمر هذه الصناعة، وكيف كان الأحتياط علىٰ النفوس ولعل الله تعالىٰ يسبب للناس صلاحاً بما

---

١٥٨) وردت في الاصل (طبيباً) والصحيح مااثبتناه.

١٥٩) وردت في الاصل (بكذى) والصحيح مااثبتناه، وقد تكرر هذا الخطا في هذا السطر الرابع مرات فاصلحناها جميعاً.

١٦٠) يقصد المؤلف بالدستور مايسجله الطبيب في احوال المريض وتشخيص مرضه والعلاجات التي اوصىٰ بها.

١٦١) وردت في الاصل (ذاكراً) والصحيح مااثبتناه.

١٦٢) اي وفاة المريض.

١٦٣) هذه الحكاية اخذتها كتب الحسبة علىٰ الاطباء (الشيزري ص٩٧ وابن الاخوة ص١٦٧).

ذكرته فأكون قد سقت اليهم خيراً وهو المطلع علىٰ سريّ وقصدي ، وله اسأل ان يوفقني الىٰ استعمال ماذكرته من الحق ويسهل طرق الحق والخير لعباده أجمعين وليكمل هذا الباب هنا بمعونة الله تعالىٰ.

في التحــذير من خــدع المحتالين الذين يتسمـون بـاسم الطب والفرق بين خدعهم والحيل الطبية

ليس غرضي في هذا الباب ايها الحبيب ذم الحيلة علىٰ الاطلاق اذ كان معنىٰ هذا الاسم، انما بلطف الانسان وفطنة العقل في اصابة مابعد واعتاض عن غرضه وبهذا المعنىٰ اعني (طريق للحيلة) قدر الانسان ان يستخرج دقيق العلوم والصنائع لأن الموجودات لم يكشفها الباري بأسرها للانسان لئلا يسقط عن الناس كلفة النظر والبحوث ويذهب تفاضلهم بمعرفة العلوم والمهن فتسقط المراتب والرئاسات بذلك، وهذا هو سلب نوع الانسان مابه شرف وعدم حكمته التي بها فُضّل علىٰ انواع الحيوان، فلذلك جعل الله تعالىٰ بعض الأمور ظاهرة جلية وبعضها خفيّة ليتوصل بلطيف حيلة العقل وتدقيق ذهنه من الأمور الظاهرة الىٰ معرفة الأمور الباطنة كالذي فعله اصحاب الرياضات، فان المهندسين انما علموا ان الثلاث زوايا من كل مثلث مساوية لقائمتين من المصادرات التي قدمها اقليدس [١٦٤] في اول كتابه في الأصول التي علمها ظاهرة عندهم، ومن ذلك ترقوا الىٰ علم حالات المقادير باسرها والسطوح والأجسام وبذلك امكنهم مساحتها، ومن ذلك ترقوا الىٰ علم مقادير الاقاليم ومساحة جملة الارض ثم الافلاك، وبذلك علموا مواضع ماتهيأ لهم رصده من الكواكب وحركاتها وابعادها . وهذا الطريق مسلك اصحاب علم الحساب من استخراج الجذور وغيرها، كذلك جرىٰ أمر اصحاب علم النجوم فانهم (قفوا) آثار الأمور

١٦٤ب) اقليدس ـ عالم رياضي يوناني نشا في الاسكندرية، واشتهر بكتابه المعروف بالاصول في مبادئ الهندسة، وهو اشهر كتبه. وقد يكون عاصر الملك بطليموس الاول (٣٢٣ ـ ٢٨٥ ق.م)

الطبيعية في كثير من امورهم واستعملوا التشبيه والمماثلة والحدس وجميع ذلك قصد العلم الخفي بالظاهر. واما اصحاب المهن فامرهم في استعمال الحيل لاستخراج محاسنها ظاهر حتىٰ ان اكثر الناس يعجبون مما يعمله اصحاب الحركات والخيالات، وما يظهره اصحاب السحر من العجايب التي تدهش كثيراً[165] من الناس لاستتار أسبابها وعللها عنهم حتىٰ ان قوماً منهم يظنون ان الجن تفعل ذلك، وآخرون يرون ان قوىٰ إلاهية تخدمهم في ذلك، فهذه الاشياء وامثالها لم تتم للناس الا بلطيف حيلة للعقل. الا ترىٰ ان صناعة الطب لم تستخرج محاسنها بما فيها من العلاج والاعمال الا بطريق الحيلة كقدحهم العين حتىٰ تبصر من قد عمىٰ، وكبزلهم الماء من المستسقي، ومن اصحاب القيل[166] المائية، وكاستخراجهم الأخلاط الردية المفسدة بأدوية معلومة وبتقدير معلوم. ولكي يصيبون الغرض ويستخرجون ذلك الخلط بعينه، ولان لذلك طرق وقوانين قد تفضل الله بها علىٰ نوع الانسان وضع العلماء بهذه الطرق فيها كتباً ليعلمها من اراد التعرض لذلك لئلا يسلك غيرها فيهلك الناس كالذي فعله قدماء الأطباء من ذلك ماوصفه الفاضل جالينوس من كتبه (التي) رتبتها ترتيباً طبيعياً. وعلىٰ مذهب التعليم فبدأ من أول ما ينبغي ان يعلمه الطبيب وسار علىٰ نظام حتىٰ بلغ الىٰ نهاية مافيه صناعة الطب وهو أعوض مافيها والطفه واحسنه، فوضع طرق ذلك وما استخرجه القدماء من الاطباء بتلك الطرق اللطيفة، فوضع جميع ذلك في اربعة عشر مقالة وسمىٰ ذلك الكتاب حيلة البرؤ فاذن بهذه الحيلة انتفع الناس وهي نتائج العقول وثمرات الفضايل التي يستحق اهلها المدح والتشريف.

واما من سلك طرق الحيل في الوصول الىٰ كسب الدراهم علىٰ غير الواجب وبلوغه لذاته فقط فما مثله الا كذيب قد ستر نفسه ليفترس ماامكنه افتراسه. وليس الضرر الداخل علىٰ الناس من اصحاب هذه الحيل كالضرر الداخل عليهم من الحيوانات المؤذية بل اعظم كثيراً، لان الحيوانات لاتقدر علىٰ التقلب من فعل الىٰ فعل لكن لكل واحد منها فعلاً طبيعياً خصه به تكون أذيته، فاما الانسان الشرير المؤذي (الحيول) فانه يؤذي بطرق مختلفة ويتقلب في الافعال المؤذية بحسب اتساع حيلته فلذلك هذه الطائفة علىٰ نوع الانسان أشر من السبع والذيب والنمر والافعىٰ والعقرب وغيره من المؤذيات.

---

١٦٥) وردت في الاصل (كثير) والصحيح ماأثبتناه.

١٦٦) القيلة ـ هي الادرة اي الخصية المنتفخة بالماء.

ولما كانت صناعة الطب أجل المهن قدراً في نفع الانسان، واهلها السالكون طرقها بالحقيقة هم عند الناس من مرتبة شريفة عالية يكـرموهم ويجلونهم وكـانت ايضاً هـذه الصناعة مخصوصة باقوام خواص، فكانت بذلك مصانة لا يمكن كل من التمسها الدخول نيها، فلما وسع لكل من طلبها الدخول فيها وكان الناس بطبعهم يحبون نيل المراتب النسبية والتشريف والتبجيل، ولم يكن ذلك ليوجد لمهنة من المهن فوق صناعة الطب طلبها غير أهلها حسداً لهم، ولما لم ينالوا حقيقتها لينالوا[١٦٦ب] به العلو والمنزلة الرفيعة لسوء امزجتهم وغلظ قرايحهم عدلوا الىٰ الحيلة علىٰ الناس بضروب من الخدع والدهشمة ستروهـا بما أظهروه من الزي واللباس والتصنيع لمشابهة اهل الصناعة بالحقيقة في الفاظهم، وكثيراً من امورهم. وكانوا بذلك وبما جمّلوا به دكاكينهم واظهروه من آلاتهم ليصيدوا الناس كمن نصب الفخاخ وبسط الشباك لصيد الحيوانات. ولان هده الآفة الداخلة علىٰ هذه الصناعة وعلىٰ اهلها حتىٰ اوقعت في بعضهم الشك واكسبتهم سوء الظن بهم من كثير من الناس لما يرونهم عليه من صونها وتوفيتها حقوقها، نعم حتىٰ ان جهال الناس واشرارهم يعتقد فيهم البغضة ويضمرون لهم الشر.

فلذلك وصف جالينوس من خدع هؤلاء وخذلهم التي يعملونها ليتفقون بها على الناس فاذكر هاهنا بعضه ليعلم به جملة ماقصدت لذكره فتأمل. فأما جالينوس في كتابه في نوادر تقدمة المعرفة[١٦٧] هذا القول اما بحسب مايراه كثير من الاطباء (يا افنجانس) فانه غير ممكن ان يتقدم واحد فينذر بماهو حادث بالمرضىٰ في كل واحد من امراضهم، وذلك انه متذكر من غايته ان يظن به مايقدره من غير أن يعنى بمعرفة ذلك حق معرفته لافي الطب فقط لكن في سائر الصناعات استهسين باحسن مافي الصناعات واحرفت العناية الى الاشياء التي تشتهر ويكبر بها الانسان عند الكبر (فأقصد)[١٦٨] معرفة الاقاويل والافعال التي تنحو نحو اللذة والتملق والمساعدة بالقحة والتسليم في كل يوم علىٰ ذوي اليسار والمتسلطين في المدن وتشييع من يريد الشخوص الىٰ ناحية من النواحي واستقبالهم اذا قدموا من البلدان والحيلة لطلب الضحك في المجـالس، ومنهم قوم لم يقتنعوا بهذه الاشياء فقط لكنهم راموا ايضاً ان يقنعوا العوام انهم يستحقون بسراة لباسهم وكثرة ثمنه وحسن خواتيمهم وسراتها، وكثرة من معهم من التباع وبما يوجد لهم

١٦٦ب) وردت في الاصل (لينالون) والصحيح ماأثبتناه.

١٦٧) كتاب نوادر تقدمه المعرفة ـ مقالة واحدة (ابن ابي اصيبعة ص١٤٣)

١٦٨) وردت في الاصل (قاصد) والصحيح ماأثبتناه.

من الاواني الفضية، فهذا القول كاف في التنبيه علىٰ خدع هؤلاء بالاقاويل والافعال. ولو ذهبت الىٰ احصاء ماقاله جالينوس في ذلك لكثر وطال به الباب. واما خدع صنف آخر من هؤلاء بالاعمال فانها كثيرة ايضاً وقصدهم في جملتها ان يعملوا اعمالاً تشبه في الظاهر الاعمال الصحيحة من اعمال الطب ليقتنع بها الناس ويشهدون لهم بالخدمة في الصناعة مع ما[١٦٩] ينالونه من الكسب.

واذا تأمل المتأمل باطن تلك الاعمال وجدها مخرقة وحيلة وباطل لاحقيقة له، لافي علاج المرضىٰ ولا في حفظ الاصحاء، بل علىٰ اكثر الأمر انما تكون اعمالهم سبباً[١٧٠] لمرض الاصحاء وذلك بما يقدم عليه قوم منهم من شق وكي وغيرهما من البطش باليد لاعضاء لاتحتاج الىٰ ذلك، فيحدثون بالصحيح علة تحتاج لتعالج وتدبر مدة من الزمان ربما آل أمرها الىٰ الهلاك. وكذلك قال عنهم يركّب قوم اصنافاً[١٧١] من الأدوية لعلاج العين وغيرها من علل الجسم تراكيب من اكحال واقراص وسفوفات يدفعونها الىٰ المرضىٰ ليستريحون بها الفائدة ليست مما يصلح لعللهم لكنها من الظاهر تشبه الادوية المركبة بالحقيقة للعلاج، فكم من عمىٰ من اكحالهم، وكم من هلك من سفوفاتهم واقراصهم. ولأني لاارىٰ وصف كيفية اعمالهم وحيلهم لئلا يتعلمها الاشرار فاكون من حيث قصدت النفع اوقعت الضرر وايضاً فأني ارجو ممن له ادنىٰ دين وعقل اذا رآني قد عدلت عن اظهار العيوب وكشف القبائح يغار من قبحها ويزهد في دناياها فيكون ذلك سبباً لمصلحته وانتقاله الىٰ التعلم والتأدب، فلذلك تركت كشفها. ولاكون علىٰ الوجهين جميعاً مشكوراً ولكني لرغبتي في ان يكون التحذير ابلغ والحذر ابلغ، فاني (معما) لاكشف كيفيات الحيل في عملها واستعمالها أرىٰ ان اذكر من اسمائها مابه يلوح المحتالون بها، انني عن علم بها تركتها ويكون مع ذلك مفتاحاً وباباً[١٧٢] ينفتح لأهل الفطنة ليدخلوا الىٰ معرفتها منه ان اخبرذلك وليكون له بذلك من حيلهم منها أتم حذر، فأقول ان اخلاط البدن الاربعة اذا كثرت وانصبت الىٰ بعض الاعضاء البدن ولم يمكن تلك الاعضاء احالتها بالنضج ليغتذي احالتها احالة لاتصلح للغذاء فتعفنت واحدثت ضروباً من الاورام والنزل والسلع

---

١٦٩) وردت في الاصل (معما) والصحيح ماالبتناه.

١٧٠) وردت في الاصل (سبب) والصحيح ماالبتناه.

١٧١) وردت في الاصل (اصناف) والصحيح ماالبتناه.

١٧٢) وردت في الاصل (باب) والصحيح ماالبتناه.

بحسب جواهرها ولابد من ان يكون لها الواناً بحسب الوان الاخلاط الطبيعية والمناسبة لها والعلاج الصحيح لهذه هو اخراجها من الاعضاء بطرق مختلفة من انضاج وتليين ليتمكن الطبع فتحها او ليتهيأ للمعالج[١٧٣] باليد فتحها او شقها وبطها واخراج المواد واستنظافها، فلعلم اهل الحيل المموهة وهم الذين يسمون الدستكارية[١٧٤] بذلك احتالوا بلطف حيلة لعمل اجسام تشبه تلك المواد والاجسام التي تكون في النزلات والاورام، واحتالوا ايضاً في اخفائها في افواههم وفي ايديهم وبين آلاتهم ليدكونها ويظهرون انهم يستخرجونها اذا شاؤوا وبعد شق العضو الذي يقصدون لعلاجه ويعملون الحيلة في اظهار ذلك المستور المشابه للخلط بمصه بآله لهم تسمىٰ (الماذوقة)[١٧٥] فيخرجون مايشبه المادة السوداوية، ويسمون ذلك (السورل)[١٧٦] ويستخرجون من آخرين مايشبه في قوامه البلغم والمدة المتغيرة، وكذلك مايماثل الخام في بياضه ويسمون ذلك (الركاب)[١٧٧] ولعلمهم بأن الاورام الصلبة والسلع قد تكون داخل مواد صلبة وعصبية وقد يتكون فيها دود ايضاً، وتتكون اورام تشبه السراطين في شكلها، فلذلك احتالوا في عمل ماشابه ذلك واخفائه ثم استخراجه بعد الدلك من حيث اخفوه كأنه من العضو قد استخرج واسموه ذلك (القدسان)[١٧٨] واما الدود المستخرج من الاذان وغيرها خاصة فاسمه عندهم (الهقمان)[١٧٩] واما مايستخرجونه من امثال هذه الاشياء بالقي فيسمونه (اللوىٰ)[١٨٠]

وكذلك ايضاً قد يستخرجون من أناف الصبيان شيء من جنس الاغذية يسمون (بلعا)[١٨١] وليس احتاج ان اعدد تسميات هؤلاء لاعمالهم هذه التي يسمونها (التحرير)[١٨٢] مثل (الارول)[١٨٣] الذي

---

١٧٣) المعالج باليد هو الجراح.

١٧٤) الدستكارية ـ كلمة اعجمية تعني الحاذق بعمل اليد

١٧٥) الماذوقة ـ مصطلح طبي غير شائع الا بين منتحلي الطب والمشعوذين.

١٧٦) السورل ـ كما في الفقرة المتقدمة.

١٧٧) الركاب ـ كما في الفقرة المتقدمة.

١٧٨) القدسان ـ كما في الفقرة المتقدمة.

١٧٩) الهقمان ـ كما في الفقرة المتقدمة.

١٨٠) اللوّي ـ كما في الفقرة المتقدمة.

١٨١) بلعا ـ كما في الفقرة المتقدمة.

١٨٢) التحرير ـ لم اقف علىٰ معنىٰ هذا التعبير في الطب.

١٨٣) الارول ـ اداة طبية لم اقف علىٰ وصفها.

يستخرج به النواصير، (وكرد ارول) الذي يظهر من حيلته استخراج مدة من اجفان العين من الجرب العارض لها وغيره وقد يستعين هؤلاء في حيلهم بـاعطاء ادويـة قد اتخذوها معهم مخدرة ومنومة ليظهر لأهل المريض ومن حضره الراحة للمريض وسكونه من مرضه، وبرؤه بعلاجهم فيستريحون للفائدة بذلك، وكذلك قد يفعلون في اعطائهم ادويـة مسهلة حارة كـالشبرم[١٨٤] ولبنـه والمازريـون[١٨٥] واشباه هـذه بغير علم منهم باصلاحها، فيقتلون بذلك عاجلاً وآجلاً. ولست اقول ان جميع الدستكارية يستعملون ماذكرته بغير علم وبطريق المحال لكني أشرت الىٰ الموهين منهم. فاما حذاقهم الفِره اصحاب البطش بالاعمال الصحيحة فانهم وان استعملوا حيناً شيئاً ممـا ذكرتـه لم يستعملوه علىٰ طريق المحرفة لكن بحيلة طبية نافعة يكون بها برؤ المريض من طريق الوهم كالذي فعله جالينوس من هذه الاعمال بعينها، فكان بها برؤ المريض. وذلك ان جالينوس حكىٰ ان انساناً توهم انه (بلع) حيّة (فعولج) بكل دواء فلم ينجح فيه فلما وقف جالينوس علىٰ خبره سأله هل تعرف لون تلك الحية فقال هو اللون الفـلاني، ومقدارهـا المقدار الفلاني، فأمر سراً من العليل بمن صاد له حيّة بتلك الصورة واخفاها بلطف الحيلة مسقىٰ المريض دواءاً قذفه وشدّ عينيه حين أخذ يقذف وسرّح الحية المذكورة مع القذف وامر من حضر ان تعلو اصواتهم بالتباشير بخروج الحية، فحين فضّ عن عيني المريض قال هذه الحية التي ابتلعتها وقد وجدت الراحة، فبرأ برأ تاماً من توهمه. وقد جرىٰ له ولغيره امثال ذلك كثير من اصحاب المالنخوليا وغيرهم ممن تداخلهم الرعب والفزع من اشياء فذابت ابذانهم واصفرت الوانهم فلم يقدر فيهم علىٰ علاقة تدل علىٰ مرض، فلما علم من أمرهم ان ذلك لفزع عملت الحيلة لادخال السرور علىٰ قلوبهم فبرأوا. وذلك لايكون بصنف واحد في التدبير والحيلة لانه منه مايكون من جهة الاخبار المسموعة والكتب التي ترد منه، ومن جهة المنظورات وكذلك من باقي الحواس فيحتاج ان يكون الطبيب لذلك ذكياً لاستخراج السبب ولمقابلته بالحيلة كالذي استخرجه جالينوس سبب ذلك المملوك

---

١٨٤) الشبرم ـ قصب دقيق، ثقيل علىٰ المعدة ويضر بالكبد. يستعمل في حالات الاستسقاء ولدره مع البول (ابن سينا ٣٦٢/١)

١٨٥) المازريون ـ نبت، خلاصته مسهل قوي ويستعمل في حالة السوداء والكثير منه قاتل. وطلاؤه نافع من النمش والبرص والكلف (ابن سينا ١/ ٣٦٢)

الذي كان خازناً لمال مولاه، وقد كان بدنه آخذاً في الذبول والنقصان، فطال سهره، فشغل بذلك قلب مولاه، فلما بحث جالينوس عن سببه لم يجد علامة لمرض بجسمه فيقضي امره، فعلم ان سببه خوف الفضيحة من نقصان ذلك المال، فأعلم مولاه بذلك وقال له اظهر انه ثقة وانه (لا) يحاسب فلما وثق الغلام بانه لايحاسب عاد بدنه وقوى وبرى في ثلاثة ايام. وقد حكىٰ جالينوس من امثال هذه الحيل النافعة حكايات كثيرة في كتابه من نوادر تقدمة المعرفة، وفي كتابه في حيلة البرؤ وفي غيرهما من اقاويله من التمس ذلك وجده. وأما هاهنا ففي ماكتبناه في هذا الباب كفاية وقد بقي ان اقول قولاً نافعاً اختتم بذكره هذا الباب، وهو نافع من التفرقة بين الدستكارية الحذاق والمتشبهين بهم فأقول: انك تجد الصنفين جميعاً اذا دخلوا المدن قصدوا اظهار مايدعونه من اعمالهم بضروب من الحيل فمنهم من يلاطف سلطان ذلك البلد بمعاجين (او أبحاث) حسنة في منظرها وفي فعلها علىٰ مايدعونه من المنافع التي يرغب كثير من الناس فيها فيدعى في بعضها انها تقوي وتجوّد الهضم وتحسن اللون وفي اخرىٰ تحفظ سواد الشعر وآخر يسوده وآخر يحرك شهوة الباه ويزيد في الانعاض من المعلوم ان فيما ذكرناه وامثاله يرغب كثير من الناس فبهذه واشباهها يتوصلون الىٰ ذوي الرئاسات واليسار ليتوسطوا[١٨٦] بذلك مجالسهم ويقربون منهم ويفاوضونهم ليشهدوا[١٨٧] لهم بالتقدم وخاصة مع ما[١٨٨] يسمعون منهم من الدعاوىٰ واحرىٰ وأجدر ان عملوا عملاً من اعمال اليد بحضرة بعضهم كالبطش بخنزير[١٨٩] يقلع او قدح عين او بزل ماء او ماجانس ذلك فانهم بذلك تتم لهم الحيلة علىٰ باقي من في البلد. وايضاً فان لهم اقاويل ينادون بها في المدن يسمونها (التقربة) فاذا ترتب لواحد منهم مع من في البلد من السلطان او القاضي او من له التقدم بما تقدم ذكره من الملاطفة والحيلة استعار حينئذ منه مركوباً ونادىٰ بقوة قلب وثقة بتلك التقربة واكثر ماينتفعوا بالتقربة في المدن الصغار لانه عليهم اسهل مراماً واقرب مأخذاً، ولذلك صار اكثرهم يسلك بهذه الحيلة وبهذه التقربة من العلاج وغيره مما يدعيه لنفسه. وليس

---

١٨٦) وردت في الاصل (يتوسطون) والصحيح ماأثبتناه.

١٨٧) وردت في الاصل (ليشهدون) والصحيح ماأثبتناه.

١٨٨) وردت في الاصل (معما) والصحيح ماأثبتناه.

١٨٩) خنزير وجمعها خنازير، وهي الغدد التي تضخم وخاصة منها التي في الرقبة.

تنكشف هذه الحيلة وبهذه التقربة من العلاج وغيره ممايدعيه لنفسه وليس تنكشف هنا الحيلة وتظهر الا عند الاعمال[190] فان كثيراً منهم مع مايعمل[191] اعماله فيشق ويقدح ويسقي ادوية وغير ذلك من البطش (يستريخ) الفائدة ويخاف كشف عيوب اعماله وفضيحته من (يكربك عين اورواح هلاك) بعض المعاجين بادر الىٰ الهرب، فهو في كل يوم في ضيعة او مدينة لانه لايقدر يقيم في مدينة واحدة منذ زمان طويل فيكشف عليه مايهلكه ايضاً، فان كثيراً منهم يضيف الىٰ بدعته من اعمال الطب دعاوىٰ أُخر يسرق بها عقول النساء ومن يطمع فيه من (قريائي)[192] وبدوي وغيرهما ولا ممن لاتحصل له فيستلبون منهم مايتهيأ لهم اختطافه. وهذه الدعاوىٰ هي اصناف فمنهم من يدعي العزائم والرقي وكتب الكتب التي يهيجون بها ويحلون ويجلبون الغائب ويسمون هذه الكتب (سراميط)[193] ومنهم من يدعي انه يخرج الكنوز بصنوف من الدلك. ترك شرحها اولىٰ. وكثير من هذه الحيل لاأطيل بذكرها وهؤلاء الذين يجب امتحان دعاويهم واختبار امرهم والحذر منهم قبل ان تمكنهم الفرصة لانهم يسيرون نفوسهم كالذباب، ويدورون السكك والشوارع، ويطلبون خلو المنازل من رجالها، فيستعرضون ذلك لاعمالهم الشنيعة فعلىٰ من اليه حفظ العوام والرعايا وبالجملة ساير من في المدينة ان يحفظها من هؤلاء الذباب واللصوص الذين قد استتروا عن عيون الناس بظاهر زيهم وعظيم دعواهم، والمقدم ذكره من الاشياء التي يمتحن بها المدعون لهذه الصناعة هي في هؤلاء نافعة جداً وهي المخلصة من بلاياهم وبها يقدر السلطان علىٰ التفرقة بينهم وبين الحذاق من الدستكارية ان احب ذلك هو او غيره.

---

١٩٠) وردت في الاصل (كثير) والصحيح ماثبتناه.

١٩١) وردت في الاصل (معما) والصحيح ماثبتناه.

١٩٢) قريائي، نسبة الىٰ القرية كما ترد في هذا المتن.

١٩٣) السراميط ـ لم اقف علىٰ تفسير هذا المصطلح.

في العادات[193ب] المذمومة التي قد اعتادها كثير من الناس فهي تضر بالمرضى والأطباء

ولما كان الطبع يميل الى اللذات، وكانت اللذات كثيرة اصنافها مختلفة انواعها صار الطبع يحب اجتماع اصنافها له، ويؤثر الا يفوته نوع من انواعها ولذلك وقعت الالفة بين الناس والمحبة بين المتصادقين لاجل مايجده احدهما عند صاحبه من اللذة او اللذات. ولما كان اهل المروءة واليسار واصحاب الرياسات قد وهب لهم من السعادات الدنيا ماحرمه من سواهم من الناس، وكانت تلك السعادات اعظم اللذات عند الطبع واجلها قدراً طلبت لذلك من فاته تلك السعادات للوصول اليها بضروب من الحيل والخدع فسلك كل من التمس السعادات بالعلوم والآداب والصنايع الجليلة القدر العظيمة النفع وهؤلاء هم الذين يلتمسون سعادة بسعادة وهي اشرف منها، لان سعادة العلم والادب هي للنفس وسعادة المال حابسه للجسم . وكما ان النفس اشرف من الجسم كذلك سعادة النفس اشرف من سعادة الجسم . واما طالبوا السعادات الدنائية بغير العلم والأدب كطالبي المال وغيره من المقتنيات الجسمانية من المهن والصنايع فهم طالبو سعادة بما جانسها ، واذا كان ذلك كذلك فقد بقي من القسمة طلب شيء شريف وسعادة نافعة بما هو ليس شريف ولانافع ، والطالبون للشيء الشريف بالشيء الحقير هم الذين يداخلون اهل المروءة واليسار والرؤساء باللعب واللهو والأمور المضحكة واصناف

١٩٣ب) اول من كتب في العادات هو جالينوس، وكتابه فيها مقالة واحدة، وفيها يقول ان العادة عرض يجب ان ينظر فيها كجانب من احوال المريض عند اعتبار علاجه (ابن النديم ص٣٤٩، ابن ابي اصيبعة ص١٤٠.

الحيل المقدم ذكرها في الباب الذي قبل هذا لينالوا من رتبهم واموالهم مايحبونه ، ولذلك نجد الكثير من الاطباء يداخلون المياسير ، وكثير من السلاطين يلعب الشطرنج والنرد وقوم يداخلون **قوّاد اعاجم بما يعرفونه من لغتهم لكي يأنسوا بهم ، وقوماً** يساعدون المياسير والرؤساء بتبليغهم وايصالهم الىٰ لذاتهم وشهواتهم في ضروب من الامور الضارة لهم في حال المرض فلذلك يكون هؤلاء مقدمين عندهم موثـوق بآرائهم مسموعة اقاويلهم وبغير شك انه اذا مرض احد هؤلاء المياسير فانه لابأس الا بمن قد الفه واعتاده من هؤلاء المحتالين . ولان ذلك الطبيب يجب ان يؤثر اثراً يصل اليه منه فائدة رابحة فهو يبادر الىٰ فصد ذلك المريض والىٰ سقيه دواء مسهلاً بغير علم منه ، وبما اتاه لانه لايعلم ان للامراض اوقاتاً اربعة فان الاستفراغ لايصلح ان يكـون في ايها اتفق ، ولانه لايعلم ايضاً ان اخلاط الابدان لايصلح استفراغها الا بعد نضجها وبعد اصلاح الطرق لنفوذها **وبعد معرفة اشياء كثير قد** تقدم القـول فيها بمـا يغني عن اعادته ، فلذلك يكون ماقدم عليه ذلك الطبيب من الفصد او الاستفراغ بالدواء لمريضه **وصاحبه سبباً لزيادة مرضه ووقوعه في مكروه هو اعظم من المرض وربما كان سابقه** بجهله وحيلته الىٰ تلفه، ولأجل افراط أنس المريض بطبيبه ذلك لايتهمه فيما دبره فيه ولو بان له الضرر وظهرت له الزيادة لكن تدبيره له يتابع يوم بعد يوم، والمريض في زيادة من سوء الحال الىٰ ان يعظم جهد المريض فتكثر عليه الاقاويل ويشير عليه وعلىٰ اهله وعوّاده واصدقائه باحضار طبيب موثوق به يعرف مرضه ويقوم بعلاجه. فبغـير شك ان ذلك يدعوهم الىٰ احضار طبيب آخر ولايقنعهم ايضاً ان يكون مرتهناً لكن افضل من في بلدهم، فعند حضور الطبيب ونظره الىٰ المريض لتفقده لجميع ماامكنه من حالاته ومسائلته لمن يصلح عن جميع مادبّر به وماجرىٰ من أمره، ووجوده لجميع ذلك قد جرىٰ علىٰ غير نظام ولاترتيب، وقد وصل المريض من المرض وسوء الحال الىٰ فساد يعسر عليه اصلاحه او لعله لايمكنه ذلك، فحينئذيفكر الطبيب فيما قد انساق اليه من وجوه المكروه، وذلك انه يصادف المريض لطول مرضه وكثرة ماقد سقاه طبيبه الأول من الادوية قد عظم ضجره وضجر من يخدمه من كثرة التعب (والمرؤد) التي قد كانوا التزموا لذلك الطبيب الاول ولادويته وتدابيره، ولعمري ان الفائدة من جميع ذلك لم تكن الا لذلك الطبيب. وايضاً فأن جميع ماكان المريض واهله يتكفلونه من ذلك الطبيب الاول كانوا فيه بنشاط لان

المريض في ابتداء مرضه، ثم لما تطاول الامر وساءت حال المريض وعلموا ان جميع ماتعبوه وانفقوه ضائع صاروا يحذرون علىٰ اكثر الحالات من الطبيب الثاني وان لم يكن عندهم بصورة ذلك فهم يتوقون الاقدام علىٰ دوائه بسرعة ويتوقفون بالجملة في جميع ماكانوا يعملونه من مصالح المريض وتوفية الطبيب حقه انتظاراً لما يكون من اثره لئلا يجري امره كما جرىٰ مع الاول. فلعلم الطبيب الاول الفاضل بهذه البلايا التي قد انساقت اليه؛ ومايقع فيه من التعب والتهمة ولو بري المريض بعد التَعب الشديد لقد كان في (لجة) ذلك الطبيب الاول مايحمله علىٰ ان يقول ان البرؤ انما حصل له بتدبيري الاول فيكون ماعمله الثاني تحت الشك. واما ان مات المريض فقد كان انساق اليه من البلايا الشديدة واعظم لان ذلك الطبيب الاول قد فاز بالفائدة وتخلص من الورطة التي كان فيها والتي يخشاها فيما بعد من سوء الذكر وغيره، ووقع ذلك الطبيب الثاني في جميع ذلك وتبشم به ولعل من له من الحساد والاعداء يجدون الفرصة من التشنيع عليه بأنه اخطأ عليه وقتله. ويقول ايضاً الاول الا كانوا تركوني وتدبيري لقد كان برأ، ومع جميع ذلك يذهب تعب الثاني، وان كان اعطىٰ ادوية من عنده لم يحصل علىٰ شئ من ثمنها فلجميع هذه الاسباب يرىٰ الطبيب ان الصواب له وخاصة ان رأىٰ ان المريض لابرؤ له الا يعود الىٰ ذلك المريض فاذا هو انصرف من عنده ولم يعد جاءته الرسل لتعلق مكث المريض واهله به فحينئذ يقع من المكروه الداعي لانه ان كان ذلك المريض سلطان او من حاشيته اخذ قهراً، وربما سيق الىٰ حتفه وان كان المريض من متقدمي البلد ومشايخه لم يتهيأ له الامتناع عليه لئلا يتسبب عليه انواع المكاره بذم ذلك الشيخ واصدقاؤه له، فاذا تتابع عليه مثل ذلك الذم مرة بعد مرة لم يمكنه المقام معهم في بلدهم هذا ان سلم من رائجي المكاره، وان كان ذلك المريض من اشرار الناس كان الفزع اشد واروع، لان الاشرار لايفكرون فيما يأتوا به من القبيح ولايتوقفون ان يعملوه. وان كان ذلك المريض من ضعفاء الناس وفقرائهم قيل عنه انه لم يعنىٰ به لفقره ولأنه لايرجو منه فائدة فتأمل ايها الحبيب هذه البلايا الرديئة والمكاره العظيمة التي تنساق وتنسب علىٰ الاطباء، وخاصة الافاضل من سوء عادات الناس وتدابيرهم الرديئة لنفوسهم فكيف تسببت ايضاً علىٰ المريض فاهلكته ، بل كيف تتسبب امثالها على الصحيح حتى تمرضه وتهلكه وانما كان مبدأ جميع ذلك الاطمنانية الى غير الثقة والقبول منه والانبساط اليه والى ملقه وحلاوة حديثه ومسارعته في الخدمة واظهاره النصيحة

والمحبة وانما كان جميع ذلك حيلة لفائدة ينـالها. فلذلك يجب علىٰ عقلاء النـاس الا يركنوا[١٩٣ج] الىٰ ظاهر الناس ولايوثقوا كل من داخلهم كما لاينبغي لهم ان يأكلوا الطعام من يد كل واحد ولو كان حسناً جديداً لذيذاً، فان الحيلة في مثل ذلك تتم والسم في لذاذاته خفي، وايضاً فلو سلم الملوك والرؤساء من الامور المتلفة من اتباع الاشرار لما أمنوا من جهلهم وشرهم سوء الذكر، فاذا قد وجب مما قد اتضح الا يركن العاقل من الناس في حال صحته الا الىٰ طبيب فاضل ثقة يكون له عدة، وكما ان صاحب السيف اكثر واوفر بصون سيفه المرهف سائر زمانه ليوم الحاجة. كذلك ينبغي للانسان ان يصون ذلك الطبيب الفاضل بأوجه الصون لوقت الحاجة اليه، وعلىٰ انه لاغنىٰ له عنه في وقت من الاوقات اذ كان لحفظ صحته احوج منه الىٰ علاج مرضه، اذ زمان الصحة اطول من زمان المرض، والصحة اشرف وماكان ادوم واشرف فتدبيره ينبغي ان يكون اكثر واوفر. فأما من حقن سيفه ورذله ولم يصنه فانه عند حاجته اليه يجده صدياً كالحاً لاينتفع به. ولذلك يتمكن منه عدوّه فيهكله. فاذا كان الامر علىٰ ماقلناه فقد اتضح عذر الطبيب في هربه، في هذه الاوقات ولم يلمه علىٰ صونه لنفسه ولصناعته الا جاهلاً غبياً.

١٩٣ج) هذه الصفحة هي آخر مايدخل في سياق الباب التاسع عشر ولايمكن الجزم علىٰ انها النهاية للباب المذكور او ان الباب يستمر في صفحة تالية علىٰ ورقة مفقودة. اذ ان الكلام علىٰ الصفحة التالية يدل علىٰ انه من الباب الآخر من الكتاب (الباب العشرون) كما هو مذكور في محتويات الكتاب المعروفة في اوله. ومن المخطوطة. وعليه سنجعل للصفحة التالية عنوان (الباب العشرون).

الباب العشرون

فيما ينبغي للطبيب ان يدّخره ويعدّه من وقت صحته لوقت مرضه ومن زمان شبابه الىٰ زمان شيخوخته[(١٩٣د)]

.......فضيلة الانسان علىٰ سائر الحيوان ووجب لفضله ان يجتهد في اصابة منافعه ومصالحه واعدادها اكثر مما يفعله الحيوان فان وجد من هو ناقص العقل قليل الادب والفضيلة فلا أقل من ان يتخذ له مصالحه ويعدها كما يعمل احقر الحيوان واصغر المواشي اعني النمل، ولابأس بأن يتعلم العاجز منه فانه علىٰ صغر جسمه وقلة قوته يعد من بعد احكام بيوته في زمان الصيف والشتاء قوتاً كثيراً ويخدم قوته في بيوته من تكسير ماكان حباً لما يخاف نباته ونشر ماقد ندي في الشمس وماأشبه ذلك، فان تفقد هذه الاعمال من الحيوان تحرك العاقل الىٰ اتخاذ مصالحه في اوقات امكانها قبل فوتها، ويبعثه ايضاً علىٰ فكره بعقله من تعرف عللها وفي ذلك يترقىٰ الىٰ حكمة العلة الاولىٰ التي هي فوق كل حكمة، وعند ثورة وجوده يسكن العقل حينئذ الذي يمده بالفضائل وهو فوق كل وجود. واذا كان العقل هو اتم المخلوقات واكمل المكونات فعلىٰ العاقل من الناس ان يتبع اوامره وينتهي عما نهاه لان الباري تعالىٰ جعله السراج لخلقه فيه يستضيؤن وبنوره يهتدون الىٰ توحيد وجوده وحكمته وشرائعه وبالجملة الىٰ جميع مايصلحهم في دنياهم وآخرتهم. فبواجب اذن اذ كان العاقل يجد جميع حالات الجسم تتغير وتنتقل من

١٩٣د) بداية هذا الباب في ورقة مفقودة وقد وضعنا العنوان إعتماداً علىٰ ماجاء في تبويب الكتاب ومحتويات ابوابه كما هو مدون في بدايته. ولايمكن معرفة عدد الاسطر المفقودة. الا ان معنىٰ الكلام الوارد في الصفحة اعلاه يدل علىٰ انه في بداية الباب.

محمود الى مذموم، كالذي نجد من ضعف القوة عند الشيخوخة بعد قوة الشباب، ومن سوء حال المرض بعد حال الصحة، ومن قبح الفقر بعد جمال اليسار، ومن كثرة الحاجة مع العيلة بعد قلتها مع الوحدة ونظاير هذه الانتقالات وماجانسها مثـل الفاقـه الى مصالح الشتاء ومايرد من برده بعد الغنى عن ذلك مجئ الصيف، فلذلك وامثاله ينبغي للعقلاء كافة ان يعدوا مصالحهم ويدخرون منافعهم من صيفهم لشتائهم ومن صحتهم لوقت مرضهم ومن وقت شبابهم لوقت شيخوختهم. واذا كان ذلك واجباً على سائر الناس نافعاً لهم بأسرهم فذلك للطبيب انفع وعليه الاهتمام بذلك اوجب، لان المقصر في ذلك من سائر الناس انما يدخل الضرر عليه وعلى عائلته فقط. فاما الطبيب فانه اذا عدم مصالحه عدم صواب رأيه ينقسم فكره لطلب حاجته فدخل من ذلك ضرر على تدبيره من الاصحاء والمرضى، ولذلك ينبغي لمن احتاج الى تدبيره ان يعينه على مصالحه ويجتهد له في كفايته لتكون نفسه هادية ساكنة وعقلة منصرف الى مصالح الناس، ولأجل ذلك ينبغي للطبيب الا يدبر صحيحاً ولا مريضاً الا بعد خلوّ فكره وإعطائه لنفسه وجسمه مايحتاجان اليه من مصالحهما فاما نفسه فسكونها هو بما قدمناه من الامن من الفاقة والامور المفزعة. واما جسمه فبأن تكون سائر حواسه قد اخذت بحظها النافع لها من محسوساتها، وذلك بأن لايكون جائعاً ولا عطشاناً وقد استعمل من الطيب مايـوافقه ولايشتـاق معه الى مايشتمه من الطيب في منازل الناس. ومثل ذلك القول في باقي حواسه لتكون بذلك نفسه مسرورة وعقله صافياً وحواسه نقية من كل كدر فيصفو له بذلك رأيه وتصح مشورته اذا كان قد اتضح لك بما قيل ايها الطبيب السعيد وجود حفظ (مصالحك) واعدادك لجميع منافعك كوجوب ذلك على مديري السفينة من أعداد مراسيه وقلوعه وحبـاله ورجالهم وتيقظهم قبل سيرهم وقبل هجوم الريح عليهم، فقد لزمك ان تعلم ماتعده لنفسك ولغيرك ممن تريد حفظه وعلاجه اذ كانت الامور النافعة في ذلك لايمكن اتخاذها بأسرها في وقت الحاجة اليها كما لايمكن عمل الدرياق[١٩٤] وقت حاجة الملسوع اليه فبالواجب ان تكون الدرياقات وغيرها من الادوية معدة للمرضى والاغذية والاشربة وغيرها من المصالح معدة

---

١٩٤) الدرياق ـ وتكتب ايضاً الترياق وهو دواء مركب من عدد كبير من الادوية يستعمل ضد السموم ونهش الحيات واول من قلم بتركيبه الطبيب اليوناني اندروماخس ويوجد منه عدة انواع حسب الادويـة الداخلة في تركيبه وعددها اذ يبلغ في بعضها ٧٠ نوعاً من الدواء.

للاصحاء والمرضىٰ ففيما ذكرته من هذه الامثلة (الجزئية) الدالة علىٰ المعاني الكلية كفاية لذوي الفطن والقرائح. فاما من لم يكتفِ[١٩٥] بهذه الجمل فالتمس تشخيص جميع مابعده فان ذلك ممتنع لأجل إختلاف امزجة المحتاجين، ولكني اخذته في تعريفه انواع تلك الجمل التي لم يكتفِ بها فانها ابسط وهي جامعة لما التمسه من علم الاشخاص، فاقول ان جميع ما ينبغي ان يدخر ويقتنىٰ قبل فوت وجوده نوعان: احدهما تحته جميع مصالح النفس وآدابها وذلك مأخوذ من معدنين، احدهما الكتب الشرعية فانها جامعة لآداب النفوس ومصالح الاخلاق ومقدمة للانسان فعليك بها اولاً وخذ نفسك وولدك بحفظها بعد درسها علىٰ العلماء بها، ثم تأمل لغتها وتدبر معانيها فانك تظفر بما انا حاثك عليه من آداب النفس، والنوع الثاني هو الشامل لجميع مصالح جسم مايقوم عضوٍ عضوٍ[١٩٦] من اعضائه ومعرفة ذلك مأخوذة من علم صناعة الطب، ووصولك الىٰ ذلك يتم بدرس كتبها علىٰ اهلها في حال الشبيبة وزمان الحداثة ثم الخدمة لهم في اعمال الصناعة لتهيئتها قينة صحيحة فان منها يترقىٰ الىٰ صلاح نفسك ايضاً ان كان قد فاتتك الدربة الشافية بكتب الشرائع، ولان اهلها لما علموا ان الانسان مؤلف من شيئين هما النفس والجسم وارادوا اصلاح الانسان اثبتوا في كتبهم من مصالح الجسم مصالح النفس والاخلاق ايضاً. ولذلك لما رمت في هذا الكتاب جميع ماذكروه في مواضع متفرقة عن آداب النفس وتقويم الاخلاق مع مصالح الجسم قفوت[١٩٧] آثارهم وسرت في طريقهم لكي ينساق القليل الرياضة بما قالوه في طرقهم، وتسلك سبلهم فتصل بذلك الىٰ عملهم، فأن تكن ممن ترقىٰ علىٰ نظام وقد شوّقه بما قرأه من هذه الجمل الىٰ معرفة اصولها ومن اين هي مأخوذة، فاني ارشدك الىٰ ذكر ذلك من حيث انت (طبيعي)[١٩٨] فعليك من كتب معلمنا الفاضل جالينوس بكتابه في الأخلاق[١٩٩] وهي اربعة مقالات، وبمقالته في ان قوىٰ النفس تابعة

---

١٩٥) وردت في الاصل (يكتفي) والصحيح ماأثبتناه.

١٩٦) وردت في الاصل (عضواً عضواً) والصحيح ماأثبتناه.

١٩٧) وردت في الاصل (قفا) والصحيح ماأثبتناه.

١٩٨) يقصد بذلك الطبائعي.

١٩٩) هذا الكتاب باربع مقالات في انواع الاخلاق واسبابها وعلاماتها (ابن ابي اصيبعة ص١٤٧).

لمزاج البدن[٢٠٠] وبمقالته في تعرف المرء عيوب نفسه[٢٠١] ومقالته في ان الاخيار ينتفعون بأعدائهم[٢٠٢] وبما شاكل هذه المعاني من اقاويله..

واما ان علوت منزلة الأطباء واردت ان تكون طبيباً فاضلاً فعليك بمقالته التي فيها ان الطبيب الفاضل فيلسوف[٢٠٣] ثم بكتابه في آراء بقراط وفلاطن[٢٠٤] ثم بكتابه في البرهان[٢٠٥] كأنك تبلغ المراد من اداب النفس ومصالحها. ولست اقول لك انك لاتجد هذه الاداب فقط لكن جميع اهل العقول في الملل المختلفة والأمم السالفة، قد قالوا في ذلك أقاويل كثيرة ووضعوا اصولها وفروعها لانها عقلية، وانما ارشدتك من كتب الآداب الى كتب معلميك وخاصة منهم الى كتب جالينوس اذ كنت طبيباً. وبكتب هذا الفاضل تعنى فلك منها غنى عن غيرها. ومن كتبه ايضاً تعلم ماتفده لجسمك من مصالحه ان كنت قد تنبهت الى ذلك مما اوجب به لك في الباب الاول من كتابي هذا، فان اول كتبه التي منها تعلم مالابد لك من علمه من حفظ الصحة هو كتابه في تدبير الاصحاء، وله جزئيات ذلك مقالات تقف عليها من ذلك الكتاب ومن كتابه في مراتب قراءة كتبه[٢٠٦] ومن مقالته في الحث على تعلم صناعة الطب[٢٠٧] ومن مقالته في اجزاء الطب[٢٠٨] في غير هذه من أقاويله ومن قرائنك (لأقاويله) هذه تعلم ان بقائك بنوعك لايتم الا بالزوجة لتنسل، والزوجة والنسل لايتم بقائهم الا بمثل مابه تبقى بشخصك من قوت وكسوة ومنزل وساير مابه يتم البقاء وتحفظ الصحة. وبغير شك انه يجب ان تعنى باكتساب جميع ذلك وحفظه لوقت الحاجة اليه، ولاكتساب ذلك طريقان: احدهما بمباشرتك الأعمال التي منها تعنى وتوصل اليه بجسمك كالذي يعمله ملتمس ذلك من الارض ليعد له من الحبوب قوتاً ومن

---

٢٠٠) ابن ابي اصيبعة ص١٤٧

٢٠١) المصدر المتقدم والصفحة.

٢٠٢) المصدر المتقدم والصفحة.

٢٠٣) المصدر المتقدم ص١٤٦.

٢٠٤) والكتاب بعشر مقالات، وفيها ان افلاطن اخذ عن ابقراط فهو موافق له، وان ارسطو طاليس قد اخطا اذ خالفهما (المصدر المتقدم ص ١٤٠).

٢٠٥) كتاب البرهان ـ سبق التعريف به

٢٠٦) مقالة واحدة في تسلسل قراءة كتب جالينوس (المصدر المتقدم ص١٣٤)

٢٠٧) المصدر المتقدم ص١٤١.

٢٠٨) المصدر المتقدم ص١٤٣).

القطن مثلاً كسوة وماشبه ذلك، وذلك لايتم الا بفلاحتها والعناية بتنقيتها وساير مصالحها وزراعتها وسقيها ومالا يتم له عرض الا به من اعمالها فبذلك تكتسب قوتاً وستراً وكِناً له ولمن سواه. ومن كان من الاطباء يحتاج ان يعاني تدابير اهل المدن ويعدوا الىٰ عيادة مرضاهم مع كثرتهم وترفهم فبغير شك انه لايمكنه اقتناء مصالحه بجسمه، ولابمعاناة صناعة اخرىٰ غير صناعة الطب فيكتسب منها أقواته لانه بذلك ينقطع عن علمه وصناعته فيصير ضاراً قتالاً اكثر من ضرر الامراض فقد بقي اذاً ان يكون للطبيب مادة يكتسبها من جهة صناعته وممن يدبرهم بها في حفظ صحة اصحائهم وفي معالجة مرضائهم، ومن المعلوم ان من الناس فقراء ومنهم مياسير، وقد اوجب المنعم تبارك وتعالى علىٰ اهل النعم الاحسان والافضال علىٰ الفقراء والمساكين بما غرس في قلوبهم وعقولهم من العدل والرحمة، فلذلك يجب علىٰ الموسر الذي قد اسبغ الله عليه نعمه، وعلىٰ الطبيب الذي قد شرفه الله بفضل علمه ان يستعملا العدل مع الفقراء والضعفاء ليكون نفع صناعة الطب عاماً شاملاً للقويّ والضعيف. ووجه العدل وابتدائه ينبغي ان يكون من الطبيب اولاً وذلك بأن يروض نفسه ويأخذها دائماً باستعمال الاخلاق المحمودة والافعال المرضية من الرحمة والرأفة والرفق والعفة والقناعة والشجاعة والسخاء والصدق وكتمان السر وجميع ماجانس ذلك من فضايل النفس وآدابها مع الاجتهاد وفي اقتناء صناعته ودرس كتبها والمعاناة لاعمالها وبذلها للناس كافة، ولايفرق في ذلك بين صديقه وعدوه، ولابين موافقه ومخالفه. واما وجه العدل من الموسر فهو ان يستعمل النصفة مع طبيبه واذا كان يعلم ان اجتهاده في اضاعة المال وساير مصالحه انما هو لاجل حاجته وحاجة عائلته اليه، ويعلم ايضاً ان الطبيب محتاج[٢٠٩] الىٰ مثل ذلك. وقد انتفع الموسر بما يملكه الطبيب في صناعته في نفسه ونفوس اهله، فمن الواجب اذن[٢١٠] ان يقوم الموسر للطبيب بمصالحه من قوته وكسوته ودراهمه التي بها يصل الىٰ مصالح نفسه وجسمه. ومتىٰ لم يستعمل الموسر ما ذكرناه من العدل اضطر الامر للطبيب الىٰ ان يستعين علىٰ إصابته مصالحه من أوجه أُخر، فان تشاغل بصناعة اخرىٰ ليكتسب منها وبها الدراهم عدل عن صناعة الطب فقلّ فهمه وعلمه بها ودخل الضرر علىٰ الموسر والضعيف في

---

٢٠٩) وردت في الاصل (محتاجاً) والصحيح مااثبتناه.

٢١٠) وردت في الاصل (اذاً) والصحيح مااثبتناه.

نفوسهما واجسامهما. وان التمس كسب الدراهم من الضعفاء، وتعذر ذلك من جهتهم لفقرهم ثم امتنع عنهم كان في ذلك إضراراً بهم، فتأمل ايها الموسر مايدخل علىٰ الضعيف والطبيب وعليك في نفسك من الضرر الذي لايتلافىٰ من استعمال الشح والجور، واحذره فان هلاك النفوس مقرون (بهذا)[٢١١] فأحذر ايها الطبيب من الشح بصناعتك ان شح ذوو اليسار بمالهم عليك وعلىٰ ضعفائهم، فان مالهم ينفد ومالك باقٍ[٢١١ب] مابقيت، فلذلك يكون يسارك وعزّك والحاجة اليك مبقية دائماً عليك. فأحذرمن استعمال الجور فأنه عن جنبتي العدل فان اصبت المال ومصالحك فلا تفرط في ذلك فتستعمل التبذير بل صن الدرهم واحفظه لوقت حاجتك اليه اذ كنت انما تصل الىٰ مصالحك به، فانك ان احتجت في وقت الشيخوخة ووقت المرض اليه ولم تجده مذخوراً عندك، ثم التمسته من الناس وخاصة من اشحائهم حل بك ماهو اعظم من الم الشيخوخة المرض. ففي الخروج عن الاعتدال الىٰ التبذير من المضار ماذكرته، وحسبك به وبالاً. واما الخروج عن العدل الىٰ الضبط والشح علىٰ النفس والاهل بما كسبته ايها الطبيب من الدرهم ففيه من المضار مالا يحصىٰ كثرة، فاولها انك تكون فقيراً من مصالحك انت واهلك وولدك مدة حياتك، ومن تُخلّف له مالك وماتعبت فيه فانه يصفك بشحك ويذمك دائماً. وايضاً فانك متىٰ كنت للمال جامعاً عرضت نفسك للمكاره بل للتلف اذ كان طالبوه كثير فلعلمهم بشحك عليه يهلكونك مع أخذه، فصن نفسك وجسمك بلزوم العدل واستعمال الاعتدال من تكسبك للمال، ومن نفقته، بل في ساير افعالك تنج بذلك من الآثام وتكون منزلتك منزلة الكرام. والله بجوده وكرمه يبلغنا وأياك افضل الرتب الشريفة عنده وهو حسبنا وحده.

تمّ الكتاب بمعونة الله تعالىٰ وحسن توفيقه وله الحمد دائماً سرمداً. كتبه لنفسه ولمن شاء الله تعالىٰ بعده.

العبد الراجي رحمة ربه وغفرانه عبدالله بن المكين.

عبدالله بن عبدالسلام بن ربيع الاسرائيلي اللاوي عفىٰ الله عنه وعن والديه وغمر الرحمة عليه وذلك في مدة عشرين يوماً في ساعات مفرقة منها آخرهن ليلة الجمعة ثاني عشر شعبان سنة ثمان واربعين وسبعمائة.

---

٢١١) كلمة (بهذا) من عندنا، اضفناها ليستقيم المعنىٰ

٢١١ب) وردت في الاصل (باقي) والصحيح ماأثبتناه.

الملاحق

(١) فهرس باسماء الاعلام
(٢) بعض المصطلحات الواردة في الكتاب
(٣) مصادر التحقيق

(٢) بعض المصطلحات الواردة في الكتاب

في الكتاب تعابير ومصطلحات لها معنى خاص قد يختلف عن ظاهر معانيها اللغوية، وفي مايلي نوضح بعضاً منها دفعاً للالتباس.

(١) ادب الطبيب ـ اي سلوكه المهني وتصرفاته الاخلاقية مع المرضى ومن له علاقة بهم.

(٢) الادوية المفردة ـ اي البسيطة، واي منهما ذات جنس ومصد واحد وذات مفعول واحد.

(٣) الادوية المركبة هي خليط او مزيج من الادوية المفردة، وتعمل على شكل ذرورات او سفوفات او لطوخات ا اشربه وما على جنس ذلك.

(٤) اصلاح الادوية ـ اي تركيبها بحسب الاوزان والمكاييل الصيدلانية.

(٥) التداوي بالحيلة ـ وهي احدى طرق التداوي: (بالتجربة او بالقياس او بالحيلة)، ويهدف المعالج بها الى ارضاء المريض اكثر بما يهدف الى علاج مرضه. وقد يكون المصطلح الانكليزي Placebo قريباً من معناها.

(٦) التداوي بالقياس ـ اي تداوي المريض قياساً على معالجة ناجحة لحالة مرضية مماثلة بالعلامات والاعراض .

(٧) تدبير المريض ـ اي تمريضه.

(٨) تقدمة المعرفة ـ اي الوقوف على العلاقات، والاعراض المرضية والتكهن بواسطتها على ما ستؤده اليه حالة المريض من تحسن او تردٍ.

(٩) شرف صناعة الطب ـ اي مرتبتها العالية بين الصناعات. وقد اعتبر المسلمون الطب اشرف الصناعات جميعاً.

(١٠) سخنةِ البدن ـ لونه، باهتاً او وردياً او محتقناً.

(١١) صفة ـ هي الوصفة التي يكتبها الطبيب المعالج الى الصيدلاني، وفيها اسم الدواء او الادوية التي يستطبها للمريض، كما تسمى الصفة احياناً نسخة.

(١٢) عوّاد المريض ـ من يزوره ليتفقدوا عافيته ويتمنون له الشفاء.

(١٣) القارورة ـ هي الاناء او الدورق الذي يجمع فيه بول المريض لتحليله ومعرفة قوامه ورائحته ومافيه من الرسوبات، كما يستعمل مصطلح القارورة كناية عن البول. ويسمى فحصة (التفسرة).

(١٤) محنة الطبيب ـ امتحانه

(١٥) هيئة العضو ـ تركيبه التشريحي الظاهري والباطن.

(٣) مصادر التحقيق

(١) ابقراط .

الاهوية والمياه والبلدان ـ تحقيق شبلي شميّل ١٨٨٥

(٢) ابقراط .

تقدمه المعرفة ـ ت . صادق كمونة ، النجف ١٩٣٨ .

(٣) ابقراط .

حبل على حبل ـ ت . كليون ، كمبرج ، بلا تاريخ .

(٤) ابقراط ،

الابديميا ـ ليون ومعتوق . كمبرج ، بلا تاريخ .

(٥) ابن ابي اصيبعة ـ عيون الانباء في طبقات الاطباء ت . نزار رضا . بيروت ١٩٦٥

(٦) ابن الاخوة ، محمد بن محمد القرشي .

معالم القربة في احكام الحسبة ـ ت . روبن ليوي ، كمبرج ١٩٣٤ .

(٧) ابن جلجل ، ابو داود سليمان .

طبقات الاطباء والحكماء ـ ت . فؤاد سيد القاهرة ١٩٥٥ .

(٨) ابن خلكان ، شمس الدين احمد

وفيات الاعيان ـ ت . احسان عباس ، بيروت ١٩٦٨ .

(٩) ابن رضوان المصري .

النافع في كيفية تعليم صناعة الطب ـ ت . كمال السامرائي .

(١٠) ابن سينا ، ابو علي الحسين

القانون في الطب ، اوفست مكتبة المثنى .

(١١) ابن القفطي ، جمال الدين

تاريخ الحكماء ـ ت . ليبرت ، ليبسك ١٩٠٢ .

(١٢) ابن النديم ـ ابو الفرج بن ابي يعقوب

الفهرست ـ ت . رضا تجدد ، طهران ١٩٧١

(١٣) ابن هبل البغدادي ، علي ابن احمد

المختارات في الطب ـ حيدر آباد الدكن ١٣٦٢ هـ

(١٤) ابو بكر الرازي .
اخلاق الطبيب ـ ت . عبد اللطيف العبد ١٩٧٧
(١٥) الفصول او المرشد ـ مجلة معهد المخطوطات العربية .
(١٦) ابو بكر الرازي .
(١٧) ادور غالب .
الموسوعة في علوم الطبيعة ، بيروت ١٩٦٥ .
(١٨) اسحاق بن حنين .
تاريخ الاطباء ـ تحقيق روزنثال ، محلة المشرق الامريكية ORIENT ، م٧ ، ١٩٥٤ .
(١٩) رضا كحالة.
معجم المؤلفين. دمشق ١٩٥٧.
(٢٠) داود الانطاكي.
تذكرة اولي الالباب - صبيح واولاده ، بلا تاريخ .
(٢١) الشهرزوري، شمس الدين محمد
نزهة الارواح وروضة الافراح ـ ت. خورشيد احمد، حيدر أباد الركن ج ٢
(٢٢) طاهر الزاوي.
ترتيب القاموس المحيط مطبعة الاستقامة، القاهرة.
(٢٣) مارتن ليفي.
مجلة الجمعية الفلسفية (فيلا دلفيا) قسم ٣ سنة ١٩٦٤.
(٢٤) الموسوعة العربية الميسرة.ـ محمد شفيق غربالي ـ القاهرة ـ ١٩٦٥
(٢٤) ياقوت الحموي، الرومي البغدادي
معجم الادباء وطبقات الادباء ـ ت. مرجليوث ١٩٧٥.

الفهارس

(١) فهرس الاعلام
(٢) فهرس الالفاظ الطبية/ الامراض/ العقاقير/ الادوات

فهرس الاعلام

الجيم

الحاء

الخاء

الدال

الزاي

السين

العين

الغين

٢- العقاقير والامراض (المصطلحات الطبية)

الباء

التاء

الذال

الراء

الزاي

السين

الشين

الكاف

اللام

الميم

النون

الهاء

الواو

الفهرست

الباب العشرون

٢و١٧٤
(٩٢٩ الرهاوي ، اسحق بن علي
كتاب أدب الطبيب/ تاليف إسحق بن علي الرهاوي ؛ تحقيق
كمال السامرائي ، داود سلمان علي .- بغداد ! دار الشؤون
الثقافية ، ١٩٩٢ ،
ص ؛ ٢٦سم
١- الاخلاق الطبية ٢- السلوك
م .و الاجتماعي أ- السامرائي ، كمال (محقق)
١٦٩/ ١٩٩٢ . داود سلمان علي (محقق) حـ . العنوان

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق
ببغداد ١٦٩ لسنة ١٩٩٢



طباعة ونشر
دار الشؤون الثقافية العامة «آفاق عربية»

تعنون جميع المراسلات
باسم السيد رئيس مجلس الادارة
العنوان :
العراق - بغداد - اعظمية
ص . ب . ٤٠٣٢ - تلكس ٢١٤١٣ - هاتف ٤٤٣٦٠٤٤

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة

أدب الطبيب : للرهاوي

الرهاوي واحد من أكبر الأطباء العرب . والكتاب منهجي في عصره يتولى توضيح كل ما يجب ان يتوفر للطبيب من علم ومعرفة وطريقة تعامل ليتسنى له القيام بعمله . ويشرح الكتاب خصائص الادوية وطرائق استعمالها ، كما يبين الآداب المهنية العامرة الواجب توافرها في الأطباء ليتمكنوا من ممارسة عملهم . ويتحدث الكتاب عن طرائق اختيار الاطباء لاكتشاف قدراتهم وكفاءاتهم ومعرفة الحاذق من المدعي منهم .

وزارة الثقافة والاعلام

دار الشؤون الثقافية العامة



الغلاف : رياض عبدالكريم

السعر.. اربعة دنانير ونصف

بغداد ـ ١٩٩٢

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة

توزيع : الشركة الوطنية للتوزيع والنشر ـ بغداد